جامـعة ابن يوسف بن خدة - الجـزائر-
كلية العلـوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التـاريخ

البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية
(1842-1931)

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر(أوروبا - مغرب)

إعداد الطالب :
سـعود دحـدي

إشراف الأستاذ:
د/ إبراهـيم مياســي

السنة الجامعية 2010/2009

جامعة ابن يوسف بن خدة - الجزائر-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931)

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر(أوروبا - مغرب)

إعداد الطالب :
سعود دحدي

إشراف الأستاذ:
د/إبراهيم مياسي

أعضاء لجنة المناقشة:

- أد مسعودة يحياوي	أستاذة التعليم العالي	رئيسا
- أد شاوش حباسي	أستاذ التعليم العالي	مقررا
- د بوعزة بوضرساية	أستاذ محاضر	عضوا
- د ابن يوسف تلمساني	أستاذ محاضر	عضوا

السنة الجامعية 2010/2009

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين.

سورة الأحقاف، الآية:14

شــكر وعرفــان

بين يدي هذه الرسالة أتقدم بالشكر الجزيل أولا لله تعــالى أن وفقنــي لإتمــام هــذا المشروع،وثانيا لكل من ساعدني على إنجاز هذا العمل العلمي المتواضع سواء كانت تلــك المساعدة مباشرة أو غير مباشرة ،كبيرة كانت أو صغيرة ، و في مقدمة هؤلاء الأســاتذ ة: علي غنابزية ،إبراهيم طبشي، رضوان شافو وغيرهم .

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الدكتور إبراهيم مياسي الذي تشرف بقبــول الإشراف منذ أن كان المشروع فكرة حتى أصبح حقيقة ملموسة، وما كان ذلك ليكون لــولا توفيق الله أولا ثم متابعة السيد المشرف ثانيا.

وأتوجه بالشكر كذلك للقائمين على المكتبات في مختلف المناطق التي زرتها بقصد جمع المادة العلمية وخاصة المكتبة الوطنية بالعاصمة .

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر المسبق لأعضاء لجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا البحث وأخص بالذكر الأستاذة الدكتورة مسعودة يحياوي والدكتور بوعزة بوضرساية والدكتور ابن يوسف تلمساني سائلا الله تعالى أن نكون عند حسن ظن الجميع .

مقـــــــــــــــــــــــــــــدمة

مع مطلع القرن التاسع عشر بدأ الاستعمار الأوروبي الحديث يشد رحاله نحـــو قـــارتي إفريقيـــا وآسيا ، وكانت الجزائر الضحية الأولى لهذا الاستعمار . ولم يمض زمن طويل حتى سقطت بلدان عربيـــة أخرى في قبضة الهجمة الاستعمارية الشرسة القادمة من الضفة الشمالية للبحر المتوســـط ومـــن غـــرب أوروبا، والتي مثلتها عدة دول أوروبية وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا واسبانيا وايطاليا ، وقد بلغـــت هـــذه الهجمة أوجها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حيث سقطت كل مـــن تـــونس ومصـــر وليبيا ومراكش هي الأخرى فريسة في أيدي الاستعمار الأوروبي المباشر .

أمام هذا التحدي الاستعماري كان لزاما على دول وشعوب المنطقة أن تقف في سبيل مواجهة هـــذه التحديات وتعمل بشتى الوسائل من أجل تخليص بلدانها وإفشال المخططات الاســـتعمارية. وعليـــه فقـــد راحت تقاوم الاستعمار، وظهرت المقاومات الوطنية المسلحة التي حمل لواءهـــا قـــادة عظمـــاء وأبطـــال أشاوس مثلوا مجتمعاتهم أحسن تمثيل ، وكان للحركات والطرائق الصوفية دور لا يستهان به فـــي هـــذه المقاومات كما هو الشأن بالنسبة للطريقة القادرية والطريقة الرحمانية في الجزائر ،فقد أبلـــى أصـــحاب هاتين الطريقتين البلاء الحسن في مواجهة الاستعمار الفرنسي، غير أن هناك حركة صوفية لعبـــت هـــي الأخرى دورا كبيرا في مقاومة الاستعمار الأوروبي وأقضت مضاجعه في منطقة المغرب العربي ، وهي حركة لازال الكثيرون من أبناء المنطقة يجهلونها ويجهلون الدور الذي قامـــت بـــه ، ويتعلـــق الأمـــر بالحركة السنوسية التي استطاعت أن تسجل اسمها بحروف من ذهـــب فـــي ســـجل التـــاريخ المغـــاربي. والسنوسية دعوة إسلامية إصلاحية تجديدية روحية على أساس الكتاب والسنة. ظهرت في ليبيـــا وعمـــت مراكزها الدينية شمال أفريقيا والسودان والصومال وبعض البلاد الإسلامية.

وعليه فإن اختياري البحث في موضوع **البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوســـية** يـــأتي فـــي نطاق كشف النقاب عن هذه الحركة وتبيان دورها الجهادي وأبعادها المغاربيـــة ، وكـــذلك رصـــد أهـــم التحولات والتطورات التي واكبت مسيرتها منذ تأسيسها سنة 1842 على يد الشيخ محمـــد بـــن علـــي السنوسي مرورا بنشاطها الجهادي ضد الاستعمار الفرنسي والايطالي ،وانتهاء بدخولها المعترك السياسي من خلال تأسيس المملكة الليبية على يد محمد إدريس السنوسي .

أما أسباب اختياري البحث في موضوع الحركة السنوسية فيرجع إلـــى الـــدور الـــذي لعبتـــه الحركة على الصعيد المغاربي وانعكاس ذلك على شعوب المنطقة وخاصة في ليبيا والجزائر فـــي ظـــل الهيمنة الاستعمارية ،وأما اختيار ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895) وثورة الشـــيخ عمـــر المختار (1911-1931) نمـــوذجا لهذه الدراسة فإن الثورتين تخرجان من مشكاة واحـــدة ومن مصـــدر واحد (الحركة السنوسية)، واعتبار أن ثورة ابن عبد الله تتعلق بمنطقة ورقلة وما جاورها وهي المنطقـــة التي أنتمي إليها جغرافيا واجتماعيا، ولذلك حاولت إبراز الدور التاريخي لهـــذه المنطقـــة علـــى غـــرار المناطق الأخرى من الجزائر الحبيبة . وأما ثورة عمر المختار فإن هذه الشخصية شدت انتباـــاهي منـــذ

أمد بعيد يوم أن كنا ندرس بالمرحلة المتوسطة في أواخر السبعينيات من خلال قصيدة الشاعر أحمد شوقي التي يرثي فيها الشهيد عمر المختار (**ركزوا رفاتك في الرمال لواء**)

بالإضافة إلى ما تقدم فإن هذه الدراسة تأتي لتوضيح التفاعلات التاريخية والسياسية بين المناطق المغاربية وخاصة ليبيا والجزائر ، باعتبار أن مؤسس الحركة السنوسية كان دائما وأبدا مشدودا بانتمائه إلى الجزائر. وعليه وبناء على ما سبق ذكره من الملاحظات والاعتبارات اخترت لهذا البحث عنوانا :

البعد الجهادي المغاربي للطريقة السنوسية (1842-1931)

وكانت دوافع اختيار هذا الموضوع تتمثل في :

- افتقار المكتبة التاريخية والوطنية لمثل هذه الدراسة التي من شأنها أن تساهم في إزالة الضبابية عن الحركة السنوسية ودورها في مقاومة الاستعمار.
- استغلال فرصة البحث لجمع ما أمكن جمعه من معلومات ووثائق لها علاقة بالموضوع .
- دحض الشبهات والافتراءات التي حاولت نفي الدور الثوري الجهادي عن الحركة السنوسية .
- المساهمة في تغطية فترة تاريخية هامة من تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر ، وخاصة الفترة الممتدة من 1842إلى 1895 .
- عدم وجود دراسة وافية حول الموضوع والتي من شأنها أن تجيب عن كثير من التساؤلات .

ومما يلاحظ أنه أثناء البحث لمعالجة الموضوع اعترضتني عدة صعوبات ولعل من أهمها :

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة التي تتناول صلب الموضوع ، وخاصة على مستوى المكتبة الوطنية والمكتبات الجامعية .
- صعوبة التنقل نحو المكتبات في ظل عدم التفرغ للبحث العلمي نظرا لارتباطي بالوظيفة من جهة وبعد مقر سكناي عن الجامعة والمكتبات الهامة .
- عدم حصولي على بعض المراجع الهامة المتخصصة رغم الجهود المضنية التي بذلتها، بل إنني لم أجدها حتى في المناطق التي يفترض أن تكون موجودة بها .

بخصوص خطة الموضوع فإنني قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلى عدة مباحث ، واجتهدت في ترتيبها ترتيبا موضوعيا متناسقا مع التسلسل الزمني والتاريخي للأحداث وأهمية كل حدث في خدمة موضوع البحث ، فكان الفصل الأول بعنوان : **الحركة السنوسية من التأسيس إلى المقاومة** قسمته إلى ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول عرضا مستوفيا لحياة مؤسس الحركة **محمد بن علي السنوسي** من حيث نشأته وأهم أعماله بدءا بظهوره في منطقة مستغانم مرورا بحياته العلمية في فاس والحجاز وانتهاء بحياته العملية والجهادية في ليبيا . وتناول المبحث الثاني **الحركة السنوسية ومنهجها الإصلاحي** على المستويات التنظيمية والتربوية والسياسية ، في حين تناول المبحث الثالث ترجمة **لأهم أئمة الحركة السنوسية** ودورهم في مقاومة الاحتلال الايطالي ويتعلق الأمر بمحمد المهدي، وأحمد الشريف ، ومحمد إدريس السنوسي .

وأما الفصل الثاني فعنوانه : ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895) قسمته إلى ثلاث مباحث . تناول المبحث الأول **الظروف العامة التي ظهرت فيها** هذه **الثورة** والمتمثلة أساسا في ظهور المقاومات الشعبية المسلحة هنا وهناك .وتناول المبحث الثاني **المرحلة الأولى من الثورة** (1842-1853)، في حين تناول المبحث الثالث **المرحلة الثانية من الثورة** (1853-1895).

وأما الفصل الثالث والأخير من البحث فكان تحت عنوان **ثورة الشيخ عمر المختار** (1911-1931) وقسمته إلى أربعة مباحث ، تناولت في المبحث الأول **حياة عمر المختار من حيث نشأته ونشاطه**،وفي المبحث الثاني تكلمت عن **المرحلة الأولى من ثورة عمر المختار** (1911-1927) أما المبحث الثالث فتحدثت فيه عن **المرحلة الثانية من الثورة** (1927-1931) ،وكان المبحث الرابع تحت عنوان **عمر المختار من الأسر إلى الإعدام** بينت فيه كيف كانت نهاية عمر المختار على أيدي غلاة الاستعمار.

وكانت نهاية البحث الخاتمة التي ضمنتها جملة من الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال مختلف جوانب هذا البحث وهذه الدراسة المتواضعة.

و أتقدم بين يدي هذه الدراسة وهذا البحث بالتقدير والشكر والثناء إلى الأستاذ المشرف الدكتور إبراهيم مياسي الذي كان له الفضل بعد الله تعالى في بلورة هذا العمل منذ أن كان فكرة وعنوانا إلى أن اكتملت أجزاؤه وارتبطت عناصره، فكان بذلك مثالا للتسديد والتصويب والتوجيه .

كما أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الوفير للأستاذ علي غنابزية الذي ساعدني مساعدة كبيرة وشجعني كثيرا على انجاز هذا العمل ولم يبخل علي بكل ما استطاع أن يقدمه إلي من توجيهات ومساعدات سأبقى أذكرها وأشكره عليها ما حييت .

وختاما أقول أن هذه الدراسة قد بذلت في سبيلها جهدا كبيرا وأنا على يقين أنها لم تخلو من نقائص وهفوات وعيوب وزلات ،غير أن ذلك لم يكن عن عمد أو تقصير وإنما هو الجهد البشري الذي لا يستطيع الإحاطة بكل الأمور. فما أخطأت فيه فذلك تقصير مني وضعف من نفسي ، وما وفقت فيه من عمل فمن الله وحده فله الحمد والثناء وإليه المبتدأ والمنتهى وهو حسبي في الأولى والآخرة.

الفصل الأول : الحركة السنوسية من التأسيس إلى المقاومة

المبحث الأول : محمد بن علي السنوسي : (1202هـ/ 1787م - 1276هـ/ 1859م)

(نشأته وأعماله)

المبحث الثاني :الحركة السنوسية ومنهجها الإصلاحي(تنظيميا، تربويا ، سياسيا)

- البناء التنظيمي :
- البناء التربوي :
- البناء السياسي :

المبحث الثالث :أهم أئمة الحركة السنوسية وموقفهم من الاحتلال الإيطالي لليبيا

1- الإمام محمد المهدي السنوسي (1260هـ/1844م-1320هـ/ 1902م)

2- الإمام أحمد الشريف السنوسي (1290هـ/ 1873م- 1351هـ/ 1933م)

3- الأمير محمد إدريس السنوسي :(1307هـ/1890م- 1404هـ /1983م)

المبحـــث الأول

الشيخ المؤسس : محمد بن علي السنوسي(نشأته و أعماله)

(1202هـ/ 1787م - 1276هـ/ 1859م)

اسمه ونسبه :

هو الشيخ محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد العزيز بن شهيدة بـن محمد بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي السنوسي بن يحي بن راشد بن أحمد المرابط مناداس ابـن عبد القوي بن عبد الرحمن ابن يوسف بن زيان بن زين بن يوسف بن الحسن بن إدريس بن الخليل ابن عبد الإله بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بـن الحسـن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي[1]. فهو بهذا النسب ينتمي للسـلالة الطـاهرة الشـريفة **(سلالة آل بيت رسول الله r)**.

اشتهر الشيخ بلقب السنوسي ، ويوضح حفيده أحمد الشريف في كتابه: ((الأنوار القدسية في مقدمـة الطريقة السنوسية)) كيف جاء هذا اللقب؟:((**إن جده الرابع السيد محمد بن عبد القادر كـان إمامـا فـي التفسير والحديث حتى اشتهر بإمام المحدثين وكان من الحفاظ في وقته ، وجا ل بلاد المغـرب لطلـب العلم ووصل إلى تلمسان فنزل على قبيلة يقال لها بنو سنوسي من قبائل تلمسان فنسب إليها وتسـمى بها فصار من بعده يسمون أولادهم بهذا الاسم تبركا به**..)) والجدير بالذكر أن ابن السنوسي كان يكتب اسمه في رسائله كاملا على الشكل التالي : محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإد ريسي [2].

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير، القاهرة ، مطبعة محمد عاطف ، ميدان الخز ندار، بدون تاريخ ، ص 5 .

[2] محمد بن عثمان الحشائشي ، رحلة الحشائشي إلى ليبيا ، تقديم وتحقيق : علي مصطفى المصراتي ، بيروت، دار لبنان ، الطبعة الأولى ، 1965، ص 144 .

مولده ونشأته :

ولد محمد بن علي السنوسي في فجر 12 ربيع الأول 1202هـ الموافق ل 22 ديسمبر 1787م ، وكانت ولادته في ضاحية ميثا الواقعة على ضفة وادي الشلف قرب منطقة الواسطة بمستغانم بالجزائر وبالتحديد في دوار طرش الموجود بين قرية سيرات وجبل ينارو (دائرة يلل بولاية مستغانم حاليا) وذكر الأستاذ محمد البهي أن عائلة السنوسي تعرف في الجزائر حتى الآن بعائلة **الأطرش**[1]. وكان من الموافقات الربانية أن يولد السنوسي في يوم ذكرى ميلاد رسول الله **r** ولذلك سماه والده محمدا تيمنا وتبركا باسم النبي **r** .

نشأ محمد بن علي السنوسي في أسرته التي اشتهرت بالإضافة إلى عراقة النسب بالعلم والدين والصلاح ،فقد كان أبناء البيت السنوسي كلهم منتسبين إلى العلم، وكان والده السيد علي يجمع إلى العلم والصلاح الفروسية والرماية وقد توفي ولم يتجاوز عمر ابنه محمد السنتين فكفلته عمته السيدة فاطمة التي كانت من فضليات أهل زمانها متبحرة في العلوم منقطعة للتدريس يحضر مواعظها الرجال[2].فاعتنت بالطفل وتولت بنفسها تربيته وتثقيفه و أشغلته بعلم العقائد والتوحيد بعد أن حفظ القران ولم يتجاوز عمره سبع سنوات ، ويرى حفيده الملك إدريس أن جده بقي معها حتى بلغ سن العاشرة ، فقد توفيت عمته سنة 1212 هـ /1797م بعد أن نجحت في تربيته وغذته بمعلومات كثيرة تناسب سنه ، وعليه يمكن اعتبارها – أي السيدة فاطمة – أستاذه الأول .و بعد وفاتها كفله ابن عم له يسمى الشارف ،وكان رجل علم وفضل فتابع العناية به وراح ابن السنوسي يجمع العلوم فأتقن القرآن الكريم حفظا ووعيا، ودرس الفقه والتصوف والحديث على يد ابن عمه ثم أخذ العلم عن مجموعة من العلماء المشهورين في مستغانم ومازونة ومن بينهم الشيخ محي الدين بن شهلة، الشيخ عبد القادر بن عمور،الشيخ محمد بن عبد القادر،الشيخ محمد بن القندوز،والشيخ محمد بن خليفة والشيخ الصالح أبوطالب المازوني،والشيخ أبورأس المعسكري[3].

في هذا الوسط العلمي و هذا الجو الديني و هذه البيئة الإسلامية ،وفي هذه الأسرة ذات الحسب والنسب نشأ الإمام السيد محمد بن علي السنوسي ، وكان طموحا إلى تنسم درجات الفضل والشرف فكرس

---

[1] محمد البهي ، محاضرات في الفكر الإسلامي في مرحلته الثانية ، القاهرة ، المطبعة المنبرية ، 1957 ، ص62.
[2] محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، بيروت ، دار الفكر، 1948، ص11.
[3] نفسه ، ص11.

أيام شبابه لورود مناهل العلم الشرعي على أسسه المتينة وقواعده الصحيحة مهما كلفه الأمر،وصار بذلك علما من الأعلام وإماما تحنو لهيبته هامات الأئمة، فقد بلغ ما بلغه كبار المجتهدين الأفذاذ [1].

كان منذ حداثة سنه يميل إلى الانزواء ويمضي وقته في التأمل والتفكر حزينا على ما آل إليه حال الإسلام والمسلمين . وفي هذا الصدد يذكر **أحمد صدقي الدجاني** نقلا عن صاحب كتاب : **(السنوسية دين ودولة)**أنه حدث ذات مرة أن وجده بعض الشيوخ جالسا فوق كثيب من الرمال تبدو عليه علامات التفكير العميق فلما استوضحوه عن السبب في ذلك كان جوابه : ((**أنه إنما يفكر في حال العالم الإسلامي الذي لا يعدو عن كونه قطيعا من الغنم لا راعي له على الرغم من وجود سلاطينه وأمرائه ومشايخ طرائقه وعلمائه ، فمع أن هناك عددا كبيرا من المرشدين وعلماء الدين الموجودين في كل مكان فإن العالم الإسلامي لا يزال مفتقرا جدا إلى مرشد حقيقي يكون هدفه سوق العالم الإسلامي أجمع إلى غاية واحدة نحو هدف واحد. والسبب في هذا أن انعدام الغيرة الدينية لدى هؤلاء العلماء والشيوخ وانصرافهم إلى الخلافات القائمة بينهم قد فرقهم شيعا وأحزابا وجماعات فأصبحوا لا يعنون بنشر العلم والمعرفة ولا يعملون بأوامر الدين الحنيف .و هو دين توحيد أساسه الإتحاد وجمع الكلمة ، فلما سألوه وماذا يجب على المسلمين عمله لتلافي ما ذكرت أجاب سأجتهد،سأجتهد))**[2].

من خلال هذه الكلمات وهذا التفكير يبدو جليا كيف أن محمد بن علي السنوسي كان قد حمل على عاتقه هم الإسلام والمسلمين منذ شبابه مما يدل دلالة واضحة على اتساع أفقه والتجرد من أنانيته، وبدأ يشعر - ويا ليتنا نشعر - أن عليه واجبا تجاه أمته ينبغي القيام به ، بل انه أصبح يرى أن الواجب يفرض عليه القيام بعمله الإصلاحي وأنه مأمور بذلك .

في سنة 1220 هـ/1805م اتجه محمد بن علي السنوسي من مستغانم إلى فاس بالمغرب الأقصى ، وكانت فاس ساعتها تمثل إحدى الحواضر الإسلامية وعاصمة للدولة الشريفية العلوية وقبلة لكثير من العلماء ، إذ يوجد بها **جامع القراويين** [3] (تأسس في 245هـ /859م) .وكان ذهابه إليها بهدف التحصيل العلمي فبعد أن فرغ من الدراسة على أيدي علماء بلده طمح في الاستزادة وفكر في الارتحال . وربما هناك ظروفا جعلته يعجل بهذا الأمر، ولعل أهمها حالة عدم الاستقرار التي كانت تمر بها منطقة وهران وتلمسان ومستغانم بلدة السنوسي بالجزائر فقد ذكر صاحب كتاب: :الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى:((**أنه في سنة 1220هـ هاجت الفتنة بين عرب تلمسان والترك ، وقام باي وهران بقتل**

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 5 .

[2] أحمد صدقي الدجاني ، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ، بيروت ، دار لبنان للطباعة والنشر، 1967، ص 3.

[3] أخذ اسم الجامع من تخفيف اسم القرويين الذي كان يطلق على القسم الغربي من مدينة فاس حيث بني المسجد وذلك لأنه كان مقر المهاجرين من القيروان.أنظر : أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 46 .

بعض الطائفة الدرقاوية [1] **وأمر بالقبض على مقدمهم أبي محمد عبد القادر بن الشريف الفليتي ففر هذا الأخير إلى الصحراء، فاجتمع عليه أهل الطائفة وامتعضوا لمن قتل منهم وزحفوا مع قبائل العرب لحرب الترك فقتلهم الفريقان.....فهاجر أهل تلمسان إلى المغرب فلم يبق من الرعية أحد ولم يعودوا إلا بعد سنوات))** [2]. ويجمع الكثير من المؤرخين على أن ابن السنوسي كان درقاويا غير أنهم لم يذكروا متى انتسب لهذه الطريقة هل قبل سفره إلى فاس أم بعده ؟ !

في مدينة فاس تعرف محمد بن علي بن السنوسي على أكابر العلماء وأخذ عنهم،ومن بين العلماء والشيوخ الذين تشرف بأن درس عليهم :حمودة بن الحاج ،وحمدون بن عبد الرحمان بن الحاج (ت 1232هـ/1817م) والطيب الكيراني(ت1227هـ/1812م) ومحمد بن عامر المعواني، وأبو بكر الإدريسي، وإدريس بن زيان العرافي،وغيرهم[3].ويلاحظ أنه خلال المدة التي أمضاها ابن السنوسي في مدينة فاس اتضحت لديه أهم الاتجاهات الإصلاحية التي أقرت في شخصيته الفكرية والعلمية وتبلورت أفكاره في التجديد والإصلاح.

ويمكن أن نميز بين ثلاث معالم رئيسية ساهمت في صياغة هذه الشخصية وبلورة أفكارها وهي:

1- كانت فاس موئلا للطرائق الصوفية وميدانا خصبا لنشاطها،فتعرف عليها ابن السنوسي وراح يتردد على حلقات الذكر التي يقيمها أتباعها. ومن الطرائق التي تعرف عليها ابن السنوسي التيجانية والناصرية والحبيبية وغيرها.ولقد استمر اهتمامه بالصوفية حتى آخر عمره وبقي خطها بارزا في شخصيته حتى أنه أسس طريقة خاصة عرفت باسم الطريقة السنوسية [4].

2- اهتمامه بالدراسة الفقهية : فقد تابع محمد بن علي السنوسي أثناء تواجده في فاس دراسة الفقه على المذهب المالكي وتضلع في ذلك، باعتبار أنه المذهب السائد في معظم شمال إفريقيا، كما أن محمد ا بن علي السنوسي اطلع على فقه المذاهب الأخرى .

---

[1] الدرقاوية طريقة صوفية ظهرت في المغرب الأقصى ،مؤسسها محمد العربي الدرقاوي(ت 1823)، و ينسب إلى قبيلة درقة .
أنظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1998 ص 112 .

[2] أبو العباس الناصري، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء ، 1960 الجزء الثامن ، ص105.

[3] محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص ص 14-13.

[4] نفسه ، ص 14.

3- اهتمامه بالحركات السياسية، وظهر هذا الاهتمام خلال المرحلة الأولى من حياته في بلدته مستغانم نتيجة أوضاع الحكم المختلفة، وزاد هذا الاهتمام في مدينة فاس باعتبار أنها كانت عاصمة دولة ومركز الإشعاع العلمي.

على الرغم من أن ابن السنوسي كان تابعا ومؤيدا للطرائق الصوفية ومتبعا للمذهب المالكي إلا أنه نجح نجاحا كبيرا في تحقيق التوازن فيهما فلم يغل في صوفيته ولم يغرق في شطحاتها، كما أنه لم يغل ولم يقف عند الحروف الفقهية ولم يتجمد في فهم أحكامها بل إنه زواج بين دراستيه واتجاهيه فأكسب صوفيته طابع السنة ولجمها بحدود الشرع، واكسب فقهه طابع الروحية المتألقة. وبذلك كان مجتهدا صائبا بل وإمام المجتهدين في عصره [1].

محمد بن علي السنوسي يدرس في فاس :

لم يمض وقت طويل على وجوده في فاس حتى استطاع محمد بن علي السنوسي الحصول على المشيخة الكبرى وعين مدرسا بالجامع الكبير في فاس، فبدأ حياته العلمية الدعوية ، ومارس الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله وسرعان ما كسب ثقة العامة وأفاده ذلك في حياته المستقبلية.وكان نشاطه الدعوي التدريسي فرصة جعلته يحتك بالسلطة لأول مرة في حياته. وفي أثناء إقامته في فاس ظهر فضل السيد السنوسي ، واقبل عليه تلامذته ونال شهرة عظيمة، ولما كان حبه لمنفعة الإسلام المسلمين ورغبته في أن يرى العدل باسطا جناحيه على أهل السلطنة خاصة وعلى شعوب الإسلام قاطبة هما كل ما يريد في حياته، فقد أكثر من الموعظة الحسنة في دروسه وجرب مع الآهلين وأصحاب الشأن بمقر السلطنة في فاس طرق الإرشاد بالحسنى تارة وبالشدة تارة أخرى.لكن دعوته إلى العدل والخير وجمع كلمة المسلمين وتطهير النفوس والابتعاد عن المنكر لم تثمر ثمرتها ،بل إن كل ما حدث هو تنبه حكومة السلطان سليمان إلى هذه الدعوة وتلمس الخطر من جانبها خشية أن تنقلب الدعوة الدينية إلى أخرى سياسية قد تعصف بالسلطنة على غرار ما يحدث منذ أزمنة بعيدة حيث كانت تبتدئ الحكومات في هذه الديار أولا بالمشيخة والإرشاد ثم تنتهي بالحكم والسلطان، وعلى ذلك شددت الحكومة في مراقبة السيد فوجد أن لا فائدة ترجى من بقائه في فاس[2].

من خلال ما تقدم يبدو أن السيد محمد بن علي السنوسي كان معتزا بنفسه متعصبا للحق يرفض أن يكون أداة في يد غيره، وعليه فقد فكر في مغادرة فاس. ومن الممكن أن السلطان سليمان قد نظر إلى اعتبارات نسب السنوسي للأدارسة بالإضافة إلى علمه وشرفه فخشي من مزاحمته. ومما شجع الشيخ على مغادرة فاس أنه فد أخذ كفايته من الدراسة على يد علمائها و مشايخها.

---

[1] أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 51.
[2] محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص14.

رحلته إلى الحجاز:

غادر ابن السنوسي فاس سنة1235هـ/1819م، وكان يتطلع إلى أخذ العلم من علماء جدد ولعل مكة المكرمة هي المرتع الخصب لهؤلاء العلماء ففكر في الذهاب إليها، إلا أنه قبل ذلك اتجه من فاس إلى صحراء الجزائر بنية التعرف على أشهر الزوايا، وكان ذلك في وقت بدأت فيه فرنسا تبسط سيطرتها على الجزائر ولعل هذا هو الدافع الرئيس الذي جعله يتجه نحو الصحراء، فوصل إلى عين مهدي [1] (بولاية الأغواط حاليا) وبقي بها مدة قصيرة ومنها توجه إلى الاغواط التي مكث فيها مدة زمنية يلقي دروسا في الفقه والشريعة،ومنها توجه إلى مسعد(**دائرة بولاية الجلفة حاليا**) وفيها تزوج من امرأة تدعى منة بنت محمد بن عبد الرحمان غير أنه سرعان ما طلقها بسبب رفضها مصاحبته في رحلته، ثم اتجه إلى الجلفة فبوسعادة وفي كل منها كان يقوم بمهمة التدريس[2] . ومما يذكرانه بعد مغادرة فاس وقبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عاد ابن السنوسي إلى مستغانم وتزوج بإحدى بنات عمومته التي أنجب منها طفلا سرعان ما توفي. وقبل مغادرته مستغانم نشب خلاف بينه وبين أقاربه الذين كانوا قد استولوا على أملاكه.

فكر محمد بن علي السنوسي في الذهاب إلى مكة فقد شده الشوق إلى بيت الله الحرام ، ثم إن وجوده فيها فرصة تمكنه من الالتقاء بكبار العلماء لاسيما وان أحد مشايخه نصحه بقوله: ((**إن الارتحال صعب فإذا أردت أن تستزيد من العلم فما عليك إلا السفر إلى مكة حيث ملتقى جميع علماء المسلمين**)) [3] .

غادر محمد بن علي السنوسي الجزائر فاتجه من بوسعادة نحو الجنوب فمر بقرية **تيماسين** (إحدى دوائر ورقلة حاليا) ، وأغلب الظن أنه مر بوادي سوف ومنه دخل جريد تونس[4] ،ثم واصل سيره حتى وصل إلى مدينة تونس فاتجه إلى جامع الزيتونة فتعرف على شيوخها واستفاد منهم .ومن تونس اتجه إلى طرابلس.وكان من طبعه أن يوطد العلاقة مع الذين يتعرف عليهم ،ففي مدينة **زيلتن** بليبيا تعرف على عمران بن بركة الذي حاول مرافقته إلا أن محمد بن علي السنوسي طلب منه الانتظار حتى يرسل إليه . وساعده على تعلق الناس به خلق كريم وطلعة بهية وقبول من رب العالمين.

---

(1) تعرف حاليا باسم عين ماضي وتوجد على مسافة 78كم من مدينة الأغواط بوابة الصحراء الجزائرية .أنظر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق،محمد الصغير بناني وآخرون،الجزائر،الطبعة الثالثة، دار الأمة ،1998، ص111.

(2) محمد فؤاد شكري ،المرجع السابق، ص 14.

(3) أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق ، ص59.

(4) أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 247 .

اتجه ابن السنوسي نحو مدينة بنغازي ومنها إلى مصر فدخل القاهرة التي يوجد بها جامع الأزهر الذي يمثل هو الأخر إحدى الحواضر الإسلامية فاتجه إليه ولاحظ بأم عينه الوضعية التي أصبح عليها هذا الصرح العلمي إذ أنه لم يعد يؤدي رسالته العلمية التي كان يؤديها من قبل ،وخاب أمله في نوعية الدراسة الموجودة من حيث أن هناك نقصا ملحوظا في النشاط الروحي و الدراسة الصوفية، خاصة في ظل حكم محمد علي باشا الذي كان في هذه الفترة مشدوها إلى التطور العلمي الذي يشهده العالم الغربي. وعليه فان ابن السنوسي لم يبق طويلا في مصر وربما كانت الشكوك تحوم حوله، حتى أن بعض علماء الأزهر اتهموه بالابتداع في الدين ، فخرج من مصر إلى الحجاز[1].

وصل محمد بن علي السنوسي إلى مكة المكرمة سنة 1240هـ/ 1825م ، وكانت ساعتها تخضع لسلطة محمد علي باشا حاكم مصر الذي قضى على نفوذ الوهابيين .وفي مكة راح السنوسي يتعرف على العلماء ويأخذ عنهم لاسيما وأن هؤلاء العلماء يمثلون مختلف المذاهب والمدارس الفكرية ففيهم الصوفي والمالكي وفيهم السلفي الوهابي مما أتاح له فرصة الإطلاع على هذه الاتجاهات.ولعل من بين أهم العلماء الذين تعرف عليهم الشيح السنوسي وتأثر بهم غاية التأثر واخذ عنهم أبو سليمان عبد الحفيظ العجمي مفتي مكة وقاضيها ،وأبو حفص عمر بن عبد الرسول العطار، وكذلك أحمد بن محمد الدجاني، غير أن أهم شخصية شدت انتباهه ووجد فيها ضالته المنشودة هي شخصية **أحمد بن إدريس** الملقب **بأبي العباس العرائشي** (وهو من أصل مغربي) وقد اشتهر بالصلاح والتعمق في الدراسة الفقهية والطرق الصوفية، وقد جمع بين الاتجاهين الصوفي والسلفي[2]. فلازمه السنوسي ودرس عليه الحديث والسنة، وكان ابن إدريس يجليه كثيرا ويتفرس فيه الخير والصلاح. وأثناء تواجده في مكة تزوج ابن السنوسي زوجته الثانية السيدة خديجة الحبشية بإيعاز من شيخه أحمد بن إدريس .

والملاحظ أن علماء مكة الموالين للدولة العثمانية قد ضاقوا ذرعا بابن إدريس فتحرشوا به لدى الحكام الذين اضطهدوه واضطروه إلى الهجرة إلى منطقة عسير في اليمن فصحبه ابن السنوسي الذي بقي معه حتى وفاته سنة 1250هـ/1835م .و بعد وفاة ابن إدريس عاد محمد بن علي السنوسي إلى مكة وقد التف حوله عدد معتبر من الأتباع ، فقام ببناء أول زاوية له في الحجاز على جبل أبي قبيس بجوار بيت الله الحرام بمكة المكرمة وذلك في 1252هـ/1837م. وكان بناؤها إيذانا بتأسيس الحركة السنوسية، ووفاء لشيخه ابن إدريس الذي كان قد أمره بأن يدل الخلق على الله وأن يجذب الطالبين إليه[3] .

---

[1] سعيد مراد ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا،القاهرة،الطبعة الثانية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1999، ص 274 .

[2] أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق ، ص 68.

[3] نفسه ، ص 74 .

انطلاقا من هــذه الزاوية بدأ السنوسي يلقي الدروس في مكة ويعلم المجتمعين حوله من طــلاب العلم، ولم يمض وقت طويل حتى كسب قلوب الكثيرين الذين أعجبوا بعلمه وتقواه. وكانت إقامته الطويلة في الحجاز (قرابة الثلاثين سنة) فرصة تعرف من خلالها على العلماء ووفود الحجيج بل وتعرف علــى حقيقة الداء الذي ابتليت به الأمة.وكان يرى في وفود الحجيج التربة الخصبة التي يستطيع من خلالهــا أن يبذر فيها دعوته ويختار من يصلح لمعاونته، وهذا ما حدث فقد استجاب لدعوته عدد معتبر مــن أهــالي طرابلس الغرب والحجاز وأصبحت **زاوية أبي قبيس** مركزا لأولئك المريدين الذين اقبلوا على العبــادة والذكر كما هو حال الصوفية في كثير من المناطق إلا أن الشيخ راح يوجه أتباعه إلى ما فيــه خيــرهم وخير مجتمعهم عن طريق بناء الزوايا والمساجد والعمل في سبيل نشر الإسلام وإقامة مجتمع إسلامي[1].

محمد بن علي السنوسي يغادر الحجاز:

ما من شك أن كل دعوة وكل حركة –وخاصة إذا كانت كالسنوسية – أن يعترض طريقهــا الحســاد والحاقدون ، وعليه فان سرعة الاستقطاب التي تميزت بها الدعوة السنوسية حركت ضدها عداوة شيوخ مكة وعلمائها المؤيدين من الدولة العثمانية الذين تضايقوا لمخالفته إياهم وقوله بالاقتصــار علــى إتبــاع الكتاب والسنة. وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد فؤاد شكري:

((و كان مما أخاف السلطات الحكومية أن السيد محمد بن علي السنوسي ظــل يتصــل بأبنــاء أستاذه ابن إدريس في صبيا وهي أرض وهابية ، وكان العداء مستحكما بــين الحكومــة العثمانيــة والأشراف بمكة وبين الوهابيين)) [2] .

''وهذا ما يدل على أن هناك أسبابا سياسية جعلته يغادر مكة فضلا على أن أتباعه ومريديــه من أهل المغرب وجهوا إليه دعوة لزيارتهم ، يضاف إلى ذلك أنه اشتاق إلى وطنه الجزائر الــذي ســقط فريسة في أيدي الاحتلال الفرنسي.وعليه وأمام هذه الدوافع وتحت ضغط الدولــة العثمانيــة فضــل ابــن السنوسي مغادرة الحجاز إلى مصر سنة 1255 هــ /1840م'' [3].

كان خروج السنوسي من الحجاز بعد أن اكتملت شخصيته الدعوية ، فأصــبحت لــه طريقــة صوفية خاصة يلقنها لأتباعه وصار له اجتهاده الخاص في المذهب المالكي. وهكذا- وبعد مغــادر تــه – مكة دخل الشيخ السنوسي إلى مصر - وكانت قد استقلت عن الدولة العثمانية - وفيها حظي باستقبال

---

(1) أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 74.

(2) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص21.

(3) أحمد عيساوي ، الشيخ محمد بن علي السنوسي الجزائري ، مجلة الثقافة والتراث ، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعية الساجد للثقافة والتراث العدد 36 ، 2002 .

كبير من طرف علماء الأزهر فقد قام أحد المشايخ وخاطب العلماء قائلا لهم :((**أيها العلماء لقد حل بين أظهركم إمام الأمة المحمدية ونبراس الشريعة المطهرة وشمس سماء المعارف الإلهية ،ألا وهو الشيخ الكامل محمد بن علي السنوسي**)) [1].

غادر ابن السنوسي مصر إلى ليبيا التي لم يمكث فيها طويلا ، فاتجه نحو قابس في تونس يحدوه الشوق إلى الجزائر، غير أن التواجد الاستعماري الفرنسي فيها حال بينه وبين تحقيق أمنيته في الدخول إليها ، فندب العلامة السيد محمد بن صادق احد تلامذته وحمله بعض الأموال والأسلحة لتوصيلها خفية إلى الأمير عبد القادر الجزائري[2] مما يدل دلالة واضحة على مدى اهتمام الشيخ السنوسي بقضية بلاده الجزائر التي أصبحت تؤرقه وتشغل باله.

على الرغم من المانع السابق الذكر إلا أن الشيخ السنوسي لم ينس واجبه تجاه بلاده الجزائر فكان يعمل على تقوية الثورة هناك ومدها بالأموال والرجال ما استطاع إلى ذلك سبيلا إلى درجة أن الفرنسيين حملوه في بعض الوقت المسؤولية عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر، وأنها السبب في الثورات المختلفة كثورة محمد بن عبد الله في صحراء الجزائر (1848-1861) وثورة محمد بن تكوك في الظهرة (1881) [3].

وعليه فإن ابن السنوسي ساهم مساهمة فعالة في جهاد الجزائريين ضد الفرنسيين،وكانت مساهمته عينية من خلال إرسال الأموال والأسلحة ومما يعضد هذه المساهمة ذلك الخطاب الذي أرسله أحد أتباعه في ورقلة إلى مدير غدامس التركي ، ويدل الخطاب على أن الدعوة السنوسية بلغت الجزائر وأن عددا من أتباعه كانوا يقاتلون الفرنسيين فيها.وقد أرسل الخطاب سنة 1268هـ/ 1853م وكان ابن السنوسي ساعتها في الحجاز، ومن بين ما جاء في هذا الخطاب :

((....وأما أنا عبد الله حين قدمت بلاد وار قلة ففتح الله علينا بها وصارت محمدية بعد ما كانت في يد الرومي دمره الله وخليفة الرومي فيها ، سبحان من حكم الضعيف في القوي وصار القوي من عبده مخذولا مذموما ، ولكن من بركة الشريف شيخنا سيدي محمد بن علي السنوسي رضي الله عنه ونفعنا وإياكم به، أمين . وصار عربان وار قلة وقصورها وقبائل الشعامبة وقصور تغورت وعربانها والأرباع والحرزلية والحجاج وكثير من عربان الظهيرة وقصور بني مصاب(بني ميزاب) **كلهم تحت طاعة الله ورسوله وطاعتنا ، والمجاهدون كل يوم في الزيادة... وبعث لنا الرومي هذه الساعة ثلاث أمحل ..**

---

[1] محمد بن عثمان الحشائشي ،المرجع السابق ، ص17.

[2] محمد الطيب الأشهب، المرجع السابق، ص 103.

[3] علي محمد محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، القاهرة ، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 45 .

تلاقينا معهم وصرنا مثل الشامة البيضاء في ثور أسود فنصرنا الله نصرا عزيزا وأعلننا على أعدائـــه ، ووقع القتال بيننا بالبارود والسيوف حتى كسرناهم كسرة عظيمة وقتلنـــا مـــنهم نحوثلاثمائـــة وســـتة وثمانين رجلا وقلعنا من الخيل كثيرا والبنادق بلا عدد والخزنـــة والإبـــل والأخبيـــة والحمـــد لله علـــى ذلك...))[1].

وعندما قدم محي الدين الجزائري برفقة ولده وأشراف قومه إلى مكة سنة 1827 التقى بهـــم ابـــن السنوسي وأكرمهم غاية الإكرام ، وأثناء وداعهم له قال لهم : ((**إن الدين الإسلامي يحتم على كل مســـلم أن يدافع عنه بقدر استطاعته ويحرم على المسلمين الاستسلام للعدو الغاصـــب المعتـــدي والمنتهـــك لحرمات الدين والإسلام والمعطل لأحكام الله وإني استوصيك بولدنا عبد القادر هذا خيـــرا فإنـــه ممـــن سيذود عن حرمات الإسلام ويرفع راية الجهاد**)) [2].

السنوسي يؤسس الزاوية البيضاء في برقة :

عاد الشيخ السنوسي إلى طرابلس ومنها إلى برقة التي أسس فيها **الزاوية البيضاء** خاصة وأنه وجد ترحابا من البرقيين ، وكان تأسيسها سنة1258هــ/1842م وأطلق عليها لقب الزاوية الأم واتخـــذ منهـــا مركزا لدعوته ، وكان تأسيسها في أعلى الجبل الأخضر غير بعيد عن قبر الصحابي الجليـــل **رافـــع بـــن ثابت الأنصاري** رضي الله عنه ، وكان السيد السنوسي يهدف إلى جعل الزوايا بمثابة القلاع التي تقـــوم بصد المعتدين خاصة وانه كان يتوقع هجوم الأعداء عليها . وخلال وجوده في الزاويـــة البيضـــاءتزوج ابن السنوسي من فاطمة ابنة أحمد بن فرج الله [3].

وفي سنة 1260هــ/ 1844م أنجبت زوجته فاطمة مولودها الأول بزاوية البيضـــاء وســـماه محمـــد المهدي ، وبعد سنتين وضعت مولودها الثاني وسماه محمد الشريف، ويبدو أن ابن السنوســـي لـــم يكـــن موجودا في البيضاء عند ولادته، فقد كتب إليه عمران بن بركة يهنئه بالمولود ويسأله عن اســـمه فـــرد عليه قائلا : ((**إننا لانحيد عن أسماء النبي ﷺ وإنما يختلفون في الألقاب والكنى ، فكمـــا ســـميت الأول محمد المهدي ليحوز أنواع الهداية فسم هذا محمد الشريف ليحوز أنواع الشرف**)) [4].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي_ ، المرجع السابق ، ص 48.

[2] عبد القادر بن عبد المالك بن علي،الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ، دمشق ، مطبعة دار الجزائر العربية، 1966،الجزء الأول ، ص 44 .

[3] أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 90 .

[4] عبد القادر بن عبد المالك ، المرجع السابق ، ص 58 .

عودة ابن السنوسي إلى الحجاز :

بعد أن مكن لدعوته في برقة واطمئن على حسن سيرها وبعد أن خلف وراءه عددا من الأتباع والإخوان يشرفون على النشاط الدعوي عاد إلى بلاد الحجاز ، ومما يلفت الانتباه أن الشيخ محمـــد بـــن علي السنوسي كان يخطط التنظيم بحيث يكفل للعمل الاستمرارية بغض النظر عن وجوده أو عدم وجوده.

أثناء تواجده بالحجاز – التي أقام بها ثماني سنوات – كان ابن السنوســـي يســـتغل مواســـم الحـــج ويتعرف على الناس ويدعوهم إلى طريقته ويضمهم إلى دعوته ، وفي ذات الوقت كان علـــى اتصـــال بأتباعه في برقة يصدر إليهم التعليمات ويوجههم . ورغم المعارضة التي كانت تواجه دعوته من قبـــل المتحاملين والمناوئين فإن دعوته وجدت إقبالا من الناس وانتشرت قي الحجاز و الـــيمن واقبـــل ابـــن السنوسي على تأسيس زوايا أخرى في المدينة المنورة والطائف والحمراء وينبع وجدة .وانكب على تعليم مريده الفقه والعلوم الأخرى ،كما أنه اهتم بالتأليف حيث أنه ألف عددا من الكتب .

وعندما توسط ابنه محمد المهدي سن السابعة أرسل إلى الإخوان في برقة يطلب منهم أن يوجهونـــه إليه ،فجاءوا به إلى المدينة المنورة فسر به سرورا عظيما وطلب لوح قراءته فوجد أوله :{**وإنـــك لعلـــى خلق عظيم**} سورة القلم ، الآية4 . فازداد سرورا ... ثم زوره الروضة الشريفة ولقنه بعض الأدعيـــة ، ثم زوره المآثر التي في المدينة كمسجد القبلتين وقبر سيدنا حمزة.. [1] .

كان ابن السنوسي قد تزوج زواجه الرابع من السيدة بدرنة البسكرية ابنة الســـيد حســـن البســـكري ورزق منها مولودا لم تكتب له الحياة . وعندما بلغ محمد المهدي سن التاسعة تركه ابن السنوســـي الـــذي توجه إلى مكة مع زوجته بدرنة في المدينة المنورة التي اعتنت به و أكرمت مثواه . وفي سنة 1269هــ /1853م أرسل ابن السنوسي إلى ابنه المهدي يطلب منه القدوم إلى مكة ،وكان قد أرسل إلى أهالي برقـــة يطلب منهم استقدام ابنه محمد الشريف فحملوه إليه .

يذكر بعض المؤرخين على أنه كان في نية ابن السنوسي أن يتجه من الحجاز إلى بـــلاد الشـــام وزيارة بيت المقدس ألا أن الظروف لم تسعفه على ذلك فعاد إلى برقة في غرة ربيع الأول 1271هـــــ/ 1854م ونزل بقصر العزيات بالجبل الأخضر. وبعد سنتين قضاها في برقة قرر ابن السنوسي التحول إلى منطقة الجغبوب بالجنوب . وكان يريد بذلك التوغل في الصحراء ، وخاصة بعد أن شعر بتذمر

---

[1] محمد الطيب الأشهب ،_المرجع السابق_ ، ص 43.
.

السلطات الحكومية(العثمانية) من نشاطه، كما شعر بدنو استيلاء الأجانب على تلك الديار.ويلاحظ أن الجغبوب بعد أن نزل بها ابن السنوسي تحولت من واحة مالحة يأوي إليها الدعار واللصوص ولا تجسر القوافل أن تمر بها إلى مهد أمان ومركز عبادة ومشرق أنوار فغرس فيها الأشجار واستنبط العيون وتوسع في البناء ، وأسس فيها مدرسة لتخريج المريدين أجلس فيها خيرة العلماء[1].

محمد بن علي ا لسنوسي الداعية:

لم يكتف ابن السنوسي بان يكون عالما فحسب بل عمل على أن يقرن العلم بالعمل ، بل إنه من خلال استقراء سيرة الدعوة السنوسية نجد أنها جمعت بين ثلاثية العلم والعبادة والعمل ، وعليه راح ابن السنوسي يعمل على تطبيق أفكاره بنفسه ويسعى لتطوير هذه الأفكار، ففي أول دعوته كان يحث مريده على الصلاة والصوم والذكر ((كما هو الشأن بالنسبة لأصحاب الطرق الصوفية) غير أنه عندما تبين له خطأ الاقتصار على الشعائر التعبدية أمر ببناء الزوايا والمساجد، وحدد هدفه بدقة ، واتبع الأسلوب الناجح للوصول إلى هذا الهدف . وقد اختار الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة أسلوبا له ، كما تعمق في فهم المجتمع الذي أراد دعوته في برقة والحجاز ونجح في مهادنة السلطة العثمانية، وكان يتصف بالحزم في قيادته بالإضافة إلى الحلم والمرح ، وكان يعطي المثل من نفسه في ضبط النفس ، وأحيانا يدمج نفسه بين أهل الحرف ويقول لهم وهو يشتغل معهم : ((**يظن أهل الوريقات والسبيحات أنهم سيسبقوننا عند الله ، والله ما يسبقوننا**)) [2].

مما لاشك فيه أن عالما كبيرا وداعية مجتهدا مثل السيد محمد بن علي السنوسي بما توفر لديه من بعد نظر ورأي سديدين كان يبدي آراءه وينشرها بين أتباعه ، ولهذا كان مضطرا في بعض الأحيان إلى كتابة هذه الآراء والاجتهادات ، وعليه فقد ألف الإمام السنوسي مؤلفات كثيرة في مختلف المجالات نذكر من بينها :

- المسائل العشر ، المسماة : بغية المقاصد في خلاصة الراصد، موضوعه عشر مسائل فقهية خالف فيها السنوسي مشهور مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى .
- السبيل المعين في الطرائق الأربعين.
- إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن.
- المنهل الروي الرائق في أسانيد العلم وأصول الطرائق.

---

[1] لوثروب ستودارت ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عادل نويهض ، تعليق وإضافات شكيب أرسلان ،القاهرة ، دارالطباعة ، عيسى البابي الحلبي ،الجزء الثاني ، 1934، ص 141.

[2] نفســـــــــــه ، ص 143.

- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية.
- المسلسلات العشر في الأحاديث النبوية.
- رسالة مقدمة موطأ الإمام مالك رضي الله عنه.
- شفاء الصدر باري المسائل العشر .

بالإضافة إلى هذه الكتب وغيرها هناك عدة مخطوطات تنسب إلى الشيخ السنوسي ،نذكر منها :

- الشموس الشارقة في أسانيد شيوخنا المغاربة والمشارقة .
- البدور السافرة في عوالي الأسانيد الفاخرة.
- هداية الوسيلة في إتباع صاحب الوسيلة.
- طواعن الأسنة في طاعني أهل السنة .[1].

منهج ابن السنوسي في إصلاح المجتمع :

إن ابن السنوسي باعتباره إماما مجددا ومصلحا اجتماعيا قد وضع منهجا سار عليه علماء الحركة من أجل توحيد المجتمع على كتاب الله وسنة رسوله r ، وكانت معالم هذا المنهج تتمثل في :

أ- **وحدة العقيدة** : فقد أدرك ابن السنوسي أنه لا يمكن تقوم وحدة للمسلمين ما لم تجمعهم عقيدة واحدة ، وهي القاعدة الأساسية التي تقوم عليها الأعمال و العلاقات وبدونها فإن البناء لا يستقيم ولا يستطيع أن يواجه الأعاصير والفتن حتى ينهار. ورأى الشيخ السنوسي أن العقيدة التي تصلح لجمع شتات المسلمين هي مكان منبعها كتاب الله وسنة رسوله r ، وأن سلامة الاعتقاد وصحته هي الطريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم المترابط المتآلف . ولا سبيل إلى اجتماع الأمة الإسلامية قاطبة ووحدة صفها وعزها وسعادتها في الدنيا والآخرة إلا بالعودة الصحيحة إلى الإسلام الصافي الخالص من الشرك والبدع و الأهواء والتعصب وإتباع العوائد الفاسدة [2]. قال الله تعالى : { **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** } سورة النساء،الآية 115.

---

[1] المهدي بن شهرة ، الطرائق الصوفية في الجزائر السنية ،الجزائر ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، 2004 ، ص 36.

[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص87 .

ب- **تحكيم الكتاب والسنة** : أيقن ابن السنوسي وإخوانه من علماء الحركة أنه لا فلاح للمسلمين في الدنيا ولا نجاة لهم في الآخرة إلا بتحكيم الكتاب والسنة على مستوى الأفراد والجماعات والقبائل ومن ثم على مستوى الدولة .

ج - **صدق الانتماء إلى الإسلام** ، بين أن من أسباب جمع صفوف الأمة وتحقيق الوحدة بينها الدعوة إلى الالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، فإن المسلمين وفق هذا المنهاج يشكلون أمة واحدة في مقابلة التجمعات البشرية التي يغص بها العالم اليوم .

د- **طلب الحق والتحري في ذلك**: وهذا الأصل من شأنه أن يقوي وحدة صف العاملين في حقل الدعوة، ذلك أنه لا توجد منزلة ثالثة بين الحق والباطل {**فماذا بعد الحق إلا الضلال** } سورة يونس الآية 32.

هـ - **تحقيق الأخوة بين أفراد المجتمع** : أيقن ابن السنوسي أنه بتحقيق الأخوة بين القبائل وأتباع الحركة تتحقق وحدة الصف. وقد أورثتهم هذه الأخوة شعورا عميقا، ،ومحبة وودا واحتراما فيما بينهم[1] .

وفاة محمد بن علي السنوسي :

في سنة1273هـ/ 1856م أرسل ابن السنوسي أحد الإخوان وهو السيد عبد الرحيم إلى الحجاز للإتيان بابنه محمد المهدي ،وبعد ذلك بسنتين استقدم ابنه محمد الشريف ، وكان قد أحس بدنو أجله خاصة وأن المرض اشتد عليه، فكان يصارعه بالصبر وقوة العزيمة. ومهد الأمور لتولي ابنه المهدي زعامة الحركة السنوسية [2].

وكانت وفاته بزاوية الجغبوب يوم الأربعاء 9 صفر 1276هـ/1859م بعد حياة عامرة بالعلم والعبادة والعمل .

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص 90-91 .

[2] أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 124 .

المبحث الثاني: الحركة السنوسية ومنهجها الإصلاحي

(تنظيميا، تربويا ، سياسيا)

إن الحركة السنوسية وهي تشق طريقها نحو إصلاح المجتمع وإقامة بنيانه قد أدركت منذ الوهلة الأولى أن هذا العمل الهام لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل نشاط دائم وصبر كبير، وان تحقيق الأهداف الكبيرة لا يتم إلا في ظل الأخذ بمختلف الأسباب والو سائل التي من شأنها أن توصل إلى ذلك .وعليه فإن الحركة السنوسية لم تستنكف أن تأخذ بالوسائل التي أتيحت لها ،مما أضفى عليها طابع التكامل وجعلها تختلف عن غيرها من الحركات والطرق الصوفية التي اقتصر نشاطها في معظمه على الشعائر التعبدية (صلاة، صوم ،ذكر) في حين أن نشاط الحركة السنوسية يكاد يكون موازيا لنشاط دولة بأجهزتها المختلفة . وباختصار فإن الدراسة المعمقة في مسيرة الحركة السنوسية بينت أن القائمين عليها قد أخذوا بالبعد التنظيمي والبعد التربوي والبعد السياسي في خطوط متوازية فكانت هذه الأبعاد مكملة لبعضها البعض.

انطلاقا من هذا المفهوم يقول المفكر أنور الجندي : ((**أولى الحركات التي انبعثت من دعوة التوحيد هي: السنوسية وهي حركة ودعوة قد صيغت على جامع محرر لمفهوم الإسلام المتكامل بين التصوف والفقه والعقيدة . وهي ذات صلة بالنسب مع مفاهيم دعوة التوحيد ، وهي في نفس الوقت تشكيل اجتماعي تربوي على نمط الصوفية ودعوات الفتوة والاجتهاد متحررا من الأخطاء والانحرافات التي وقع فيها بعض الصوفية . وإذا كانت دعوة التوحيد قد استطاعت أن تقيم دولة ، فإن الحركة السنوسية قد استطاعت أن تكون جيلا قادرا على أن ينشر الإسلام في أنحاء إفريقيا ويشكل في نفس الوقت كتائب الجهاد في سبيل الله ، والإنماء الاقتصادي والاجتماعي أيضا**)) [1] .

---

[1] أنور الجندي ،العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، 1979، ص 260 .

1- البناء التنظيمي

إن أهم ما يلفت الانتباه في البناء التنظيمي للحركة السنوسية هو نظام الزوايا الذي تميزت به عن غيرها من الحركات والطرائق الصوفية. فكلمة الزوايا تطلق عند الطرائق الصوفية على مكان يختلي فيه أتباع الطريقة والقائمون عليها بأنفسهم ويتقربون إلى الله بالعبادة منقطعين عن الناس وعن الحياة مكتفين بكفالة الناس لهم ،على يد رجال القوافل الذين يضربون في الطرق الصحراوية وينزلون بهذه الزوايا التي غالبا ما كانت مواقعها في أماكن خلوية، أو ما يوقف على الزاوية من أوقاف يحتسبها مشايخ القبائل المجاورة للزاوية تقربا إلى علمائها المشرفين على طريقتها الصوفية. أما الزوايا السنوسية فهي تختلف عن غيرها من الزوايا الأخرى من حيث الشكل والمضمون، ومن حيث تنظيمها ورسالتها [1].

لقد استطاع ابن السنوسي بدهائه وعلمه وقبل ذلك بتوفيق الله له أن يطور مفهوم الزوايا بحيث أصبحت الزاوية تمثل النواة الأولى لمجتمع تحكمه سلطة وعليه واجبات . وقد تحدث هو نفسه عن الزاوية فقال في إحدى رسائله التي أرسلها إلى مصطفى باشا حاكم فزان:((**والزاوية في الحقيقة إنما هي بيت من بيوت الله ومسجد من مساجده... والزاوية إذا حلت بمحل نزلت فيه الرحمة وتعمر بها البلاد ويحصل بها النفع لأهل الحاضرة والباد لأنها ما أسست إلا لقراءة القرآن ولنشر شريعة أفضل ولد عدنان**)) [2].

ومما يلفت الانتباه أن الزوايا التي أقامها السنوسيون كانت عبارة عن خلايا تمتد هنا وهناك وتنطلق منها الحياة الصالحة إلى سائر جسم الأمة الإسلامية وتوجيه الحياة العامة توجيها سديدا ، فأصبحت مراكز إصلاح إنساني متكامل من الناحية الدينية والاقتصادية [3].

وكانت زاوية أبي قبيس التي أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي في مكة سنة 1252هـ/ 1837م منطلق الدعوة السنوسية . وكان تأسيسها في مكة المكرمة له أكثر من دلالة ، ففيها نزل الوحي وبها البيت الحرام قبلة المسلمين، وفيها ولد رسول الله r وعلى أرضها درج الصحابة الكرام عليهم الرضوان .

وفي سنة1256هـ/ 1842م أسس ابن السنوسي **الزاوية البيضاء** في برقة (أم الزوايا) وهي أول مركز للدعوة السنوسية في ليبيا . وبعد تأسيسها انتشرت الزوايا السنوسية في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي ، وكان انتشارها دليلا واضحا على تقبل الناس لهذه الدعوة.

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص93 .
[2] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 143.
[3] محمد طه الجابري،دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي ، بيروت ، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ، 1983، ص 290.

مــوقع الزوايــا_:

لم يكن اختيار مواقع الزوايا اختيارا عشوائيا، بل كان الســادة السنوســيون يراعــون فــي اختيار هذه المواقع الظروف المختلفة ، فمن الناحية السياسية انتشرت الزوايا فــي الــداخل أكثــر مــن انتشارها في الساحل وهذا تحاشيا لأي صدام يقع بين السنوسيين والعثمانيين ، وعليه فقد كتب محمــد بن علي السنوسي إلى المشير محمد أمين باشا والي طرابلس الغر ب العثماني يقول له: ((**وأما نحن فقــد ألفنا ما اعتدناه ورضيت به نفوسنا، فنريد بذلك أن تكون تلك العمارة مستمرة ونفوس سكانها مستقرة ، ليصل المقصود منها ، ويدوم من تعلم العلم وتعليمه وإقراء القرآن وتفهيمه ، وإقامــة شــعائر الــدين للوافدين عليها والمقيمين بها**)) [1].

ومن الناحية الإستراتيجية كانت معظم الزوايا تقام على مناطق مرتفعة وحصينة حتى يمكن الدفاع عنها ضد المعتدين وقد أقيمت الكثير من الزوايا على أنقاض الأطلال الإغريقية والرومانية حتــى يمكــن الاستفادة من أحجارها في عملية البناء . ولتوضيح البعد الإستراتيجي في بناء الزوايا أنه أثناء بناء زاويــة الجغبوب قال الشيخ محمد بن علي السنوسي لأتباعه : ((**الطير له عقل أم لا؟ فقالوا : لا عقل له ، فقــال: هو لا يضع بيضه إلا فوق جبل شامخ حتى لا يلحقه ذئب ولا ثعلب ولا غيرهما. قال واليربوع له عقل ؟ فقالوا له : لا، فقال: هو يجعل في جحره طريقة وهي النفقاء (أي حفرة يخرج منها إلــى جهــة أخــرى تعرض للاعتداء). وقال تلقونها أحسن المحلات إذا أتى الحنش الأسود(الأطماع الايطالية) عليهــا مــن هنا)). وأشار بأصبعه السبابة من المشرق إلى المغرب** [2] .

أسلوب بناء الزوايا :

تبنى الزاوية عادة بالاتفاق بين إحدى القبائل التي ترغب في البناء مع ابــن السنوســي أو ممثلــه ، ويكون البناء وفق الأسلوب التالي:

- تبنى الزاوية في الأرض المختارة بالاتفاق مع القبيلة.
- يختط الشيخ زاويته في الموضع المتفق عليه وتكون أرضها وقفا .
- تكون تكاليف بناء مسكن الشيخ والمسجد والمدرسة على عاتق الأهالي .
- للزاوية حرم كبير يحيط بها من الجهات الأربع يكون آمنا لمن دخله واستجار به، ولا يجوز أن يطلق داخله الرصاص ، أو أن تقع فيه المشاجرة ،أو رفع الصوت بالغناء أو الخصام.
- يرسل ابن السنوسي عددا من الإخوان بينهم من يشتغل بالبناء والعمارة والتجارة وكل المهارات التي تحتاج إليها القبيلة في تشييد الزاوية [3].

---

[1] رأفت الشيخ ، تاريخ العرب الحديث ،القاهرة ، النورس للطباعة ، 2003 ، ص 343 .
[2] أحمد صدقي الدجاني، أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين 18و19 ، طرابلس ، دار المصراتي ، 1968، ص 83 .
[3] عبد الجليل الطاهر ، المجتمع الليبي ، بيروت ، المكتبة العصرية صيدا ، 1969 ، ص 314.

وفي العادة فإن البناء يستغرق مدة زمنية قد تصل إلى سنة أو أكثر. وتتضمن الزاوية مسجدا ودارا لإقامة الشيخ وأسرته وبيوتا لوكيل الزاوية ومعلم الأطفال ، ومساكن للضيوف والخدم ومخزنا لحفظ المؤن وإسطبلا وبستانا ومتجرا على الأقل وحجرة خاصة بالفقراء الذين لا عائل لهم وفرنا لسد حاجة السكان من الخبز [1].

وظائف الزوايا :

من خلال اطلاعنا على الكثير من المراجع التي اهتمت بمعالجة موضوع الحركة السنوسية تبين لنا أن معظم هذه المراجع- إن لم نقل كلها - اتفقت على أن الزوايا السنوسية انفرد ت في وظيفتها عن غيرها من الزوايا التابعة لحركات أخرى، فقد كانت الزوايا السنوسية تمارس وظائف متعددة دينية وتعليمية واجتماعية واقتصادية وعسكرية. ويلاحظ أن الرسالة الدينية استحوذت على اهتمام الزاوية الأولى وتمثلت في التنفيذ العملي لأحكام الإسلام ومبادئه بالحكم الشرعي بين المواطنين والتربية الدينية والخلقية للمريدين والإخوان،والأهم من ذلك كله نشر الرسالة المحمدية السامية وحملها إلى الشعوب الوثنية في قلب إفريقيا والصحراء الكبرى حتى اهتدت هذه القبائل إلى الإسلام [2]. وعليه فإن السنوسية عملت على خدمة الدين خدمة جليلة وتنقيته من البدع والتعاليم التي علقت به على يد غلاة المتصوفين .

بالإضافة إلى ذلك أدت الزوايا دورا تعليميا كبيرا ،فكانت أشبه ما تكون بالمراكز الثقافية التي تنتشر في عصرنا في مختلف الدول ، وكانت الزاوية تشمل مدرسة لتحفيظ القرآن ومبادئ الدين ، وكان من يتفوق من الأطفال يلحق بالزاوية الأم في البيضاء أو الجغبوب التي صارت مناخا للعلم ومنبعا للقرآن العظيم . وقد وجدت بها مكتبة حوت ثمانية الآف مجلد من مختلف العلوم الشرعية والطبيعية. وكانت زاوية الجغبوب بمثابة المعهد العالي الذي يقوم بالتدريس فيه صاحب الدعوة بنفسه وغيره من كبار العلماء ، وكان الشيخ ابن السنوسي يطمح في أن يصل بهذا المعهد إلى مستوى المعاهد الكبرى كالجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس وجامع القراويين بفاس بالمغرب الأقصى[3].

ومن الناحية الاجتماعية فقد نجحت الزوايا السنوسية في ضمان الأمن للقبائل والمصالحة بينهم وتشجيعها على الاستقرار، ومن الناحية الاقتصادية راحت تشجع التجارة والزراعة وعلى الحرف المختلفة . ومن المأثور عن السيد المهدي أنه في اهتمامه بالتعمير والغرس وردا على سؤال أحد أتباعه عندما سأله أن يطلب الله أن يعلمهم الكيمياء : ((**إن هذه الكيمياء تحت سكة المحراث، وأنها هي كد اليمين وعرق الجبين**)) [4].

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 24.
[2] محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص 59 .
[3] رأفت الشيخ ، المرجع السابق ، ص 349 .
[4] محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص 59 .

بالإضافة إلى ما تقدم قامت الزوايا بدورها الجهادي في مواجهة الغزو الفرنسي وسط إفريقيا وفي الجزائر وقامت بدورها البطولي والتاريخي في مقاومة الاحتلال الإيطالي لليبيا وثورة الشيخ عمر المختار في هذا المجال أشهر من نار على علم .

تنظيم الزوايا السنوسية :

إن التنظيم الذي قامت عليه الزوايا السنوسية كان من الدقة بمكان حيث أنه من خلال هذا التنظيم أمكن لهذه الزوايا أن تؤدي وظائفها السالفة الذكر. ويتلخص هذا التنظيم في أنه على رأس كل زاوية شيخ (مقدم) ويليه الوكيل ، ويعتبر الأمر الذي يصدره الشيخ أو الوكيل واجب التنفيذ وعلى الجميع السمع والطاعة ، والملاحظ أن شيخ الزاوية يعينه صاحب الدعوة الذي يقيم في البيضاء أو الجغبوب . وتكمن وظيفة الشيخ في أنه صاحب الحل والعقد في الزاوية فهو يشرف على التعليم وحل الخصومات وحفظ النظام... ، وعليه ينبغي على الجميع احترامه .أما الوكيل فهو يشرف على دخل الزاوية وأوجه الصرف عليها وغير ذلك من الأمور المدنية [1]. وفي حديثه عن شيخ الزاوية يقول أمير البيان العربي شكيب أرسلان : ((**القيم على الزاوية الذي يتولى أمور القبيلة ويفصل الخصومات ويبلغ الأوامر الصادرة من رئيس النظام ، ويليه وكيل الدخل والخرج واليه النظر في زراعة الأراضي وجميع الأمور الاقتصادية ، وبالإضافة إلى هذين هناك الشيخ الذي يقيم الصلاة في مسجد الزاوية ويعلم أطفال القبيلة ويعقد فيها عقود النكاح ويصلي على الجنائز**)) [2].

مورد الزاوية :

إن النشاط الكبير الذي تقوم به الزاوية يتطلب وجود مصادر تموينية للزاوية ، والموارد المالية تتكون من الزراعة وتربية المواشي والهبات الخيرية والزكاة الشرعية . وقد كانت الهبات تقدم من أهل القبيلة وكذلك الزكاة التي تجبى هي الأخرى من القبيلة ، وقد أعفت السلطات العثمانية الزوايا من الضرائب وأعطت لها حق جباية الزكاة مما يدل على تفهم السلطات لدور هذه الزوايا وحسن العلاقة معها . وكانت الزوايا تنفق بعض هذه الموارد على احتياجاتها وفق نظام معروف يقوم على ترشيد هذه الأموال وعدم تبذيرها ، أما ما بقى منها فكان يرسل إلى المركز الرئيسي بالجغبوب حيث يتصرف فيه رئيس النظام ، أي شيخ الزاوية.وهكذا فإن السنوسية عام 1870 أصبحت لها كل عناصر الدولة من أرض ، أتباع ،اقتصاد ، إدارة وإيديولوجيا . بعبارة أخرى بنت السنوسية إدارة بديلة للإدارة العثمانية في طرابلس [3].

---

[1] نقولا زيادة ، برقة الدولة العربية الثامنة ، بيروت ، طبعة 1950، ص 71.
[2] شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص 298.
[3] علي عبد اللطيف حميدة ،المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، ص 131.

أهم الزوايا التي أنشأها السنوسيون :

إن المتتبع لتاريخ الحركة السنوسية يجد أن السنوسيين قد استطاعوا في ظرف قياسي أن يشيدوا عددا معتبرا من الزوايا وفي مناطق مختلفة من بلاد العالم الإسلامي وصل تعدادها إلى أكثر من 145 زاوية ، كانت أهمها :

1- زاوية أبي قبيس بمكة المكرمة : وهي أولى الزوايا على الإطلاق أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي سنة 1252هـ/ 1837م ، وكان أول شيخ لها عبد الله التواتي.

2 –زاوية المدينة المنورة : تم تأسيسها سنة 1266هـ/1851م وكان أول شيوخها العلامة محمد بن الشفيع .

3-زاوية البيضاء في برقة : أسست عام 1257هـ/ 1842م وكان أول شيوخها محمد بن حمد الفيلالي.

4- زاوية الجغبوب : تأسست في 1271هـ/ 1856م .

5- زاوية الجوف(الكفرة) التي أسسها محمد المهدي السنوسي .

6- زاوية تونين غدامس (طرابلس) وكان شيخها الشريف الغدامسي .

7- زاوية بنغازي (برقة) وكان أول من تولى مشيختها محمد أبو القاسم العيساوي .

8- الواحات البحرية في مصر وكان شيخها محمد السكوري .

9- زاوية بن تكوك في مستغانم ،بالجزائر وشيخها الجيلالي عبد الله بن تكوك وكان إنشاؤها سنة1274هـ/1859م .وزاوية جنات وشيخها أمود بن المختار،وزاوية عين صالح وشيخها المهدي باجودة [1].

10- زاوية الجريد بتونس وكان أول شيح لها العلامة محمد بن الصادق [2].

بهذا العمل التنظيمي المحكم استطاع ابن السنوسي وأتباعه أن يقيموا هذا الهيكل الذي كان أسلوبا ناجحا في تحقيق الأهداف المتواخاة حتى غدت السنوسية تعامل- في وقت من الأوقات- من طرف الكثيرين وكأنها دولة قائمة بذاتها ، وما كانت أن تصل إلى ما وصلت إليه لولا اهتمامها بهذا البناء التنظيمي الذي شكلت من خلاله الحركة السنوسية سابقة هامة في تاريخ الحركات الدعوية والطرق الصوفية .

---

[1] هو المهدي بن الحاج بن عبد القادر بن محمد بن سيد الحاج بن باحمو بن أعمر ملوك ، رئيس قبيلة باجودة ومقدم الزاوية السنوسية بعين صالح، ولد حوالي 1854 بعين صالح وينتمي للأسرة السنوسية بنواحي مستغانم . أنظر :
- إبراهيم مياسي ، مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962) ، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2007 ، ص 190.

[2] أحمد صدقي الدجاني ، الحركة السنوسية ، ص ص 38-33 .

2- البناء التربوي

بالتوازي مع البناء التنظيمي اهتم قادة الحركة السنوسية بالبناء التربوي، بل إنهم اعتبروا العملية التربوية هي حجر الزاوية بالنسبة لرسالة الحركة . وعليه فقد كانت الزوايا - التي أقامها السنوسيون في المناطق التي سبقت الإشارة إلى بعضها- تؤد ي هذه الرسالة وتقوم بهذه المهمة التربوية التي ترى فيها امتدادا لرسالة النبي الكريم ، قال تعالى : ((**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**)) سورة الجمعة الآية (2). وعليه فإن الدارس لتاريخ الحركة السنوسية يمكن أن يكتشف بوضوح الرسالة التربوية التي حرص السنوسيون على تنشئة أتباعهم عليها، والشيء الملفت للانتباه أن السنوسيين استمدوا المنهج التربوي من كتاب الله ومن سنة رسول الله **r** . وعلى الرغم من أن الشيخ السنوسي كان صوفيا إلا أنه كان يرى أن الصوفية الحقيقية هي المقيدة بالكتاب والسنة، فقال في إحدى رسائله: ((**فاعلم أن سبيل القوم إتباع النبي r في الجليل والحقير ، وأعمالهم موزونة بميزان الشريعة**)). ولذلك فإن الخطوات التي ينبغي على المريد إتباعها هي:

1- **أن يكون صحيح العقيدة** : فسلامة العقيدة عند السنوسيين أساس كل شيء ، وهم في هذا الأمر جد متأثرين بالحركة الوهابية التي تنسب إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي ،يقول ابن السنوسي :
((**يتعين على المريد أن يصحح عقيدته بميزان اعتدال أهل السنة والجماعة كثر الله سوادهم وأدام إمدادهم**)) .

2- **أن لا يقدم المريد على شيء حتى يعلم حكم الله فيه** ، فيتعلم ما يحتاج إليه من المسائل الفقهية ، ولهذا كان أتباع الحركة السنوسية يتدارسون رسالة أبي زيد القيرواني في العقائد وفي الفقه المالكي ، وأضاف ابن السنوسي بعض الكتب المهمة في هذا الباب كصحيح البخاري والموطأ وبلوغ المرام للإمام بن حجر العسقلاني وكان ابن السنوسي حريصا على أن يغرس في أتباعه الفقه المالكي مما يدل على حبه الشديد للإمام مالك .

3- **الاهتمام بتزكية الأنفس وتهذيب الأخلاق**: وهذا من صميم القرآن والهدي النبوي الشريف [1].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص115.

4- **الحرص على طيب الطعام والابتعاد عن الحرام** : ولهذا كان الشيخ محمد بن علي السنوسي يدعو أتباعه إلى تحري طيب الطعام واجتناب الحرام ، وكان يحب للمسلم أن يعيش من عمل يده وعرق جبينه ويغرس في نفسه حب التعفف وكان يقول : ((**الذهب في الأرض فغوصوا لاستخراجه بالمحراث**)). وكان يقول: ((**اليد العليا خير من اليد السفلى ، والاستقامة كنز لا يبلى والعفة حسب دائم ومن مد يده متسولا قصر لسانه**)) [1].

5- **ألزم ابن السنوسي أتباعه ببعض الأوراد** المتمثلة في تلاوة القرآن الكريم ثم الاستغفار والتهليل والصلاة على النبي r وقراءة بعض الأدعية التي تحمل في مضمونها معاني التوسل والتضرع إلى الله وحمده جل جلاله وتسبيحه. والملاحظ أن المريدين كانوا حريصين على هذه الأوراد المشروعة ولم تكن معهم موسيقى ولا حركات راقصة ، وكانوا بعيدين كل البعد عن تلك المظاهر التي اعتاد الكثير من أتباع الطرق الصوفية القيام بها كأكل الزجاج وطعن الصدور بالسيوف واللعب مع الأفاعي .

6- **التربية الجهادية** : أدرك السنوسيون أن الحياة عقيدة وجهاد ، مصحف وسيف ، فعملوا على تربية أتباعهم على الاستعداد للجهاد في سبيل الله والدفاع عن حرمة الأوطان خاصة وأن السنوسية ظهرت في وقت اجتاحت فيه فرنسا بلاد الجزائر كخطوة أولى نحو احتلال بقية الأقطار العربية والإسلامية ، وعليه فإن ابن السنوسي كثيرا ما كان ينبه الليبيين ويحذرهم من غزو الطليان لليبيا ،ولذلك كان يأمر أتباعه أن يحتاطوا لهذا الأمر وكان يفهم شيوخ الزوايا ويأمرهم بأن يأمروا معلمي الصبيان بإلقاء الدروس في هذا الشأن ، وكان يأمر باقتناء السلاح بمختلف أنواعه ، ويحتفظوا به في أماكن خاصة [2].

وكأنه بذلك يتمثل قول الله تعالى : { **واعدوا لهم ما استطعتم من** قوة } . سورة الأنفال ، الآية 60 .

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، القاهرة ، مطبعة الهواري ، ص ص 187-188.
[2] نفســــــــــــــــه ، ص 179 .

3- البناء السياسي

إن الحركة السنوسية قد أدركت منذ بداية تأسيسها أن بناء المجتمع يقتضي الإحاطة بأوضاعه الشاملة ، وعليه فقد كان السنوسيون يعيشون واقع المجتمع لا على الصعيد التنظيمي أو التربوي فحسب بل كذلك على الصعيد السياسي حيث أن الشيخ السنوسي كان حريصا على تتبع مجريات الأحداث السياسية التي يمر بها العالم الإسلامي عامة والمنطقة المغربية خاصة، و كان حكيما في تعامله مع هذه الأحداث، فمن ذلك تعامله مع الدولة العثمانية التي رأى فيها دولة الخلافة ،وأنها ضرورة لازمة لوحدة الأمة والدفاع عن كيانها ،وأنه لابد من معاضدتها والوقوف بجانبها وكان يتجنب فتح باب النزاع معها لأن ذلك لا يعود إلا بالضرر لا على الحركة فحسب بل وعلى المسلمين جميعا.

ولعل ابن السنوسي في عمله هذا كان قد أخذ العبرة من الأحداث التي عاصرها في صراع حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الدولة العثمانية . وعليه فقد راح ابن السنوسي يوثق علاقته مع حكام الأقاليم الليبية في طرابلس و فزان وبنغازي وتتج عن ذلك أن تولدت علاقات وثيقة بينه وبين هؤلاء الحكام قائمة على الاحترام والتقدير [1]. وتوضح رسالته إلى محمد أمين باشا والي طرابلس بعد تأسيس الزاوية البيضاء هذه العلاقة حيث بعث له يقول :

((...ثم إننا نحن وعصابة المهاجرين بحمد الله في عافية وما ذكرتم من كونكم إلى لقائنا بالأشواق وأخذكم من عهود الود بأشد وثاق فهذا محقق لدينا وواجب المكافأة علينا ويؤيده دوام اعتنائكم بنا وبأصحابنا،وملاحظتكم لنا وشفقتكم علينا ،وتوصيتكم أتباعكم على ما يتعلق بمحلنا من خدمة وعمارة ، وغير ذلك مما لا يقدر على مكافأتكم عليه إلا الله سبحانه ، هذا مع بعد المسافة وانشغالكم بمصالح الدولة العلية وقيامكم بأعباء سياسة الرعية ، فإن هذه الزاوية وان نسب إنشاؤها لمن قبلكم فإنما تمام أمرها واستمرار انتظامها بشمول نظركم فأنتم لذلك منا بمرأى ومسمع ، وتذكرون مع الحاضرين في كل مجمع ... والإخوان المهاجرون دائما لكم داعون)) [2].

---

[1] محمد محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ، ص 123.
[2] محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير ، ص 139 .

من خلال استقراء التاريخ نجد أن الحكام العثمانيين في ليبيا وجدوا في ابن السنوسي خيـر وسـيلة للاستعانة بها على كبح جماح القبائل التي تشق عصا الطاعة ضد الدولة ، فقد كانت هذه القبائـل تقبـل نصائح ابن السنوسي وتعلن طاعتها للعثمانيين بناء على توجيهاته . وفي المقابل لم تكن الدولة العثمانيـة تتردد في تقديم يد المساعدة للسنوسيين . ففي سنة 1856 أصدر السلطان عبد المجيد فرمانا يعفي أمـلاك الزوايا السنوسية من الضرائب[1]. ويسمح لها بجبي الزكاة ، مما يدل دلالة واضحة على أن علاقة الدولة العثمانية بالسنوسية كانت طيبة وحسنة. وبهذه الطريقة استطاع ابن السنوسي أن يصل إلـى أهدافـه وان يوسع نفوذ دعوته ويكسب تأييد الدولة العثمانية سواء عن طريق حكام ليبيا أو عـن طريـق السـلاطين أنفسهم وربما أدرك هؤلاء أن ابن السنوسي لم يكن يطمع في الخلافة – رغم أن مؤهلات الخلافة متوفرة فيه - كما أنه لم يستعن بأي دولة أجنبية أو تعاون مع أي منها .

ومما يؤكد أهمية البعد السياسي عند السنوسيين ما كتبته جريدة لوماتان الفرنسية عام 1912 عن ابن السنوسي حيث قالت : ((**لم يكن مجيء السنوسيين إلى طرابلس وتوطينهم فيها من قبـل المصـادفات والاتفاق فهؤلاء أدركوا من زمن طويل أن الأوربيين سيستولون على طرابلس الغرب بعد اسـتيلائهم على الجزائر ومراكش فأرادوا أن يقعوا وراء ساحل طرابلس كالبنيان المرصوص ليدافعوا عن بيضـة الإسلام عندما تطلق أوروبا أساطيلها بسهولةعلى ملك السواحل**)) [2].

لقد كان ابن السنوسي لا يفرق بين الدين والدولة بل كان يرى أن الدين والدولـة كـل لا يتجـزأ، وعليه فقد كانت نظرته للحياة نظرة نافذة استمدها من الإسلام الذي يدعو إلى الشمول ، ولو كـان البعـد السياسي غائبا عن ابن السنوسي لما واجهته حكومة السلطان مولاي سليمان في مراكش ، ولما ناصـبه العداء حكام الجزائر، ولما أوجس منه حكام مكة خيفة ، ولما فزعت منه دول الاستعمار - وفي مقـدمتها فرنسا- رعبا، لو كان مثل شيوخ الطرق الصوفية التقليديـة لبقـي معـززا محترمـا ولعـاش الخنـوع والاستسلام [3]. ومما يؤكد هذا الأمر ما قاله الأستاذ عباس محمود العقاد: ((**وكان الشيخ السنوسي – بخلاف الغالب على مشايخ الطرق الصوفية – خبيرا بأحوال السياسة العالميـة فـوقر فـي ذهنـه أن النابلطان**(نسبة لنابلي بايطاليا) **مغيرون لا محالة على برقة في يوم قريب فأوغل بمقامه إلى واحة الكفرة على طريق السودان ليشرف من ثم على تعليم أهل الصحراء جنوبا وشمالا وشرقا وغربا ويهيـئ فـي جوف الصحراء ملاذا لمن تقصيهم غارات المستعرين على السواحل ومدن الحضارة**)) [4].

---

[1] أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 105.
[2] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق_ ، ص 116.
[3] نفسـه ، ص 97 .
[4] عباس محمود العقاد ، الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله ، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 75.

وللدلالة أكثر على أهمية البعد السياسي عند السنوسية فقد استدل السيد محمد رشيد رضا على صدق الحركة السنوسية بما كانت تقوم به فرنسا من عداوة ومحاربة لهذه الحركة التي أقضت مضاجعها ، ولم تكتم فرنسا رغبتها في القضاء على شيخ السنوسية واستئصال قوته . وعليه فقد امتدح رشيد رضا الحركة السنوسية بقوله :

((استطاعت دولة فرنسا إفساد بأس معظم الطرائق المتصوفة في افريقية واستمالة شيوخها بالرشوة إلا الطريقة السنوسية)) [1].

---

[1] محمد أحمد درنيقة، السيد محمد رشيد رضا ، طرابلس ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، دار الإيمان ، الطبعة الأولى، 1986 ،ص 203 .

المبحث الثالث: أهم أئمة الحركة السنوسية وموقفهم من الاحتلال الإيطالي لليبيا

1- الإمام محمد المهدي السنوسي (1260هـ/1844م-1320هـ/ 1902م)

يعتبر محمد المهدي السنوسي الزعيم الثاني للحركة السنوسية ، وقد عرفت الحركة في عهده توسعا كبيرا ، وحققت انتصارات عظيمة للإسلام في إفريقيا ، بما تميز به من إخلاص لله وصدق في الدعوة وتفان في العمل وشجاعة نادرة ورجولة صادقة ، وكانت مدة قيادته تزيد عن أربعين سنة . وتعتبر فترة حكمه بمثابة العصر الذهبي للحركة فقد واصل مسيرة والده ابن السنوسي ، وفي عهده تغلغلت الحركة السنوسية في قلب إفريقيا ، وبسطت سلطانها الروحي على أقاليم كثيرة في إفريقيا ، وكان عقبة كأداء في طريق التنصير و المنصرين . فمن هو محمد المهدي ؟ وكيف كانت نشأته ؟ وكيف تولى زعامة الحركة ؟ وكيف تطورت مؤسسات الحركة في عهده ؟ وما أسباب نمو حركته ؟ وهل كان له اهتمام خاص بالمنهج التربوي الجهادي ؟ وما موقف الدول الأوروبية من الحركة في عهده ؟ وما حقيقة الصراع بين فرنسا والحركة السنوسية ؟ .

اسمه وولادته وشيوخه :

هو محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي، ولد في منطقة الجبل الأخضر في محل يسمى **ماسة** قرب الزاوية البيضاء وذلك سنة 1260هـ/1844م .وأثناء ولادته كان ابن السنوسي في درنة ، فكتب إليه عمران بن بركة يهنئه ويسأله عن الاسم فأمره أن يسميه محمد المهدي وقال له : ((**أسميناه المهدي ليحوز أنواع الهداية ، ونرجو الله أن يجعله مهديا**)) [(1)].

ومما يلاحظ أن ولادة محمد المهدي كانت بعد أن تقدمت السن بابن السنوسي ، وكان الإخوان يتمنون من الله تعالى أن يرزق شيخهم مولودا ذكرا مباركا ، ولهذا كانت فرحتهم عظيمة بمولد محمد المهدي . ولم تمض إلا أيام قليلة حتى استقدم ابن السنوسي زوجته وابنه إلى درنة ، وسر سرورا كبيرا وهو يرى ابنه فقد كان يرى فيه خليفته في الدعوة . هذا وقد اهتم ابن السنوسي بتربية ولده فقد أدخله المدرسة القرآنية - ولم يتجاوزعمره الست سنوات – التي كان يشرف عليها عمران بن بركة الفيتو ري ، فحفظ القرآن الكريم ، والملاحظ أن علماء الحركة درجوا على تعليم أبنائهم كتاب الله وتشجيعهم على حفظه.يقول العلامة ابن خلدون: ((**تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتن الأحاديث ، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات**)) [(2)].

[(1)] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 34 .

[(2)] محمد نور عبد الحفيظ سويد ، منهج التربية النبوية للطفل ، الكويت ، مؤسسة الريان ، الطبعة الخامسة، مكتبة المنار الإسلامية 1994 ، ص105.

مر بنا فيما تقدم من سيرة ابن السنوسي انه استقدم ابنه محمد المهدي إلى الحجاز بصحبة العلامة محمد بن إبراهيم الغماري . وعهد بالمهدي إلى نخبة من العلماء لتربيته وتلقينه العلوم المختلفة . وفي سنة 1274 هـ/1857م عاد محمد المهدي إلى الجغبوب بصحبة العلامة عبد الرحيم المحبوب ، وأكمل دراسته في معهد الجغبوب تحت إشراف والده وكبار العلماء . وكان يتميز بالفطنة والذكاء ، وكان والده يهتم بتوطيد مكانته بين الإخوان ويعمل على رفعة شأنه، ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره زوجه من فاطمة بنت عمران بن بركة وذلك سنة1275هـ /1858م ، وقد أنجبت له عدة أولاد .

مبايعتـه_:

في سنة1276هـ /1859م توفي محمد بن علي السنوسي، وكان محمد المهدي قد بلغ من العمر ستة عشرة سنة فبايعه كبار العلماء والشيوخ في الحركة السنوسية ، وقدموا له ولأخيه واجب التعزية ، وبايعوا الإمام المهدي قاطعين على أنفسهم عهد الله وميثاقه أن لا يتهاونوا بواجب الأمانة التي تركها شيخهم الجليل لهم ، وأنهم مستعدون لتقديم الأنفس والأرواح في سبيل دعوتهم ودينهم ، وكانت تلك البيعة قبل دفن ابن السنوسي [1]. وبعد مبايعته كون محمد المهدي السنوسي مجلسا أعلى يضم كبار الإخوان وفي مقدمتهم عمران بن بركة ، وعبد الرحيم المحبوب، ومحمد بن الحسن البسكري ، كما يضم كبار رؤساء الزوايا .و كان هذا المجلس يجتمع سنويا في الجغبوب للنظر في أهم أمور الحركة ، وكان برئاسة شقيقه محمد الشريف السنوسي ، وكانت قراراته تعرض على الإمام محمد المهدي للموافقة عليها أو تعديلها أو رفضها [2].

بالإضافة إلى المجلس الأعلى أنشأ محمد المهدي مجلسا خاصا يتكون من كبار الإخوان المقيمين في الجغبوب ، وكان يعقد جلسات يومية ، وكان أشبه ما يكو ن بمجلس الوزراء . وإلى جانب هذين المجلسين أنشأ محمد المهدي مجالس فرعية في مختلف الأقاليم والزوايا تضم رؤساء المراكز الإصلاحية في الأقاليم . وعليه فقد استطاع محمد المهدي بهذا الأسلوب التنظيمي أن يدير شؤون الحركة . والملاحظ أن العاصمة الجغبوب في عهده حفلت بالنشاط العلمي والزراعي فرتبت أمور الدراسة واستصلحت الأراضي وصارت تنتج الخضار والتمور ، وارتبطت الجغبوب بالزوايا المتناثرة في الصحراء . فكانت القوافل تمر منها في رحلاتها بين الساحل الإفريقي والصحراء، وكانت المعلومات والأخبار تصل إلى عاصمة الحركة وتصدر منها التوجيهات والأوامر إلى جميع الزوايا. وممن أشرف على سير بريد الحركة السنوسية من الإخوان محمد السمالسوسي ، عيسى التارقي ، محمد البوعيثي. [3]

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 206.
[2] نفسـه ، ص207.
[3] محمد الطيب الأشهب ، برقة الأمس واليوم ، ص ص 212 -213 .

نمو الحركة السنوسية في عهد محمد المهدي:

لقد عرفت الحركة السنوسية في عهد محمد المهدي نموا كبيرا وتضاعف عدد الزوايا أربع مرات عما كان عليه من قبل فانتشرت في مناطق مختلفة من الصحراء وعلى طريق مصر وتونس وفي واداي وغيرها ،.ولعل الأسباب التي كانت وراء هذا النمو السريع تتمثل في :

1- طبيعة الحركة السنوسية التي كانت مسايرة للعصر، وفهمها لطبيعة المجتمعات القبلية .

2- طول المدة التي قضاها محمد المهدي في قيادة الحركة (أكثر من أربعين سنة) فتمكن خلالها من تثبيت قواعد العمل الذي بدأه والده من قبل ، وكان المهدي يقول : ((**إن والدي بدأ عملا من المنتظر أن يأتي بنتائج عظيمة ، وقد أخذت على عاتقي إتمامه ، وليس علي غرض آخر**)) [1].

3- سياسته الحكيمة التي جعلته يمتنع عن الاحتكاك بالدولة العثمانية أو الأوروبية ، ويتفرغ لنشر الدعوة بين القبائل .

4- ساعدته أخلاقه الرفيعة وصفاته الحميدة على غزو قلوب الناس والتأثير فيهم، وبذالك احتل مكانة هامة عند الإخوان والأتباع ومؤيدي الدعوة .

وخلال فترة حكمه تمكن الإمام محمد المهدي من أن يوطد العلاقات مع الإمارات الإسلامية في واداي ، وبرقو،وكانم وغيرها ، وكان قد احتاط للغزو الأوروبي الصليبي لإفريقيا وأعلن أنه لا يتردد في مكافحته للغزاة إذا لزم الأمر ، كما اهتم المهدي بتقوية الصلات التجارية بين الزوايا وبين مراكز التجارة والأسواق المختلفة ونتج عن ذلك أن استتب الأمن في هذه الربوع وانتشرت الطمأنينة وزاد نشاط القوافل وأقدم المسافرون والتجار على قطع الفيافي والصحاري من غير تردد، فظهرت بوادر العمران في الطرق الصحراوية. وفي هذا العهد كانت الحركة السنوسية تفتح المدارس وتبني المساجد والمراكز الإصلاحية وتشتري العبيد ثم يعلمونهم مبادئ الإسلام ثم يعتقونهم ويرسلونهم إلى أوطانهم وقبائلهم ليدعوا أقوامهم إلى الإسلام . و عليه فقد ذاع خبر الحركة السنوسية في إفريقيا ، وبدأت الدول الأوروبية تشعر بخطر الحركة السنوسية فراحت تعمل على حبك الدسائس ضدها [2].

كان محمد المهدي السنوسي مهتما بالبناء الداخلي للحركة ، فكان يشرف بنفسه على إصلاح ذات البين بين القبائل ،ونجح في تنظيم كتائب الجهاد وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية البعد التربوي الجهادي عند محمد المهدي السنوسي ، وكان يدرك أن العمل بالقرآن والسنة يقتضي وجود القوة

---

[1] أحمد صدقي الدجاني، الحركة السنوسية ، ص45 .

[2] حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ،الطبعة الثالثة ، 1984 ، ص 49 .

والسلطان ، وعليه فقد جعل من الزوايا مركزا لتعليم الرماية ، وكان يحث الإخوان والأتباع على إتقانها . وكان محمد المهدي يمتلك خمسين بندقية خاصة يعتني بتنظيفها وإعدادها بنفسه ويتعمد ذلك حتى يقتـدي به الناس ويهتموا بأمر الجهاد ويحفلوا به [1].

موقف الدول الأوروبية من الحركة السنوسية في عهد محمد المهدي :

حاولت الدول الأوروبية- وفي مقدمتها ألمانيا وايطاليا – التقرب من الإمـام محمـد المهـدي السنوسي ، غير أنه لم يمنحهم هذه الفرصة لأنه كان على معرفة بنواياهم ،فحاولوا الاسـتعانة بالسـلطان العثماني عبد الحميد الثاني عساه أن يقنع محمد المهدي بالإقامة في أرض الحجاز أو في دار الخلافة غير أن السلطان وقف موقفا مشرفا مع الإمام المهدي فلم يجب الدول الأوروبية إلى هـذه الرغبـة . وهكـذا وجدت هذه الدول في السنوسية عدوا لذودا عطل عليها مشاريعها وأعمالها ،ولم تفلح جهود ايطاليـا بعـد وحدتها وكذلك ألمانيا بعد حرب السبعين من كسب ود المهدي ، وكذلك فشلت فرنسا في حربها الإعلامية ضد الحركة السنوسية ،وقد لعب الرحالون الفرنسيون دورا كبيرا في تشويه صورة الحركة إعلاميا ، وفي مقدمة هؤلاء "**هنري دوفريية**" (**Henri Duveyrier**) الذي اتهم الحركـة بالتعصـب وكراهيـة اليهـود والنصارى وصورها عدوا فاغرا فاه للقضاء على الأوروبيين وزعـم أنهـا حركـت وسـاعدت معظـم الثورات التي قامت في الجزائر [2] .

أما بريطانيا فإن موقفها من الحركة السنوسية كان موقفا استطلاعيا فـي بدايـة الأمـر ،فكانـت حريصة على جمع المعلومات الدقيقة عن الحركة – خاصة وان لها أطماعا في مصـر –وظـل موقـف بريطانيا هادئا حتى1882 عندما احتلت مصر وتحركت بجميع الوسائل المتاحة لتمنع أية مسـاعدة تقـدم لثورة أحمد عرابي وخاصة من طرف السنوسيين .ولما كان الإمام محمد المهدي حريصا على أن تنمـو الحركة نموا طبيعيا فقد رفض الدخول في حرب لم يستعد لها ، وعليه فقد عارض ثـورة أحمـد عرابـي واعتبرها منفذا للتدخل الأجنبي . وفي هذا المجال يقول الأستاذ نيقولا زيادة : ((**طلب العرابيون مسـاعدته عام 1882 ، وتقدمت إليه ايطاليا راغبة في الاتفاق على مقاومة التقدم الفرنسي فـي تـونس 1881، وحتى السلطان العثماني طلب منه العون في حربه ضد روسـيا عـام 1876 ، وجـرب الألمـان أن يحصلوا على عون منه ضد فرنسا في إفريقيا عام 1872 ، لكن السيد المهـدي رفـض جميـع هـذه العروض وفضل أن يظل في منأى عن النزاع الدولي ليتم له نشر الإسلام وإصـلاح أحـوال المجتمـع المسلم الذي نذر نفسه له ، شأن أبيه من قبل**)) [3].

---

[1] محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص 60 .
[2] محمد محمد علي الصلابي ، المرجع السابق ، ص 221 .
[3] نفســــــــــــــــه ، ص 223 .

ومما يذكر في هذا المجال ما نشرته جريدة (دي كولوني) الألمانية: ((**إن الطريقة السنوسية مهمة جدا من حيث انتشارها السياسي في إفريقيا ، ومن حيث الكفاح القائم بين الديانتين الإسلامية والمسيحية في هذه القارة وقد أنشئت هذه الطريقة منذ خمسين عاما تقريبا أي في عام 1855 بواحة الجغبوب ، وواضع أساسها هو الشيخ محمد بن علي السنوسي... ثم خلفه ابنه المهدي، وكان وقتئذ فتى فتيا وهو إلى اليوم رئيس المذهب الذي أصبح على عهده واسع النطاق منتشرا في الأفاق وإشارة منه تكفي الآن لإزالة الشحناء والخصومة من بين سلطانين من سلاطين إفريقيا إذا قام بينهما الشقاق واستحكم الخلاف لأمر من الأمور ، ومن الأمور التي لا ريب ولا خلاف فيها أنه إذا جاء يوم أمر فيه بالجهاد وأشار بالحرب الدينية اهتزت لصوته أركان العالم الإسلامي التي تترامى في حدوده في إفريقيا إلى مصر شرقا والكونغو جنوبا حتى بحيرة تشاد ومراكش غربا ، وعليه يكون حزب السنوسي قد صار قوة من القوى السياسية التي ينبغي على كل دولة من دول أوروبا أن تعمل لها حسابا ، وقد اشتهر سيدي المهدي محمد بالتناهي في القوى والصلاح ورعاية أمور الدين ، والتقشف في المعيشة وهو دائب السعي على توفير أسباب الوئام والاتفاق بين الأقوام والشعوب الإفريقية...))** [1].

موقف محمد المهدي السنوسي من الثورة المهدية في السودان :

عندما ادعى محمد أحمد المهدي السوداني بأنه المهدي المنتظر رفض محمد المهدي السنوسي الاعتراف بمهديته ، وفي رده على رسالة بعث بها إليه المدعي أجابه بقوله: ((**إنني لم أبلغ منزلة الغبار الذي ثار في أنف فرس عثمان رضي الله عنه في إحدى غزواته مع رسول الله ﷺ ولا جواب عندي على هذا الكتاب ...))** [2].

وهكذا لم يؤمن المهدي السنوسي ولا علماء الحركة السنوسية بمهدية أحمد محمد المهدي السوداني وكذلك رفضوا القول بمهدية المهدي السنوسي مع اعتقادهم بصحة الأحاديث التي بينت بأن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلا من أهل البيت يؤيد الله به الدين، يملك سبع سنين ، يملأ الأرض عدلا وسلاما كما ملئت جورا وظلما ، تنعم الأمة في عهده بنعم لم تنعمها قط وهذا الرجل اسمه كاسم رسول الله ﷺ واسم أبيه كاسم أبي النبي ﷺ ، فيكون اسمه محمدا أو أحمد بن عبد الله وهو من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

---

[1] أنور الجندي ، المرجع السابق ، ص217 .
[2] أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 190 .

من الجــغبوب إلى الكــفرة_:

كانت خطة محمد المهدي السنوسي تستدعي ضرورة العمل على توسيع نطاق الحركة نحو الجنوب وفق خطوات مرسومة ومدروسة ، وعليه فقد قرر الإمام الانتقال من الجغبوب إلى الكفرة وكان ذلك سنة 1312هـ /1896م . وعند وصوله إلى الكفرة حظي باستقبال كبير من طرف قبيلة زوية وقبائل العرب في الصحراء في منطقة الجوف ، ووصل عدد المستقبلين أكثر من 3000 ر جلا يتقدمهم رئيس زاوية الجوف واعيان قبيلة زويا .وكانت الهدية التي قدمها المستقبلون للشيخ المهدي –تشريفا بقدومه – هي التسامح بين أفراد قبيلة زويا والتنازل عن الحقوق لبعضهم_البعض ، كما تنازلوا عن ثلث أملاكهم للحركة السنوسية ، واستمرت الأفراح شهرا كاملا . وشرع الإمام المهدي في بناء زاوية التاج.

و أصبحت الكفرة عاصمة للحركة السنوسية فازدهرت فيها مختلف أنواع الأنشطة العلمية والاجتماعية والاقتصادية ،وغدت مركزا للدعوة في المناطق المجاورة والبلاد الإفريقية فوصلت دعوة الإسلام إلى قبائل وثنية متعطشة إلى دين الفطرة. ونظرا للعمل الدؤوب والنشاط المتواصل فقد أصيب محمد المهدي بإرهاق شديد ولازمه المرض الفراش . وفي سنة1314هـ/ 1898م توفي أخوه محمد الشريف [1].

رحلة الإمام محمد المهدي السنوسي إلى السودان الغربي :

اهتم الإمام المهدي بإرسال البعثات الاستكشافية إلى الصحراء ، وحفر الآبار وتفقد الطرق الموصلة إلى وسط السودان الغربي ، وبعد أربع سنوات من تواجد ه في الكفرة شد الرجال إلى زاوية برقو في السودان الغربي كي يشرف بنفسه على تنظيم المقاومة ضد القوات الفرنسية الزاحفة نحو منطقة بحيرة تشاد وكانت مغادرته الكفرة سنة1317هـ /1900م برفقة أسرته وكبار الإخوان وشيوخ الزوايا وأعيان القبائل [2].

بمجرد وصوله إلى **قرو** راح ابن السنوسي ينشر دعوة الإسلام ،فأقبلت شعوب تلك المناطق تدخل في الإسلام طوعا وتنضوي تحت لواء الحركة مختارة ، وكانت فرنسا تراقب عن كثب تطورات الحركة السنوسية وتحركاتها . وخلال هذه الفترة تقدم الفرنسيون نحو منطقة كانم ، واشتبكوا مع السنوسيين الذين تمكنوا بقيادة محمد البراني الساعدي من دحر القوات الفرنسية الذين حاولوا مرة أخرى مهاجمة السنوسيين فتكبدوا هزيمة أخرى حيث قتل منهم 280 شخصا منهم 25 ضابطا بينما استشهد من السنوسيين 100رجلا . وعاد الفرنسيون مرة أخرى يناوشون السنوسيين بعد أن عززوا قواتهم الأمر الذي اضطر المجاهدين إلى الانسحاب . وفي هذه الأثناء وصل المجاهدين خبر وفاة المهدي ، وكانت وفاته في 24 صفر1320هـ /02جوان 1902م في زاوية قرو ونقل جثمانه إلى زاوية التاج ودفن فيها [3].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 247.
[2] أحمد صدقي الدجاني ، المرجع السابق ، ص 239 .
[3] نفســـــــــــــــــه، ص 173.

2- السيد: أحمد الشريف السنوسي (1290هـ/ 1873م- 1351هـ/ 1933م)

يعتبر السيد أحمد الشريف السنوسي الإمام الثالث للحركة السنوسية ،وهو الذي سعى جاهدا لنقل الحركة السنوسية من وضع حسن إلى وضع أحسن، وفي عهده ابتليت ليبيا بالاحتلال الإيطالي فكان أن رفع لواء المقاومة واستطاع أن ينزل الهزائم المتلاحقة بالإيطاليين. فـإذا كان الجزائريون يفتخرون بمقاومة الأمير عبد القادر ،وكان المراكشيون يفتخرون بمقاومة الأمير عبد الكريم الخطابي، فإنه حق لليبيين أن يفتخروا بمقاومة أحمد الشريف السنوسي الذي شهد الجميع بشجاعته وقوة صموده .فمن هو أحمد الشريف السنوسي ؟ وكيف كانت مقاومته للاحتلال ؟

ولد أحمد الشريف السنوسي بواحة الجغبوب سنة 1290هـ /1873م ، أبوه محمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي وعمه محمد المهدي ، تربى بين أحضان أبيه ، وانكب منذ صغره على القراءة والتحصيل العلمي فحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة. ويرى الكثيرون أن أحمد الشريف دخل تحت كنف ورعاية عمه المهدي منذ أن كان عمره ست سنوات وعنه أخذ العلم كما أخذ عن جده لأمه عمران بن بركة [1]. وفي سنة 1312هـ /1896م ارتحل مع عمه المهدي إلى الكفرة واسند إليه عمه مهمة الإشراف على القافلة المتجهة إلى الكفرة والمتكونة من 2600 شخص ، كما أنه ارتحل مع عمه من الكفرة إلى قرو في السودان الأوسط في مهمة دعوية ، وحول هذه الرحلة ألف كتابا سماه : (السراج الوهاج في رحلة السيد المهدي من الجغبوب إلى التاج). وأثناء تواجده في قرو شارك أحمد الشريف مع عمه المهدي في عدة معارك ضد الفرنسيين هي مناطق مختلفة مثل واداي ، علالي ، ، تبستي [2].

وعندما أحس محمد المهدي بدنو أجله أسند مهمة القيادة إلى أحمد الشريف لما توسم فيه من القدرة على الاضطلاع بهذه المهمة الصعبة خاصة وأنه التمس فيه مؤهلات القيادة . ومع بداية حكمه اجتمعت كلمة فرنسا وايطاليا على ضرب الحركة السنوسية ،الأمر الذي جعل السنوسيين يصبون جهودهم وقوتهم في المقاومة التي قادها أحمد الشريف ، واستمرت نحو عقد من الزمن ، وكانت هذه المقاومة دفاعا عن النفس والعقيدة الإسلامية ضد العدوان الصليبي الذي عمل على احتلال كل زوايا السنوسية في السودان الأوسط ليثبت مركزه ويقضي على الدعوة الإسلامية واللغة العربية في إفريقيا[3].

---

[1] مصطفى هويدي ، الحركة الوطنية شرق ليبيا ، طرابلس، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ، 1988، ص22 .
[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 262 .
[3] عبد الرحمن عبد الماحي ، الدعوة الإسلامية في إفريقيا،الواقع والمستقبل ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992 ، ص233 .

سار الإمام أحمد الشريف السنوسي على منوال عمه المهدي وجده ابن السنوسي، فواصل الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي،وعمل على نشر الدعوة الإسلامية بكل حكمة في إفريقيا، واتخذ من الكفرة عاصمة له . وقد بدأ أحمد الشريف مقاومته بتشكيل جبهة إسلامية معادية للغزوالفرنسي الزاحف من جنوب تشاد ، أرسل إلى سلطان واداي **(داود مرة)** يطلب منه أن يسحب اعترافه بالحماية الفرنسية على واداي فاستجاب لهذا الطلب ، كما أنه اتصل بسلطان دارفور**(علي دينار)**الذي أعلن من جهته توحيد جهود المسلمين ضد الغزو الصليبي الأوروبي[1]، خاصة وأن الفرنسيين بعد أن احتلوا تشاد سنة 1909قاموا بهدم مراكز الإصلاح والإرشاد التابعة للحركة السنوسية .وفي ذات الوقت نجح أحمد الشريف في إقناع العثمانيين الذي قدموا إليه يد المساعدة،فقد أرسلوا عددا من الجنود النظاميين إلى منطقة **برقو و تبستي.** هذا وقد أسند أحمد الشريف قيادة جيشه في هذه المناطق إلى السيد **أحمد السني** الذي أصبح مشرفا على حركة الجهاد ودخل في مناوشات مستمرة مع الفرنسيين غير أن الكولونيل "**لارجو**"(**largeaut**)استطاع سنة 1913 أن يلحق بالمجاهدين هزيمة كبرى في **قرو** وجرح ولدا السيد المهدي ووقعا في الأسر[2].

وكان من أشهر القادة السنوسيين الذين قادوا الجهاد في عهد أحمد الشريف المجاهد **محمد كاوص** الذي قاد حركة الجهاد في النيجر ضد الفرنسيين، وقد أعجب به الإمام أيما إعجاب، وكذلك القائد المجاهد محمد عبد الله السني الذي قاد حركة الجهاد في تشاد ،وكان والده من أهم الأتباع المقربين للشيخ محمد بن علي السنوسي واشترك معه في تأسيس الزوايا . وبأمر من المهدي السنوسي أسس محمد عبد الله السني زاوية **قرو** سنة 1896 وعدة زوايا أخرى. واستقر به المقام في **كانم** وظل يجاهد لمدة أكثر من عشر سنوات ضد الغزاة الفرنسيين وساهم بنفسه وماله في حركة الجهاد في عهد محمد المهدي وأحمد الشريف.

والملاحظ أن السيد أحمد الشريف كان يشرف بنفسه على حركة الجهاد ضد فرنسا ، وكان يحث التجار على السفر إلى السودان بتجارتهم لا سيما الأسلحة ، ويقول : ((**إنها من أربح التجارة**)) وكان يكاتب أعيان برقة ويطلب منهم أن يرسلوا الأسلحة . وفي سنة1328هـ/ 1910م طلب منهم أن يبعثوا بألف وخمسمائة بندقية ثمنها من جيبه الخاص وأرسلها إلى المجاهدين في السودان . وقد وردت عنه هذه الكلمة : ((**ليس عندي صديق أعز علي ممن يساعدني بالسلاح**)) [3].مما يدل دلالة واضحة على تعطشه للمقاومة وروح الجهاد .

---

(1) مصطفى هويدي ، المرجع السابق ، ص 2 .
(2) محمد فؤاد شكري ، المرجع السابق ، ص 100.
(3) محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 245 .

أحمد الشريف السنوسي ومقاومته للاحتلال الإيطالي :

مع بداية الغزو الإيطالي للشواطئ الليبية عام 1911 كان السيد أحمد الشريف قد أعاد تنظيم الحركة السنوسية من خلال الزوايا التي انتشرت في بلدان كثيرة ، وراح يمد جسور التعاون مع الحركات الإسلامية الأخرى وتدعيم وشائج الأخوة الإسلامية بينها ، كما ارتبط أشد الارتباط بالخلافة الإسلامية في تركيا . وما أن وطئت أقدام الاحتلال الإيطالي البلاد حتى كان أحمد الشريف قد حول زوايا الحركة السنوسية إلى معسكرات لإعداد قوة عسكرية من الأهالي والأتباع بقيادة ضباط من الأتراك واتخذ التدابير اللازمة لتزويد تلك القوات بالأسلحة والعتاد بشتى الطرق[1].

كان أحمد الشريف قد جمع الشيوخ والعلماء والقادة وعرض عليهم الأمر واستشارهم فاتفقوا على توجيه الشيوخ وعلماء لحركة بقيادة المجاهدين في كافة ساحات الوغى ، وقال أحمد الشريف : ((**والله نحاربهم ولو وحدي بعصاتي هذه**)) [2]. ووصلت أوامر السيد أحمد الشريف إلى شيوخ الزوايا والأعيان التابعين للحركة في طرابلس وما حولها يأمرهم بأن لا يتهاونوا وان يستميتوا في قتال العدو المهاجم .وكان صدور الدعوة إلى الجهاد من زعيم الحركة السنوسية أحمد الشريف بمثابة الشرارة التي أوقدت النار في طول البلاد وعرضها فخف المجاهدون من أقاصي طرابلس وفزان، ثم من النيجر وتشاد لمؤازرة إخوانهم المجاهدين في الجبل والغرب، أي في برقة وطرابلس. وبذالك تدفق أتباع الحركة السنوسية كالسيل الجارف على ميدان القتال في طرابلس . وعندما سمع أحمد الشريف اعتزام تركيا إبرام الصلح مع ايطاليا شكل وفدا من زعماء السنوسية وأهالي البلاد وبعثه إلى مدينة **درنة** لمقابلة الوالي العام **(أنور بك)**وسلمه رسالة خطية جاء فيها : ((**نحن والصلح على طرفي نقيض ، ولا نقبل صلحا بوجه من الوجوه إذا كان ثمن هذا الصلح تسليم البلاد إلى العدو**)) [3] .

بعد أن أصر أنور بك على الصلح كان رد أحمد الشريف أكثر حزما حيث قال : ((**والله لا نسلمهم من أرضنا طراحة حصان**)). وبادر أحمد الشريف إلى إعلان الحكومة السنوسية لسد الفراغ الذي تركه انسحاب الأتراك .وأصدر نداء إلى الطرابلسيين والبرقاويين يدعوهم إلى الجهاد وكان النداء : ((**الجنة تحت ظلال السيوف**)) وقد نقش هذا النداء على راية من الحرير حملها المجاهدون انطلاقا من

---

[1] منتديات التاريخ ، صانعو التاريخ ، أحمد الشريف السنوسي ، 2008/07/02.

[2] جلال يحي ، المغرب الكبير ، الجزء الثالث ، الإسكندرية،الدار القومية للطباعة والنشر ، 1966، ص 770.

[3] منتديات التاريخ ، صانعو التاريخ . أحمد الشريف السنوسي ، 2008/07/02.

طرابلس إلى المناطق المختلفة في الجنوب فكان من أثره أن تدفقت جموع المجاهدين علــى المعســكرات العثمانية في العزيزية وغريان وقد اعترف السلطان العثماني نفسه بهذه الجهود التي قام بها أحمد الشريف فأهداه سيفا ونيشانا مرصعا بالجواهر مكافأة وتقديرا لجهوده [1].

في 8 ذي القعدة 1330هــ الموافق ل 18 أكتوبر 1912 عقد ت معاهــدة **اوشــي لــوزان** بــين الحكومة الإيطالية والدولة العثمانية وبمقتضاها سلمت ليبيا لإيطاليا . وعليه فقد عقد الإيطاليون العزم على سحق قوات أحمد الشريف، فنظموا حملة تعدادها خمسة الآف جندي مدججين بأحــدث أنــواع الأســلحة لضرب معسكر المجاهدين في سيدي عزيز، وسيدي القرباع على ضفتي وادي درنـــة . وفــي 16مــاي 1913 وصل أحمد الشريف إلى منطقة **الظهر الأحمر** وجرت معركة **سيدي القرباع** التي اشتهرت باسم : **(يوم الجمعة)**. وكانت أول معركة يخوضها السنوسيون بقيادة أحمد الشريف ضــد الإيطــاليين وتمكنــوا خلالها من تحقيق انتصار حاسم كانت نتيجته أن أصيب بعض الضباط الإيطاليين بالجنون. وكــان لهــذا الانتصار العظيم أثره في جذب الناس لحركة الجهاد[2] والمساهمة الفعالة والقوية في المقاومة.

لقد حاول البعض أن يثبطوا أحمد الشريف عن الجهاد والمقاومة ضد الإيطــاليين، وفــي مقدمــة هؤلاء عزيزالمصري (الذي عين قائدا للجيش) فقد راح يصور للشيخ أحمد الشريف السنوســي اســتحالة المقاومة وضررها ، ونفاذ الذخيرة والأموال ،واقترح عليه الصلح مع الإيطاليين وسوف تدفع لــه لنــدن وروما وباريس مبلغا ماليا يليق بمقامه وشرفه وكرامته ، وان فرنسا ستكف عن محاربته فــي الصــحراء وفي السودان ، غير أن أحمد الشريف رفض هذه العروض وأعلن أنه سيقاوم حتى النهايــة[3] .وحاولــت ايطاليا أن تضغط عليه باسم **الخديوي عباس** (حاكم مصر) ، وراحت تعده بأن تجعله أميرا على إحــدى المناطق فكان رده أن قال : ((**إنني أقسم أمام جميع المجاهدين على هذا المصحف إنني لــن انفــك أذود عن حياض الإسلام ومجاهدة أعدائه إلى النفس الأخير مادام معي نفر واحد من المجاهدين ، وإذا خانني الجميع وسلموا للعدو أهاجر إلى المدينة لأعيش بجوار جدي الأعلى شاكيا إلى الله من خيانـــة الخونـــة مستنزلا لعنته عليهم إلى يوم الدين**)) [4].

أمام هذه الظروف اضطر أحمد الشريف أن يغادر الجغبوب إلى برقة ، وعندما حالــت الظــروف المحلية والعالمية بينه وبين تحقيق أهدافه قرر الذهاب إلى تركيا لمقابلة صديقه **أنور باشا**. والملاحظ أنــه خلال هذه الفترة كانت الحالة في تركيا تنذر بالخطر العظيم بسبب الثورة العربية التي أعلنهــا الشــريف حسين بن علي(شريف مكة) وأبناؤه ضد الدولة العثمانية وكان ذلك بتحريض من الانجليز، وقصة

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 298 .
[2] عبد القادر بن عبد المالك بن علي ، المرجع السابق ، ص ص29 - 35.
[3] محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية الأمس واليوم ، ص ص 3 - 5 .
[4] نفســـــــــــــه ، ص 6.

مراسلات **حسين – مكماهون** لا تخفى على ذي بال. ولما كانت الدولة العثمانية تثق كامل الثقة في السيد أحمد الشريف وإخلاصه للإسلام والخلافة فقد أرادت أن تقنعه بالدخول في مفاوضات بينها وبين الشريف حسين .فاستجاب أحمد الشريف لرغبة السلطان العثماني **محمد وحيد الدين**(محمد السادس) وسافر من **مرسى العقيلة** بالبريقة على متن غواصة ألمانية في ذي القعدة 1336هـ /سبتمبر 1918م[1]. وكان خروجه من ليبيا انتصارا لكافة الأطراف المعادية لنضال الشعب الليبي .هذا وقد وصل أحمد الشريف إلى ميناء **بولاو تريستا** (أحد الموانئ النمساوية)و منها إلى النمسا ثم نقل بالقطار إلى استانبول حيث استقبل استقبالا كبيرا وقلده السلطان محمد السادس السيف (علامة السلطنة) وانعم عليه برتبة الوزارة.

لم يمض وقت طويل على وصول أحمد الشريف إلى تركيا حتى دخلت جيوش الحلفاء إلى استانبول واستولت على عموم الولايات والموانئ ، وبدأ الانجليز يعملون على تنفيذ مخططهم الهادف إلى تدمير الدولة العثمانية بواسطة الأتراك أنفسهم الذين لهم علاقة بالنوادي الصهيونية والدول الغربية ، وكان خير من وقع عليه الاختيار لتنفيذ هذا المخطط الرهيب **مصطفى كمال أتاتورك** الذي لبس في بداية الأمر ثوب الإسلام ورفع شعار الجهاد وأعلن ا لحرب على اليونان التي احتلت أزمير في 1919/05/16 ، واستطاع أن يقود المقاومة الشعبية التي فضلت أن تموت في سبيل عقيدتها . وهكذا ظهر مصطفى كمال في ثوب المسلم الوطني المتدين الثائر، وعمل على كسب أحمد الشريف لصفه لما له من المكانة الروحية عند المسلمين . وكان مصطفى كمال قد ابتدأ حركته باسم الدين حتى أنه أمر بإيقاف مصانع الخمور ، وإبعاد النساء المومسات ، واصدر أوامر صارمة بضرورة المحافظة على الصلوات في أوقاتها وجعل يوم الجمعة يوم عبادة للعموم وبهذا خدع المسلمين وقالوا هذا مجدد الدين ومنقذه وعليه قرر أحمد الشريف الذهاب إلى الأناضول والانضمام لمصطفى كمال رغم أن البعض حذره من الانخداع بظاهر أعماله ، من ذلك تلك الرسالة التي بعث بها إليه خالد درويش باشا أحد المقربين من السلطان العثماني قائلا له :

((**يا مولانا ياخادم الإسلام يا فرع الدوحة النبوية المباركة إياك أن تغتر بمظاهر الدين التي يصطنعها مصطفى كمال للوصول لغايته فإنني ربيته في بيتي وبين عائلتي وعرفت ظاهر أمره وباطنه فما قلبه ذرة من إيمان أو خوف من الله أو مبالاة بما يعمله ودينه هواء ، ولو تمكن لأضر بالإسلام والمسلمين ، وأنا كابنك وأخيك ومحبك أقول لك هذا ، ولولا محبتك التي ملكت علي جميع جوارحي ما قلته لكم ،وربما سيكون قولي هذا في يوم من الأيام جريمة تؤاخذ عليها ونِسأل الله أن يرشدنا إلى ما فيه سعادتنا في الدارين ،أمين المحب المخلص**)) الداماد خالد درويش ، جمادي الأولى 1338هـ [2].

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 55 .

[2] نفسه، ص ص57- 58 .

كل ذلك لم يغير من عزم أحمد الشريف[1]. الذي انضم إلـــى مصـــطفى كمـــال أتـــاتورك ، وكـــان انضمامه إليه نصرا عظيما، لما له من منزلة روحية في قلوب مختلف الشعوب الإسلامية، واعتقادهـــا أن السيد أحمد الشريف لا يميل إلا إلى الجبهة التي على الحق ، غير أنه كما يقال : **(لكل جواد كبوة).**

تظاهر مصطفى كمال بأن فرحته كبيرة بانضمام أحمد الشريف إليـــه، وراح يتفـــنن فـــي النفـــاق والتدليس فعرض علي أحمد الشريف منصب نيابة الخليفة غير أن أحمد الشريف زهد في هذا المنصب ، وأعلن أنه يفضل المساهمة الفعلية في ميدان الجهاد .وهكذا انخدع زعيم السنوسية لكلام مصـــطفى كمـــال الذي مرد على النفاق ، ومهما يكن من أمر فإن أحمد الشريف كانـــت نيتـــه أن تنتصـــر دولـــة الخلافـــة الإسلامية على اليونانيين الصليبيين وعليه فقد بذل كل ما في وسعه حتى تحقق النصر وظهـــر مصـــطفى كمال على حقيقته وبدأ يتنكر للإسلام والمسلمين وكشف عن نواياه الخبيثة فتدخل فـــي الأحكـــام وغيـــر القوانين الشرعية فانزعج أحمد الشريف غاية الإزعاج وبلغ منه الغضب مبلغا عظيما وخاطب مصـــطفى كمال قائلا له : ((**إننا والمسلمون لم نناصرك ونقف معك إلا لأجل حفظ كيان الدين الإسلامي**)) والتمس منه إعادة النظر سريعا في الموضوع ، وحظه على التمسك بعرى الدين ، الذي بـــه أتنتصـــر ، واكتســـب عطف الشعوب الإسلامية عليه.

لم يرق هذا الكلام مصطفى كمال الذي عده تدخلا في سياسته الشيطانية [2]. فـــراح يعمـــل بكافـــة الوسائل على التخلص من أحمد الشريف الذي تعرض للمضايقة وأحكمت عليه الرقابة الشديدة وحيل بينـــه وبين المراسلات التي كنت تصل إليه من أحبابه وأتباعه أو يرسلها إليهم ،ولم يعد يتقاضـــى المصـــاريف التي كان يتقاضاها، وبدأت حكومة مصطفى كمال تبحث عن أمر تدين به السيد أحمد الشـــريف فكـــان أن أتهم بالتآمر على الحكومة وبالتالي قرروا إبعاده وترحيله .

وعندما جاءه الأمر بترك البلاد خلال مدة عشرة أيام قال: ((**كنت أتوقع منذ خلع عبد المجيـــد،لأن بقائي في تركيا لا يروق لمن يريد أن يتلاعب بأمر الشرع الشريف ، ويطمس معالم الـــدين الحنيـــف ، وإنني أختار الخروج من تركيا ، وهذا جزاء معاضدتي ومناصرتي لها، وسوف تخسر تركيا ميزتها بين عموم الشعوب العربية ، والأمم الإسلامية))** [3].

---

(1) ينبغي أن نشير إلى أن كثيرا من العلماء والمشايخ والزعماء انخدعوا بمصطفى كمال أتاتورك ، من ذالك الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي بعث له رسالة يهنئه فيها بتوليه الحكم ، وكذالك أمير الشعراء أحمد شوقي الذي كتب قصيدة يمدح فيها مصطفى كمال أتاتورك بعد انتصاره على اليونان، ويشبهه بخالد بن الوليد ويقول في مطلعها :
الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب
أنظر: ،محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، الجزء الثاني ، ص26 .

(2) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 389 .

(3) نفســـــــــــــه ، ص 391 .

خرج أحمد الشريف من تركيا سنة 1924 ونزل في دمشق ضيفا على سعيد الجزائري حفيد الأمير عبد القادر وفرح به فرحا عظيما وتوافد الأعيان والشيوخ والزعماء لزيارته . ثم انه زار القدس ونزل ضيفا على رئيس المجلس الأعلى الإسلامي في فلسطين الشيخ **أمين الحسيني**، وخلال هذه الزيارة تعرض لمضايقة بريطانيا فعاد إلى دمشق، فضايقه الفرنسيون فاضطر أن يغادرها إلى بلاد الحجاز بعد أن تحصل على موافقة الأمير عبد العزيز بن سعود أمير نجد .وخلال تواجده بالحجاز سعى أحمد الشريف لدعم حركة المقاومة في ليبيا فكان يتخذ من مواسم الحج منبرا إعلاميا يحث المسلمين منه على دعم القضية الليبية ويجمع التبرعات منهم [1]. وكان من بين ما قام به أحمد الشريف بالحجاز أنه نجح في عقد معاهدة سوى من خلالها **الخلاف الحدودي الذي كان مستحكما بين الإمام يحي في اليمن وأمير عسير الحسن الإدريسي** والملك **عبد** العزيز بن سعود ملك العربية السعودية .

وفاته :

ظل أحمد الشريف فيما بين 1924- 1933 يتنقل بين الحرمين الشريفين في مكة والمدينة حتى توفاه الأجل في 13ذي القعدة 1351هـ الموافق ل10مارس1933م في الزاوية السنوسية بالمدينة المنورة ودفن في مقبرة البقيع قرب قبر الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة [2].

قالوا عنه :

قال عنه محمد أسد في كتابه ، الطريق إلى الإسلام : ((**ولقد أصبحت الحركة السنوسية اسما مشهورا في طول العالم الإسلامي وعرضه ،وما من اسم آخر أقض مضاجع الاستعماريين ذلك العدد الكبير من الليالي في شمال إفريقيا ، حتى اسم عبد القادر الجزائري في القرن التاسع عشر وعبد الكريم الريفي الذي كان شوكة قوية جدا في جانب الفرنسيين ذنك الاسمان هما كانا خالدين عند المسلمين كافة لم يكن لهما إلا معنى سياسي في حين أن السيد أحمد–السنوسي وطريقته- كان خلال سبعين عاما إلى ذلك قوة روحية عظيمة**)) [3].

وكتب الشيخ عبد الحميد بن باد يس عنه مقالا في جريدة السنة تحت عنوان : (الصوفي السني بين الحكومة السنية والحكومة الطرقية)، ومما جاء فيه : ((**فقد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب والسنة ، والتخلق بأخلاق السلف الصالح ، وكانت دعوته إلى الله وإرشاده للعباد بهدايتهما، وكانت تربيته لأتباعه مبنية على التفقه في الدين والتزام العمل به والزهد والصبر وحفظ الكرامة**)) [4].

---

[1] منتديات التاريخ ، صانعو التاريخ ،أحمد الشريف السنوسي ، ليبيا،2008/11/12

[2] محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية الأمس واليوم ، ص323 .

[3] محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، ت.عفيف البعلبكي ، بيروت، الطبعة السادسة، دارالعلم للملايين ، 1980، ص 332 .

[4] عمار طالبي ، ابن باديس حياته وآثاره ،الجزائر، الشركة الجزائرية، الجزء الثالث ، الطبعةالثالثة،1997، ص 48 .

وأما أمير البيان العربي شكيب أرسلان فقد كان من أعز الأصدقاء وأقربهم لأحمد الشريف ولهـذا عندما زاره في مرسين بتركيا واستقبله بحفاوة بالغة كتب شكيب واصفا أحمد الشريف : ((**رأيت في السيد حبرا جليلا، وسيدا غطريفا ، وأستاذا كبيرا ، من أنبل من وقع نظري عليهم مدة حياتي ، جلالة القدر ،و سراوة حال ، ورجاحة عقل ،وسجاحة خلق ، وكرم مهزة ، وسرعة فهم ،وسداد رأي ، وقوة حافظة مع الوقار الذي لا تغض من جانبه الوداعة، والورع الشديد في غير رياء ولا سمعة ....**)) [1]

بعد وفاة السيد أحمد الشريف مباشرة أعلنت ايطاليا هذه الوفاة على لسان وزير مستعمراتها وقتذاك الجنرال دي بونو داخل قاعة المجلس الفاشستي المنعقد حينذاك فقال : ((**مات السيد أحمد الشريف السنوسي بالحجاز متأثرا بالشلل، وبموته ماتت جميع مخاوفنا في إفريقيا**)) [2].

وكتب محمد الهادي الحسني عنه مقالا في جريدة الشروق قال فيه :((**لقد أبلى أحمد الشريف بلاء حسنا في المعارك التي خاضها المجاهدون السنوسيون ضد الفرنسيين في تشاد ،فلفت أليه الأنظار ، وتعلقت به الأبصار لما أظهره من شجاعة ، وما أبداه من براعة في مواجهة المواقف الحرجة ، وهذا ما جعل عمه محمد المهدي يعهد -عندما حضرته الموت في سنة 1902 – بقيادة الحركة السنوسية إلى أحمد الشريف ، فكان كما يقول العرب في أمثالهم : جذيلها المحكك ، وغديقها المرجب**)) [3].

---

(1) شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص 156.

(2) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 396 .

(3) محمد الهادي الحسني ، الإمام المجاهد أحمد الشريف السنوسي ، جريدة الشروق اليومية، الجزائر، 28 /08/ 2008، العدد2391 ، ص 24 .

3- الأمير محمد إدريس السنوسي_:(1307هـ/1890م- 1404هـ /1983م)

مولده ونشأته :

هو محمد إدريس ابن السيد محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي ولد في الجغبوب بشرق ليبيا (20 رجب 1307هـ/12 مارس 1890م نشأ في كنف أبيه الذي كان قائما على أمر الدعوة السنوسية في ليبيا، وقد التحق إدريس السنوسي بالكتاب، فأتم حفظ القرآن الكريم بزاوية "الكفرة "، مركز الدعوة السنوسية، ثم واصل تعليمه على يد العلماء السنوسيين من بينهم العلامة العربي الفاسي ، وأحمد أبي سيف ،والعربي الغماري،وأحمد الشريف السنوسي ، ثم رحل إلى برقة سنة (1320هـ - 1902م)، وتشاء الأقدار أن يتوفى في هذا العام أبوه "السيد المهدي" بعد أن بلغت الدعوة في عهده الذروة والانتشار، ووصل عدد "الزوايا" إلى 146 زاوية موزعة في برقة وطرابلس وفزان والكفرة ومصر والسودان وبلاد العرب، وانتقلت رئاسة الدعوة إلى السيد أحمد الشريف السنوسي، وصار وصيا على ابن عمه إدريس وجعله تحت عنايته ورعايته. قاد السيد أحمد الشريف في فترة من فترات إمارته للحركة السنوسية المجاهدين الليبيين وبعد هزيمته في حربه ضد الانجليز في مصر تنازل لابن عمه محمد إدريس[1].

في 1913 سافر محمد إدريس السنوسي رفقة مجموعة من الإخوان وفي مقدمتهم محمد التواتي إلى الحجاز لأداء فريضة الحج . وكان ذلك في وقت كان فيه العالم يستعد للحرب العالمية الأولى. وعند وصوله إلى مكة نزل بالزاوية السنوسية في أبي قبيس .وبعد أداء فريضة الحج اتجه إلى المدينة المنورة وكانت الحرب قد قامت بين بريطانيا والدولة العثمانية وحاول العثمانيون استمالة العرب إلى صفهم وكذلك فعل الانجليز غير أن الشريف حسين (شريف مكة) فضل التزام الحياد في بداية الأمر. وبعد هذه الرحلة التي استغرقت عاما كاملا تقريبا [2] عاد محمد إدريس السنوسي إلى برقة . ولم تكن هذه العودة بالأمر الهين في ظل ظروف الحرب التي اشتدت ضراوتها .ويلاحظ أن هذه الر حلة كان لها أثر عميق في تفكير محمد إدريس الذي احتك بالحكومة المصرية وبزعيم الثورة العربية الشريف حسين وقادة الانجليز في مصر ومما لاشك فيه انه ناقش وحاور واستمع إلى الأطراف المذكورة وتولدت لديه قناعة وهي أنه ليس من مصلحة الحركة السنوسية الدخول مع الأتراك في حربهم ضد الانجليز [3] وبذلك نصح أحمد الشريف الذي لم يستجب لهذه النصيحة .

---

[1] شبكة الأنترنت ، موسوعة ويكيبيديا، محمد إدريس السنوسي ،2008/11/13.
[2]علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 442 .
[3] نفسه ، ص 443 .

خلال هذه الفترة أسند إليه أحمد الشريف مهمة إدارة شؤون برقة فقام محمد إدريس بتنظيم أمور البلاد و توطيد الأمن والضرب على أيدي العابثين المفسدين. ويلاحظ أن مهمته في برقة كانت مهمة شاقة وخاصة بعد الفشل الذي أصاب المجاهدين بزعامة أحمد الشريف على أيدي الانجليز.فانتشرت المجاعة في برقة بسبب الجفاف، وغزت حملات الجراد وتفشى فيها مرض الطاعون وكان أعظم بلاء شهدته برقة في تلك الفترة هو بلاء المجاعة[1].

وفي ظل هذه الظروف اجتمع بعض أعيان برقة وتدارسوا الوضع وأرسلوا إلى السيد محمد إدريس المقيم في اجدابيا - باعتباره صاحب الحق الشرعي في إمارة السنوسيين- يطلبون منه تدارك الخطأ الذي وقع فيه أحمد الشريف بمحاربته الانجليز جريا وراء الأتراك الذين لم يوفوا بوعودهم التي قطعوها له ، بل ورطوا البلاد في نكبة الحرب ضد بريطانيا وتركوا شعبها المخلص لهم يموت جوعا [2].

كان محمد إدريس متأدبا مع ابن عمه أحمد الشريف غاية التأدب ولذلك لم يتخذ أي قرار لمعالجة الموقف ولكن كتب إلى السيد أحمد الشريف يبين له حقيقة الوضع في برقة ،فكان أن رد عليه برسالة يقول له فيها:((**... اعمل ما تراه مناسبا ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب ، وأنا موافق على مطالب أهل الوطن حيث أن لهم حقا في ذلك**)) [3].

محمد إدريس السنوسي يتولى قيادة السنوسيين :

تولى السيد إدريس السنوسي إمارة الحركة السنوسيّة في 1916م من ابن عمه السيد أحمد الشريف في تلك الفترة الحرجة .وبايعه أهل برقة بالإمارة ، ثم أهل طرابلس. وبعد توليه الإمارة دخل السيد إدريس بن المهدي السنوسي في مفاوضات مع الانجليز حتى يتمكن من فتح الطريق نحو مصر في سبيل القضاء على خطر المجاعة التي حلت بأهل برقة ، وعليه فإن البرقاويين لم يمانعوا من دخول محمد إدريس في المفاوضات مع ايطاليا أو انجلترا مادامت تلك المفاوضات تساعدهم في الخروج من دائرة المجاعة . ولعل معرفة محمد إدريس بالكثير من رجالات العرب- وفي مقدمتهم الشريف حسين- سهل له مهمة إخراج برقة من الورطة التي حلت بها . وهكذا شرع الزعيم السنوسي في اقتحام دهاليز السياسة فأرسل إلى مندوب بريطانيا في مصر الجنرال مكماهون يقترح عليه عقد مفاوضات للصلح فقبل بذالك شريطة أن تشترك ايطاليا في هذا الصلح. لم يجد محمد إدريس مفرا من قبول هذا الشرط لأنه أصبح من حيث القوة العسكرية في وضع لا يحسد عليه بعد هزيمة أحمد الشريف في مصر والتي جردت السنوسيين من عنصر القوة العسكرية[4].

---

[1] محمد فؤاد شكري ،المرجع السابق ، ص187 .

[2] محمد إبراهيم لطفي ، تاريخ حرب طرابلس ، بنها ، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق ، 1964 ، ص 57 .

[3] محمد الطيب الأشهب ، ليبيا اليوم ، بغداد ، مطبعة أسعد ، 1955 ، ص 7 .

[4] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 445.

كان قبول محمد إدريس بالتفاوض قد أثار سخط الأتراك الذين احكموا السيطرة على فزان وطردوا منها **محمد عابد السنوسي** ، وراحوا يؤلبون المجاهدين السنوسيين ضده، الأمر الذي جعل محمد إدريس يعد حملة بقيادة عمر المختار لمواجهة الأتراك في اجدابيا ، واستطاع أن يحاصرهم ثم خيرهم بين أمرين أما الاستسلام أو مغادرة اجدابيا إلى طرابلس ، فاختار الكثير منهم الذهاب إلى طرابلس وأرسل بعضهم إلى الجغبوب والبعض الآخر إلى الكفرة ، ثم عاد إلى عكرمة(إحدى المناطق الواقعة شرق ليبيا) لاستكمال المفاوضات التي كان يجريها مع الانجليز والإيطاليين.وكانت أهم المفاوضات مع ايطاليا والتي منها مفاوضات الزويتينة 1916م.. مفاوضات منطقة عكرمة القريبة من مدينة طبرق 1917م، وكان أهم شروطها هو الاعتراف بالسيد إدريس السنوسي كأمير سنوسي لإدارة الحكم الذاتي بحيث يشمل نطاقها واحات: الجغبوب وجالو والكفرة ويكون مقرها في اجدابيا [1].

استمرت مناوشة الأتراك للسنوسيين في محاولة منهم لإفشال المفاوضات وشنوا حملة ضد الكفرة إلا أن السنوسيين قادوا هجوما معاكسا واستطاعوا أن يلحقوا الهزيمة بالقوات التركية، فشجع ذلك محمد إدريس على الاستمرار في التفاوض مع الانجليز حتى يجد متنفسا لمواجهة الترك مرة أخرى خاصة وأنهم أرادوا القضاء على نفوذ السنوسية وإقصائهم من ليبيا ، وعليه فإن محمد إدريس فقد الثقة في الأتراك وأصبح يرى فيهم خطرا على البلاد والعباد . ولذلك أرسل إلى ابن عمه أحمد الشريف رسالة في 1917/01/2 بين له فيها الخطر المحدق بالبلاد في ظل استمرار التواجد التركي الممزوج بالوعود المعسولة ،ومن بين ما جاء في هذه الرسالة قول محمد إدريس : ((..**فإلى متى يجب علينا نحن وأتباعنا أن نقف مكتوفي الأيدي أمام هذه الوعود الباطلة الكثيرة التي سوف تنتهي من غير شك بنتيجة واحدة هي القضاء علينا وعلى أوطاننا ؟ و يالها من كوارث عظيمة التي نزلت بهذا الوطن**)) [2].

مما تقدم يستشف أن السيد محمد إدريس السنوسي كان يدرك أن النهوض ببرقة لابد له من دعم خارجي (مادي ومعنوي) وعليه فقد تولدت لديه قناعة بضرورة التقارب من الانجليز لاسيما وان كل مؤشرات الحرب العالمية الأولى أصبحت توحي بأن الغلبة ستكون للانجليز وحلفائهم، وهذا العمل إن دل على شيء فإنما يدل على الحنكة السياسية التي أصبح عليها محمد إدريس السنوسي، لأن السياسي البارع هو الذي يعرف كيف يخرج من الحرب بأقل الخسائر حتى لو أدى ذلك به إلى التنازل عن بعض الأمور التي قد تبدو غير قابلة للتنازل حفاظا على كيان الحركة السنوسية المهدد من قبل الأتراك الكماليين (نسبة إلى مصطفى كمال أتاتورك). وعليه فقد اتخذ قرارا بالانسحاب من الحرب ضد ايطاليا وبريطانيا ووافقه زعماء القبائل التابعون للحركة السنوسية على هذا القرار [3].

---

[1] شبكة الإنترنت ، موسوعة ويكيبيديا ، محمد إدريس السنوسي،2008/11/13.
[2] محمد الطيب الأشهب ، السنوسي الكبير ، ص 191 .
[3] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 448 .

إن الاتفاق الذي عقده محمد إدريس مع الانجليز والإيطاليين لا يعني بأي شكل من الأشكال الاستسلام ، ولكن الظروف اقتضت أن يكون مثل هذا الاتفاق كمرحلة مؤقتة هدفها إنقاذ البلاد وتوحيد الصفوف وتقويتها، ومما يؤكد هذه النوايا أن زعماء غريان في غرب ليبيا عقدوا مؤتمرا في نوفمبر 1921 واقروا تعيين محمد إدريس أميرا على البلاد وأرسلوا إليه يبايعونه في سبتمبر 1922 وحققوا بذلك الوحدة الوطنية للبلاد، ووضعوا محمد إدريس أمام مسئولية عظيمة تتطلب منه تولي زمام الأمور والسير بالبلاد إلى حريتها واستقلالها ، وأصبحت مسئوليته ليست على برقة فحسب بل على ليبيا بقسميها الطرابلسي والبرقاوي، وان إمارته ليست منحة ايطالية وإنما هي رغبة شعبية وضرورة شرعية [1].

كان أن تفطن الإيطاليون إلى التطورات السالفة الذكر خاصة وان وفدا من طرابلس جاء لإجدابيا لمبايعة محمد إدريس ، فثارت ثائرتهم وأعلنت الحكومة الإيطالية استعدادها لمهاجمة اجدابيا ، فحاول محمد إدريس إقناعها بأن الطرابلسيين لا يريدون سوى حقن الدماء مع إخوانهم في برقة ، فضلا عن أنه كان للأمير –بمقتضى اتفاق الرجمة (1920) – الحق في أن يعرض ما يراه في مصلحة البلاد على الحكومة الإيطالية ،كما أن المعاهدة ألزمت الطليان بأن يضعوا كل ما يبديه الأمير من آراء في ذلك [2].

محمد إدريس السنوسي يتوجه إلى مصر :

لم تستمر حكومة إجدابيا طويلاً لأنّ إيطاليا أرادت التخلص من اتفاقياتها. فقرر إدريس السنوسي الرحيل إلى مصر في 2 جمادي الأولى 1341هـ الموافق ل 21 ديسمبر 1922 م [3] ، وكان ذلك الرحيل بسبب مرض ألم به ونصحه الأطباء بالذهاب إلى مصر للعلاج ، يضاف إلى ذلك أن العلاقات بينه وبين ايطاليا لم تعد تحتمل هذا الصبر وقد كلف شقيقه محمّد الرضا السنوسي وكيلاً عنه على شؤون الحركة السنوسيّة في برقة، وعين عمر المختار نائباً له وقائداً للجهاد العسكري في نوفمبر 1922م.

لقد تعرض محمد إدريس السنوسي بخروجه من ليبيا للانتقاد بدعوى انه ترك شعبه لوحده يقاوم الإيطاليين، غير أن مغادرته كانت في وقت بات فيه واضحا أن معاهدة الرجمة لم تكن إلا محاولة عقيمة لإقامة نوع من الحكم الثنائي لم يكتب له النجاح من الناحية العملية ، ومما فقد الأمل في هذه المعاهدة سيطرة الفاشيست على الحكم ،وأحكموا السيطرة على ليبيا . ومهما يكن من أمر فإن محمد إدريس السنوسي ذهب إلى مصر وبقي قلبه معلقا بليبيا وأتباعه من السنوسيين ، وكانت فترة المهجر من أصعب أيام حياته ، وقد عبر عن ذلك بقوله :

((وكانت تلك الفترة تعسة للغاية ، فقدت أثناءها الكثيرين من أخلص أصدقائي وأنصاري الذين استشهدوا في معارك الجهاد ضد الإيطاليين ، كما غمرني الحزن والأسى الشديد لمعاناة أهل برقة ،

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 462 .

[2] محمد الطيب الأشهب ، المصدر السابق ، ص ص 259-260 .

[3] الطاهر أحمد الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ، بيروت، الطبعة الثالثة ، دار الفتح للطباعة والنشر، 1962 ، ص331.

وعقب احتلال الكفرة دمر المسجد الذي كان يضم رفات والدي ونهبت وبعثرت محتويات المكتبة التي كان فيها الكثير من كتبنا ومخطوطتنا ، وما كان يشد من أزري عبر تلك الظروف العصيبة سوى ثقتي بالله وتعاطف أصدقائنا في العالم العربي)) [1].

عندما قامت الحرب العالمية الثانية عام 1939 شرع الأمير محمد إدريس السنوسي في جمع الزعماء الليبيين وراح يتشاور معهم وعقدوا اجتماعا في 6 رمضان 1358هـ الموافق ل 2 أكتوبر1939م في منزل الأمير بالإسكندرية حضره نحو أربعين شيخا من زعماء الليبيين الموجودين في مصر،ودام اجتماعهم ثلاثة أيام كاملة واتفقوا على تفويض الأمير بمفاوضة الحكومة المصرية أو الانجليزية بشأن تكوين جيش سنوسي مهمته الاشتراك في تحرير ليبيا في حالة دخول ايطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا. وشرع الأمير محمد إدريس السنوسي في مفاوضة الانجليز الذين سمحوا له بتشكيل الجيش المقترح بغية تحرير ليبيا من الاحتلال الإيطالي . وعليه عقد الأمير اجتماعا بالقاهرة في7 أوت 1940 من أجل دراسة التطورات ضم مشايخ القبائل وزعماء المجاهدين الموجودين في مصر، وأسفر الاجتماع عن اتخاذ القرارات التالية :

1- وضع الثقة في بريطانيا العظمى التي مدت يد المساعدة لتخليص ليبيا من الاحتلال الإيطالي .
2- إعلان الإمارة السنوسية والثقة التامة بالأمير السيد محمد إدريس السنوسي .
3- تعيين هيئة تضم ممثلين عن طرابلس وبرقة تكون مجلس شورى للأمير.
4- خوض غمار الحرب ضد ايطاليا إلى جانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية .
5- تعيين هيئة للتجنيد يكون مقرها ضمن مقر الحكومة السنوسية.
6– تكليف الأمير بأن تعمل بريطانيا على تخصيص المستلزمات الخاصة بالتجنيد وإدارة الحكومة
7- تفويض سمو الأمير بمراجعة الحكومة البريطانية وتوقيع الاتفاقيات والمعاهدات التي تضمن للوطن حريته واستقلاله [2].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 509 .
[2] محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، ص 381 .

انطلاقا من هذه القرارات راح الأمير محمد إدريس السنوسي يعمل على تجنيد جيش من الليبيين المقيمين بمصر، وأطلق عليه اسم: **(القوة العربية الليبية)** وكان تحت قيادة ضابط بريطاني يدعى بروميلو[1]. وأقيم معسكر للتدريب في إمبابة بمصر بلغ المتطوعون فيه ما يزيد عن أربعة آلاف ليبي، كانوا فيما بعد عونا كبيرا للحلفاء في حملتهم ضد قوى "المحور" في شمال أفريقيا، وساهموا مساهمة فعلية في الحرب، بالإضافة إلى ما قدمه المدنيون في ليبيا من خدمات كبيرة للجيوش المحاربة ضد إيطاليا. وعبر أمواج الأثير وجه الأمير إدريس نداء إلى الشعب الليبي بين له فيه تحالفه مع بريطانيا ضد ايطاليا وحثهم على العمل للتخلص من الاستعمار الإيطالي البغيض [2].

ولما انتهت الحرب بهزيمة إيطاليا، وخروجها من ليبيا، عاد إدريس السنوسي إلى ليبيا في (شعبان 1364هـ الموافق يوليو 1944م)، فاستقبله الشعب في برقة استقبالا حافلا. وأصبحت ليبيا منذ ذلك التاريخ تحت حكم الإدارة البريطانيّة والفرنسية (الحلفاء). وما إن استقر في برقة حتى أخذ يعد العدة لنقل الإدارة إلى حكومته، فأصدر قرارا بتعيين حكومة ليبية تتولى إدارة البلاد، وأصدر دستور برقة، وهو يعد وثيقة مهمة من وثائق التاريخ العربي الحديث.

كفل هذا الدستور حرية العقيدة والفكر، والمساواة بين الأهالي وحرية الملكية، واعتبر اللغة العربية لغة الدولة الرسمية، ونص الدستور على أن حكومة برقة حكومة دستورية قوامها مجلس نواب منتخب .وفي عام1946 اعترفت إيطاليا باستقلال ليبيا، وبحكم السيد محمد إدريس السنوسي لها، ولم تكن إمارته كاملة السيادة بسبب وجود قوات إنجليزية وفرنسية فوق الأراضي الليبية [3].

إعلان المملكة الليبية :

في 24 ديسمبر 1951م، أعلن الأمير محمّد إدريس السنوسي من شرفة قصر المنارة في مدينة بنغازي الاستقلال وميلاد الدولة الليبيّة كنتيجة لجهاد الشعب الليبي، وتنفيذاً لقرار هيئة الأمم المتحدة، وبناءاً على قرار الجمعيّة الوطنيّة الصادر بتاريخ 2 ديسمبر 1950م. وأعلن أنّ ليبيا منذ اليّوم – 24 ديسمبر 1951م – أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة، وأنّه اتخذ لنفسه لقب ملك المملكة الليبية المتحدة، وأنّه سيمارس سلطاته وفقاً لأحكام الدستور. وكان محمود المنتصر أول رئيس للحكومة المؤقتة [4].

---

[1] شبكة الإنترنت ، موسوعة ويكيبيديا ، محمد إدريس السنوسي ، 2008/11/13.

[2] محمد الطيب الأشهب ، إدريس السنوسي ،القاهرة ، دار العهد الجديد للطباعة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ ، ص 76.

[3] شبكة الإنترنت ، موسوعة ويكيبيديا ، محمد إدريس السنوسي ، 2008/11/13.

[4] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 697 .

نهاية الملكية ووفاة إدريس السنوسي :

ظل السنوسي ملكا على ليبيا حتى قامت الحركة التغييرية (ثورة الفـــاتح) فـــي 16جمـــادي الثانيـــة 1389 = 1 سبتمبر 1969 م بزعامة العقيد معمر القذافي فأطاحت بحكم الملك إدريس السنوسي، الـــذي انتقل إلى مصر لاجئا سياسيا برفقة زوجته الملكة فاطمة . وظل هناك حتى توفي في (12 مـــن شـــعبان 1404هـــ= 25 مايو 1983م).ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة بعد أن أجاز الملك فهد بن عبد العزيز[4].

الملك محمد إدريس السنوسي والثورة الجزائرية :

إن السنوسيين اهتموا اهتماما كبيرا بقضية الكفاح في الجزائر ، وهذا الاهتمام مرده إلـــى جملـــة من العوامل لعل في مقدمتها كون أن مؤسس الحركة السنوسية محمد بن علي السنوسي جزائري الأصـــل وان قضية الجزائر ظلت تؤرقه باستمرار ، واعتبارا من أن الواجب الشرعي والأخوي يقتضي الوقـــوف إلى جانب الجزائر والجزائريين وهم يواجهون الاحتلال الفرنسي الذي جاس خلال الديار، وطغـــى فـــي الأرض فأكثر فيها الفساد. وعليه وقف الإخوان السنوسيون يؤازرون ويدعمون الكفاح في الجزائر ، وكان للملك محمد إدريس دور لا ينسى في هذا الشأن، فقد راح يدعم الكفاح الجزائري ماديـــا ومعنويـــا ، وقـــد أثبتت الوثائق ذلك ، فقد ذكر **مصطفى أحمد بن حليم** رئيس وزراء ليبيا في عهد الملك إدريس في كتابه : (صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي) تحت عنوان:**(ثورة الجزائر ودور ليبيا الخطير في مساندتها)** ما يقيم الحجة والبرهان على صدق الملك إدريس لدعمه للثورة الجزائرية ، من ذلـــك أنـــه فـــي إحـــدى الجلسات التي جمعته بالرئيس المصري جمال عبد الناصر، أراد هذا الأخير أن يعرف مدى صـــدق ليبيـــا في دعم الثورة الجزائرية ، فكان رد مصطفى أحمد بن حليم أن قال له : ((**ياريس لعلك لا تعرف أن جد الملك إدريس جاء إلى ليبيا من الجزائر هاربا من الطغيان الفرنسي وأمضى حياته في نشـــر الـــدعوة الإسلامية وإيقاظ الأمة الإسلامية لتقاوم موجة الطغيان والتنصير الفرنسي ، ووالد الملك إدريس ظـــل يقاوم تغلغل المد الفرنسي في تشاد والسودان والنيجر ، حتى لقي وجه ربه ، والسيد أحمـــد الشـــريف والملك إدريس افنيا عمرهما في الجهاد ضد الطليان ...))** [1].

لقد وقف الملك محمد إدريس السنوسي مع القضية الجزائرية ، وحتى لا يتفطن الفرنســـيون لهـــذا الموقف تظاهرت الحكومة الليبية بأنها تقف موقف الحياد من قضية الجزائر وتدعو الطرفين إلـــى طاولـــة التفاوض، في الوقت الذي سمحت فيه الحكومة بتكوين جمعيات شعبية لنصرة الشعب الجزائـــري وجمـــع التبرعات ،وإرسال برقيات التأييد للثورة الجزائرية وبرقيات الشجب للحكومة الفرنسية ، وفي كـــل ذلـــك كانت الحكومة بزعامة مصطفى بن حليم تتظاهر بأنه لا دخل لها بالأعمال الشعبية العفوية [2].

---

[1] مصطفى أحمد بن حليم ، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي ، قليوب،مصر، وكالة الأهرام للتوزيع والنشر، مطابع الأهرام التجارية ، بدون تاريخ ، ص716 .

[2] نفســـــــــــــــــه ، ص 720.

الفصل الثاني

ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895)

المبحث الأول : الظروف التي ظهرت فيها ثورة الشريف محمد بن عبد الله

المبحث الثاني : الثورة في مرحلتها الأولى: (1842- 1853)

المبحث الثالث: الثورة في مرحلتها الثانية:(1853-1895)

المبحث الأول : الظروف التي ظهرت فيها ثورة الشريف محمد بن عبد الله

في مطلع القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة 1830 ابتليت الجزائر بالاحتلال الفرنسي ، وبذلك دخلت البلاد مرحلة جديدة من تطورها التاريخي . وظن الفرنسيون مع بداية الاحتلال أنهم سيجدون الطريق معبدا لبسط نفوذهم وسيطرتهم على الجزائر ، وأن عملية الاحتلال لا تعدو أن تكون نزهة عسكرية لجيشهم [1]. غير أن الشعب الجزائري وقف وقفة رجل واحد لمواجهة هذا الاستعمار ، ودخل في حركة مقاومة مستمرة امتدت خلال التواجد الاستعماري أي من 1830 إلى غاية 1962 . وكانت حركة المقاومة رد فعل طبيعي على السياسة الاستعمارية التي رفض الجزائريون تقبلها . وتميزت هذه المقاومة بإصرارها وروحها الوطنية طوال القرن والثلث من الوجود الفرنسي[2].

ولعل المستقرئ للتاريخ يجد أن الجزائر قاومت كل دخيل ، غير أن مقاومتها للاستعمار الفرنسي كانت أشد وأشرس وأعنف، اعتبارا من أن الفرنسيين لم يتوقفوا في احتلالهم عند حد معين ولم يقتصروا في أطماعهم على جانب واحد ، واستعملوا في سبيل تحقيق تلك المطامع والمطامح الوسائل الاستعمارية الوحشية التي كان لها الأثر السلبي على نفسيات الجزائريين مما جعل المقاومة تكون في مستوى هذا التحدي الاستعماري . وعليه كلما قررت الإدارة الاستعمارية الفرنسية مشروعا إلا وتصدى له الجزائريون بمشروع مضاد ، واستعملوا في ذلك نوعين من المقاومة :

1) المقاومة الإيجابية : وتتمثل في تلك الثورات المسلحة التي دامت أكثر من ثمانية عقود من الزمن بدءا من الاحتلال (1830) وحتى بداية الحرب العالمية الأولى (1914).
2) المقاومة السلبية : وتتمثل في مقاطعة المشاريع الاستعمارية وخاصة تلك التي يشتم منها أنها وضعت من أجل القضاء على الكيان الجزائري ومقوماته ،و هجرة العلماء والأعيان إلى المشرق العربي [3].

---

(1) بعد سقوط الجزائر العاصمة صرح قائد الحملة " **دي بورمون**"(**De Bourmont**) قائلا:((إن كل أنحاء مملكة الجزائر ستخضع لنا خلال خمسة عشرة يوما دون أي طلقة نارية)) . أنظر:
- سعيد بورنان ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر ، تيزي وزو ،الجزء الأول، الطبعة الثانية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004، ص19 .

(2) محمد الطيب العلوي ، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830إلى 1954 ، قسنطينة، دار البعث ، الطبعة الأولى، 1985 ، ص17.

(3) نفســــــــــه، ص ص 17- 18 .

وعليه فإنه لم تخل فترة من فترات التاريخ الجزائري المعاصر من مقاومة مسـلحة أو انتفاضـة فـي منطقة من مناطق البلاد ، أو من نضال سياسي وديني وثقافي ،مما أحـرج الإدارة الاسـتعمارية وأربـك مخططاتها ، ونتيجة لذلك الإحراج قامت بأعمال قمع فظيعة كانت نتيجتها إبادة قبائل بأكملهـا ، وحـرق قرى على أصحابها والاستحواذ على الأراضي والممتلكات وتوزيعها على المعمرين القادمين مـن وراء البحر، وأدت إلى وضع قوانين خاصة بالسكان وبمقتضاها شرعت فرنسا الاستعمارية عمليات الاعتـداء والاضطهاد والاغتصاب وتزوير الانتخابات والحيلولة دون تمثيل السكان على جميع المسـتويات. وكـان الهدف من ذلك كله إضعاف روح المقاومة الوطنية وتشجيع الاستيطان .

رغم ذلك كله فان المقاومة الوطنية كانت في مستوى هذا التحدي الاستعماري ، فاشتعلت جذوتها هنا وهناك وبرزت شخصيات وطنية حملت على عاتقها لواء هذه المقاومة وقادت الشعب في كفاحه المجيـد، وبذلت النفس والنفيس في سبيل تحرير الوطن من براثن الاستعمار[1]. وسجل التـاريخ بطـولات نـادرة لأولئك الرجال –بل وحتى النساء - الذين تصدوا بقوة للاستعمار وحاولوا جاهـدين إفشـال مخططاتـه الرامية إلى تحطيم الجزائر هوية وتاريخا ، فكان من بين هؤلاء الأمير عبد القـادر (1832- 1847)، وأحمد باي (1830-1848) اللذين استطاعا أن ينزلا بفرنسا الهزائم المتلاحقة في مواقع مختلفـة وكـاد يحققان المفاجأة غير أن الحظ لم يسعفهما . ومهما يكن من أمر فقد عبدا الطريق أمام الانتفاضات الشـعبية التي قادها أبطال أشاوس ويتعلق الأمر برؤساء القبائـل وشـيوخ الزوايـا، فكانـت ثـورة الزعاطشـة (1849)بقيادة الشيخ أحمد بوزيان ، وثورة الشريف بوبغلة ولالة فاطمة نسومر بجرجـرة(1851-1857) وثورة الشريف محمد بن عبد الله في شمال الصحراء (1842-1895)،وثورة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي بقيادة سي سليمان (1864-1881)، وثورة الشيخ المقرانـي (1871)وثـورة الشـيخ بوعمامـة (1881) وغير ذلك من الثورات والانتفاضات.

والملفت للانتباه أن تلك الثورات والانتفاضات كانت في معظمها تحت قيادة شيوخ الطرائق الدينيـة وقادة الزوايا، وكانت الجماهير الشعبية مدفوعة بفكرة الجهاد التي بثها فيها أولئك القادة، فكانـت العقيـدة الإسلامية هي المحرك الأساسي لتلك الثورات ، ولم يكن الجزائريون يفرقون بين العقيدة والوطنية، فهمـا شيء واحد عندهم ،خاصة وأنهم كانوا يواجهون عدوا شرسا لا يتـوانى فـي إظهـار حقـده الصـليبي ومشاريعه التنصيرية [2].

ولعل المتأمل في سياسة فرنسا الاستعمارية بالجزائر خلال الفترة المذكورة يجـد كيـف أن القـادة الفرنسيين الذين أوكلت لهم مهمة إدارة شؤون الجزائر تفننوا في تسليط أنواع الجرائم وصنوف العذاب ضد الشعب الجزائري لا لشيء إلا لكون هذا الشعب عبر عن رفضه للاحتلال.وعليه- وقبل الكلام عن

---

(1) سعيد بورنان ، المرجع السابق ، ص ص 20-21 .

(2) نفسـه ، ص 20 .

عن ثورة الشريف محمد بن عبد الله - نورد بعض الشهادات التي صرح بها غـــلاة المســـتعمر وكبـــار السفاحين والتي تنم عن وحشية هؤلاء وتجردهم من إنسانيتهم وهم بذلك أساءوا إلى فرنسا قبل أن يســـيئوا إلى الجزائر والجزائريين لاسيما وان الثورة الفرنسية (1789) رفعت شعار:الإخاء ، الحرية ، المســـاواة . وكان هؤلاء القادة الفرنسيون يرون في أعمالهم الإجرامية سبيلا إلى المجد العسكري.وكانوا في الشراســـة سواء بدءا من "**مونتناياك**" (Montagnac) إلى "**ترزيل**" (Trézel) ثم "**كلوز يل**" (Clauzel) و"**بوجـــو**" (Bugeaud) و"**سانت أرنو**" (St Arnaud) و"**راندون**" (Randon) و"**دوماس**"(Domas) وغيـــرهم .

ففي كتابه: رسائل جندي lettres d' un soldat يقول " **مونتناياك**" (Montagnac):((**إننا رابطنا فـــي وسط البلاد وهمنا الوحيد الإحراق والقتل والتدمير والتخريب حتى تركنا البلاد قاعا صفصفا ، إن بعض القبائل لازالت تقاومنا ، ولكن نطاردها من كل جانب حتى تصبح النساء والأطفال بـــين ســـبي وذبـــيح والغنائم بين سلب ونهب**)) [1].

وفي رسالة بعث بها إلى أحد أصدقائه قال "**مو نتانياك**" (Montagnac):((**لا يمكن تصور الرعب الذي يستولي على العرب حين يرون قطع رأس بيد مسيحية ، فإني أدركت ذلك منذ زمن بعيد وأقسم لك بأنه لا يفلت أحد من أظفاري حتى يناله من بز رأسه ما يناله ... وقد أنذرت بنفسي جميـــع الجنـــود الـــذين أتشرف بقيادتهم أنهم لو أتوا بعربي حي لأنهلت عليهم ضربا بعرض نصل سيفي ، وأما قطع الـــرؤوس فهي تكون على مرأى ومسمع جميع الناس**)) [2].

ويواصل "**مونتانياك** " (Montagnac):حديثه مع صديقه قائلا له :((**ينبغي أن نقتل كل الرجـــال ابتـــداء من سن الخامسة عشرة ،وأن نأخذ جميع النساء والأطفال وان نضعهم في السفن ونبعث بهم إلى جزر الماركيز أو غيرها ، وبكلمة مختصرة ينبغي أن نقضي على كل من لا يركع أمامنا كالكلب**)) [3] .

ويتكلم السفاح "**سانت ارنو**" (St Arnaud) عن مفاخره العسكرية ، فيقول:((**إننا اليوم فـــي قلـــب الجبال بين مدينتي مليانة وشرشال ، وقليلا ما نستعمل بنادقنا، إننا نحرق جميع الدواوير وجميع القرى وجميع الأكواخ ، فيفر العدو في كل حدب و صوب بغنمه**)) [4]. وعن حملته التي قادهـــا علـــى منطقـــة القبائل سنة 1851 يقول "**سانت ارنو**" (St Arnaud) :((**تركت ورائي حريقا هائلا ، أحرقت نحو مائتين من القرى ، أتلفت جميع البساتين وقطعت جميع أشجار الزيتون**)) [5].

---

[1] نقلا عن فرحات عباس ، ليل الاستعمار ، ترجمة أبوبكر رحال،المغرب ، بدون تاريخ ، ص 80 .

[2] نفســــــــــــــــه ، ص 80 .

[3] مصطفى الأشرف ،الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة ، حنفي بن عيسى ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983، ص334 .

[4] فرحات عباس ، المرجع السابق ،ص ص 82-83 .

[5] أندري نوشي ،أ ندري برنيان ، ايف لاكوست ، الجزائر بين الماضي الحاضر ، ت، اسطنبولي رابح /منصف عاشور، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984، ص291 .

أما الكونت" **ديرسون** " (**DERSON**) فيعترف في كتابه : مطاردة الإنسان lachasse de l 'homme قائلا :((**إننا والحق يقال أتينا ببرميل مملوءة أذانا غنمناها أزواجا أزواجا من الأسرى ...اقترفنا جرائم يذوب لوحشيتها الصخر الأصم ... نفذنا ذلك الإعدام رميا بالرصاص أو بحد السيف ، فذهب ضحية تلك الاغتيالات أبرياء لا ذنب لهم إلا أنهم نعتوا لنا مطامير فارغة ،إننا أحرقنا ونهبنا جميع القرى التي مررنا بها والتي كان أهلها قد فروا منها وقطعنا نخيلها وأشجار المشمش لأن أصحابها لم يصمدوا في وجه أميرهم بل سمحوا له بعبور مجاز مفتوح لجميع الناس عند تلك القبائل الرحالة وكل هذه الجرائم ارتكبت بدون إطلاق أي رصاصة...**)) [1] .

ومما يلاحظ أن الجرائم التي ارتكبها الفرنسيون المستعمرون في حق الجزائريين لم تقتصر على المناطق الشمالية بل تعدتها إلى جميع المناطق ،وخاصة منطقة الواحات كالذي حدث في واحة الزعاطشة، فقد وصف المؤرخ الفرنسي "**بوديكور**" (**BAUDICOUR**)ما حدث في واحة الزعاطشة بقوله : ((**إن الجنود كانوا يعبثون بالضعفاء ، وبكل من وجدت فيه بقية روح ، فهذه امرأة طريحة عبثوا بحلمة ثديها وهي لا تطلب سوى الإجهاز عليها وتخليصها من العذاب ، وهذا طفل حملوه من رجليه وضربوا رأسه على الحائط ، إلى غير ذلك من المناظر التي يندى لها الجبين ، ويتنزه القلم عن ذكرها..**)) [2] .

وعندما احتل الفرنسيون مدينة الأغواط سنة 1852،فقد ارتكبوا جريمة فظيعة ومذبحة كبيرة ضد السكان العزل ، ويصف العقيد "**بان**" (**PEIN**) هذه الجريمة بقوله :

((**لقد كانت مذبحة شنيعة حقا، كانت المساكن والخيام التي في ساحة المدينة والشوارع والأزقة والميادين ، كانت كلها تغص بالجثث .إن الإحصائيات التي أقيمت بعد الاستيلاء على المدينة في هدوء المكاتب ، وحسب معلومات استقيناها من مصادر موثوق بها ، أكدت أن عدد القتلى من النساء والأطفال 2300 قتيل ، أما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر لسبب بسيط هو أن جنودنا كانوا يهجمون على المنازل ويطعنون كل من وجدوه بلا شفقة ولا رحمة**)) [3].

يقول الأستاذ إبراهيم مياسي :((**بعد احتلال مدينة الأغواط في 1852/12/04 قامت قوات الاحتلال بارتكاب مجزرة في حق السكان ، فقد قام الجنرال " بليسييه " (Pélissier) بنصب الزرابي العربية الفاخرة وسط ركام الحرب المدمرة ليتناول عليها غذاءه مع ضباطه لينفذ عدوه ويتباهى بانجازه التاريخي أمام العزل والأطفال والنساء ويشرب كؤوس النصر**(الجرائم) **على نخبهم**)) [4].

---

[1] فرحات عباس ، المرجع السابق ، ص ص 84 – 85 .

[2] يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الجزء الأول ،الجزائر، الطبعة الثانية ، منشورات المتحف الوطني المجاهد 1996،ص 89 .

[3] Collette et Francis jeanson :L'Algérie hors la loi . ENAG . Alger . 1993. p 25.

[4] إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، 1934-1937،الجزائر ،دار هومة ،2005،ص123.

وعليه وانطلاقا مما تقدم فإن فرنسا- التي صرح ساستها وقادتها العسكريون أنهم جاءوا لإنقاذ الجزائر من السيطرة العثمانية من جهة وإدخالها في حظيرة التقدم من جهة أخرى-أفصحت من خلال الجرائم المرتكبة في حق الشعب الجزائري عن نواياها الحقيقية المشبعة بالحقد الصليبي، الأمر الذي جعلها تراهن وبكافة الوسائل على التشبث بالجزائر. ومما يؤكد هذا الأمر التقرير الذي رفعته **اللجنة الإفريقية** (1833) [1]. إلى الحكومة الفرنسية من حيث أن اللجنة المذكورة نصت في تقريرها على ضرورة التمسك بالجزائر مهما كان الثمن فلا قيمة لمستقبل فرنسا من دون الجزائر ، ولعل الخيرات والإمكانات التي تزخر بها الجزائر أسالت لعاب أعضاء اللجنة المذكورة في ظل الأزمات المتلاحقة التي أصبحت تتخبط فيها فرنسا.

وسعيا نحو تنفيذ تعليمات اللجنة راحت فرنسا ترسم بإحكام مخططها الاستعماري في الجزائر من خلال استعمال القبضة الحديدية تجاه الجزائريين ، ولم تكن تعلم بأن الجزائريين سيرفضون هذه السياسة وربما كانت تمني نفسها أنها ستجد الترحاب في كل مكان تحل به من أرض الجزائر الشاسعة الواسعة. غير أنه مع بداية فجر الاحتلال اصطدمت فرنسا بمقاومات وانتفاضات شعبية عارمة كان القاسم المشترك بينها هو الرفض للاستعمار الفرنسي تحت أي شكل من الأشكال وكان من بين هذه المقاومات والثورات ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895) التي كان للحركة السنوسية دور معتبر في قيامها ، لكن قبل الكلام عن ثورة ابن عبد الله بودنا أن نتكلم قليلا عن الثورات التي سبقتها باعتبارها المحفز وا لرصيد التاريخي الذي جعل الشريف محمد بن عبد الله يقوم بالثورة .

---

[1] وهي تلك اللجنة التي أسستها الحكومة الفرنسية سنة1833 باقتراح من الجمعية الوطنية (البرلمان)، وكلفتها بوضع تقرير شامل عن الجزائر ، وأسندت رئاستها لبيسكاتوري. وقامت اللجنة بزيارة للجزائر دامت عدة أشهر. أنظر : سعيد بورنان ، المرجع السابق ، ص30 .

أهم المقاومات والانتفاضات التي سبقت ثورة الشريف محمد بن عبد الله

1- **مقاومة الحاج أحمد باي** :(1830 - 1848)

يمثل الحاج أحمد باي أحد أبرز وجو ه المقاومة الوطنية ، الذين حملــوا لــواء المقاومــة ضــد الاحتلال الفرنسي لمدة عقدين من الزمن تقريبا . كان مولده في قسنطينة ســنة 1786، وهــو مــن فئــة الكراغلة . نشأ أحمد باي عند أخواله من عائلة بن قانة في بسكرة فشب على حياة البداوة وتعلم الفروســية وتدرب على فنون القتال ، فكان رجلا شجاعا حاسما لا يعرف التردد عندما يجب الفصل في القضايا [1].

في سنة 1817 حصل على منصب خليفة الباي في قسنطينة ،. ثم عينه **الداي حسين** ســنة 1826 بايا على قسنطينة التي كانت من أكبر البايليكات في الجزائر . و نجح أحمد باي نجاحــا بــاهرا فــي أداء مهمته ، وبرهن على مقدرة إدارية فائقة وحنكة سياسية ، وشهد ت المنطقة في عهــده حيــاة اقتصــادية وثقافية مزدهرة ، وعرف الحاج أحمد بغيرته الدينية وتحليه بالجدية والعدالة الأمر الــذي جعلــه يحظــى بولاء السكان ودعمهم [2].

عند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر كان أحمد باي موجودا في الجزائــر العاصــمة ، وكــان الداي حسين قد أخبره مسبقا بموضوع الحملة الفرنسية ،وكان أحمد باي قد عارض قائد الجــيش الأغــا إبراهيم (صهر الداي) واختلف معه في كيفية تنظيم الدفاع [3]. وبعد توقيع الداي حسين معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 عاد الباي أحمد إلى قسنطينة ، واستطاع أن يخمد الحركة التمرديــة التــي قامــت ضده بقيادة القائد التركي سليمان .واستعد لمواجهة قوات الاحتلال. وخلال هذه الفترة جاءته رســالة مــن الحاكم الفرنسي" **كلوز يل**" (Clauzel) - خليفة دي بورمون- أعلن له فيها أنــه ســيبقيه بايــا علــى قسنطينة إذا أعلن خضوعه لفرنسا [4]، إلا أن أحمد باي رفض هذا العرض ، مما جعل الحــاكم الفرنســي "**كلوزيل**" (Clauzel) يتصل بباي تونس وابرم معه اتفاقا في1830/12/18 نص علــى تعيــين شــقيقه مصطفى باشا بايا على قسنطينة ،وعليه عقد أعضاء ديوان أحمد باي(مجلس الشورى) اجتماعــا عبــروا من خلاله عن رفضهم لهذا الاتفاق واقترحوا على أحمد باي أن يكون خليفة **للداي حسين**. فامتثــل لهــذا الاقتراح واعتبر نفسه دايا على الجزائر،ونجح في التخلص من خصومه من أمثال مصطفى بومزراق باي

---

[1] مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، تحقيق وتقديم د. محمد العربي الزبيري،الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ،1981، ص 5.
[2] سعيد بورنان ، المرجع السابق ، ص 96 .
[3] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 62 .
[4] محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، بيروت ، مكتبة دار الشروق ، بدون تاريخ ،ص215 .

التيطري الذي كان يطمع في منصب الداي ، كما تخلص من إبراهيم باي(باي قسنطينة السابق) ، وكـــذلك فرحات بن سعيد شيخ العرب السابق بالزيبان[1].

لقد استطاع الباي أحمد باي بما عرف عنه من كفاءة وقدرة على التنظيم ،وبما حظي به من دعـــم جماهيري أن يحاصر القوات الفرنسية ويمنع وصولها إلى المناطق الساحلية الشـــرقية أو الزحـــف نحـــو المناطق الداخلية ،غير أن القوات الفرنسية احتلت مدينة عنابة سنة1832، وحاولـــت بمختلـــف الوســـائل والأساليب الإغرائية إقناع الباي أحمد بالاستسلام لأن بقاءهم في السواحل الشرقية مرهون بـــالتحكم فـــي قسنطينة والقضاء على الباي أحمد[2].وعليه حاولت القوات الفرنسية احتلال المدينـــة إلا أن أحمـــد بـــاي هزمها هزيمة كبيرة كانت نتيجتها عزل "**كلوزيل**" (Clauzel)[3].

في سنة 1837 تمكن الفرنسيون من احتلال مدينة قسنطينة بعـــد معـــارك داميـــة و استبســـل السكان في الدفاع . وعندما طلب القائد الفرنسي "دامريمون" من أحمد باي الاستسلام رد عليه أحمد بـــاي بقوله:((**إذا كنت في حاجة إلى البارود أو الخبز فإني معطيك ما يكفيـــك منهمـــا ، أمـــا المدينـــة - أي قسنطينة - فلا تطمع في أخذها مادام فيها أحد حي**)) [4].

ظل أحمد باي متنقلا بين مختلف القبائل بين الأوراس والصحراء حتى عام 1848 أين اشـــتبك مع القوات الفرنسية في معارك كثيرة انهزم في بعضها وانتصر في بعضها الأخر. اضـــطر بعـــدها إلـــى الاستسلام وكان ذلك في 05 جوان 1848 و حمله الفرنسيون إلى الجزائر العاصمة وبقي بها سنتين حتـــى أدركته المنية سنة 1850 ودفن إلى جانب ضريح الولي **عبد الرحمن الثعالبي**[5] .

---

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 64 .
[2] سعيد بورنان ، المرجع السابق ، ص 100 .
[3] أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1، القسم الأول، الطبعة الأولى ، الجزائر 1992، ص 57 .
[4] محمد بن الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر ، شرح تعليق د. ممدوح حقي ، بيروت، دار اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، 1964 ، ص 298 .
[5] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 78 .

2- جهاد الأمير عبد القادر: (1832- 1847)

ذكرنا فيما سبق على أن الشيخ محمد بن علي السنوسي عندما كان في الحجاز زاره في بيته محي الدين بن مصطفى بن المختار الحسني بمعية ابنه الشاب عبد القادر وعدد من أصحابه ، وأثناء هذه الزيارة تفرس ابن السنوسي في عبد القادر روح البطولة والشجاعة وأوصى والده به خيرا . و لم يمض وقت طويل حتى صدقت فراسة ابن السنوسي ،فكان عبد القادر في مقدمة الذين أعلنوا الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي لمدة تزيد عن 15سنة.

يقول أبو الحسن الندوي : ((**وقد رفع راية الجهاد في الجزائر ضد الفرنسيين ، وأطلق الشرارة الأولى فيها الأمير عبد القادر الجزائري . ولم يهدأ له بال من عام1832 إلى 1847 حتى أقض مضاجع الفرنسيين ، وقد أثنى مؤرخو الغرب على شجاعته وعدله ورفقه وعلمه وفضله ،وكان هذا المجاهد شيخ طريقة وصوفيا ،ذوقا وعملا**)) [1].

ولد الأمير سنة 1807 بقرية القيطنة قرب معسكر يتصل نسبه بالحسن بن علي بن أبي طالب . كان والده الشيخ محي الدين عالما ورعا يتمتع بنفوذ كبير في أوساط القبائل والعروش.أخذه معه والده وهو دون سن العشرين في رحلة إلى بلاد الحجاز ومصر والعراق فأدى فريضة الحج واطلع على البلدان العربية وسيرة أعمالها في الإدارة والسياسة [2].وبعد أن ابتليت الجزائر بالاحتلال الفرنسي ، اقترح أهل المنطقة الغربية على محي الدين بن مصطفى بن المختار الحسني أن يقودهم لمجاهدة العدو،غير أنه اعتذر لكبر سنه واقترح عليهم ابنه عبد القادر، فكان أن بايعوه في 13رجب 1248هـ الموافق لـ 28 نوفمبر 1832م تحت شجرة الدردار بوادي غريس بمعسكر، وكان أول من بايعه والده محي الدين ولقبه ب:ناصر الدين ثم بايعه الأقارب والوجهاء والأعيان والعلماء فبقية جموع الشعب [3].

كان عبد القادر زعيما من طراز جديد لم تعرفه الجزائر من قبل. وكان يرى أن الحماس وحده لا يكفي ، وأن مقاومة المحتل ينبغي أن لا تكون غاية في ذاتها فأراد أن يجعل منها وسيلة لإيجاد جزائر جديدة. وأن هذا الهدف لا يتحقق إلا إذا تحققت الوحدة الجزائرية التي شرط أساسي لنجاح المقاومة [4].

وعلى الرغم من أن الأمير عبد القادر كان ينتمي لطريقة صوفية فإن عمله كان للإسلام ،وحاول في عمله أن يمزج بين الأصالة والمعاصرة ، وكان في ذلك متميزا عن محمد علي باشا في مصر، حيث أن هذا الأخير اقتصر على البناء المادي وأما عبد القادر فقد اتجه اهتمامه إلى بناء الدولة والأمة معا [5].

---

[1] أبو الحسن علي الحسيني الندوي ، ربانية لا رهبانية ، بيروت ، دار الشروق ،1983 ص ص 108 – 109.
[2] أحمد مطاطلة ،نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر ،الجزائر، مجلة الذاكرة ، السنة الثالثة ، العدد الرابع، المتحف الوطني للمجاهد ، 1996، ص ص 168- 169 .
[3] نفسه ، ص 170 .
[4] محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص227 .
[5] نفسه ، ص 229 .

وفي سنة 1834 عقد الأمير معاهدة مع الجنرال الفرنسي "**دي ميشيل**" وبمقتضاها تم وقف الأعمال الحربية وإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، والسماح للأمير باستعمال ميناء أرزيو في عملية البيع والشراء ، ونصت المعاهدة على انفراد الأمير بالسلطة في أنحاء القسم الغربي الجزائري باستثناء وهران و ارزيو ومستغانم [1]. غير أنه لم يمض إلا زمن يسير حتى نقض الفرنسيون هذه المعاهدة، واعتبروها عملا شخصيا بين دي ميشيل والأمير عبد القادر، وعليه فقد انتهى الأمر بعزل **دي ميشيل** سنة 1835 وتعيين **تريزيل** خلفا له، وكان أول عمل له هو نقض هذه المعاهدة والدخول في مواجهات عسكرية مع الأمير الذي هزم الفرنسيين في عدة معارك كانت أهمها معركة **وادي المقطع (27 جوان 1835)** التي تكبد فيها الفرنسيون خسائر كبيرة ولم ينج **تريزيل** ورفاقه إلا بصعوبة كبيرة[2].

توالت الهزائم على الفرنسيين حتى اضطر الجنرال "**بيجو**" (Bugeaud) سنة1837 إلى عقد معاهدة ثانية مع الأمير تعرف بمعاهدة **تافنة** ، وبمقتضاها اعترف العدو للأمير بسيادته على مقاطعتي وهران والجزائر باستثناء المناطق الساحلية ،وعمل الأمير على مد نفوذه نحو المناطق الداخلية.ووضع هياكل إدارية للمناطق التابعة له وانشأ جيشا نظاميا ومصانع للأسلحة والذخائر وسك العملة ، كما اعتنى بإقامة المستشفيات والمدارس ، وحرص على تطبيق تعاليم الإسلام [3].وعليه وفي ظل هذه التطورات، وأمام هذه القفزة النوعية التي حققها الأمير ،عمل الفرنسيون على نقض معاهدة تافنة ، وصدق الله القائل : **{وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين }** سورة الأعراف ، الآية 102.

وهكذا تجددت الحرب بين الفريقين ، وتعقب الفرنسيون الأمير واستعادوا سيطرتهم على بعض المناطق ، و جرت معركة **الزمالة** يوم 1843/05/16 فاضطر الأمير إلى اللجوء مع من بقي من أنصاره إلى المغرب الأقصى ، غير أنه سرعان ما عاد إلى الجزائر،ورغم مضايقة الفرنسيين له، إلا أنهم عجزوا عن أن يقبضوا عليه ،حتى قال أحد ضباطهم :

((**إنه عدو لا تقع عليه عيوننا أبدا ، ولكنه مع ذلك فهو موجود في كل مكان**)) [4].

وهكذا وأمام مطاردة العدو واستشهاد أشهر قادته ،وتألب معظم القبائل عليه ، أصبح الأمير في وضع لا يحسد عليه، ولم يعد بمقدوره مواصلة الحرب فجمع مساعديه واستشارهم بشأن وقف المعركة التي لم تعد متكافئة. وعليه فقد اتصل الأمير بحاكم وهران" **لاموريسيير**" **(Lamoreciere)** واتفق معه على شروط وقف القتال ، والتي منها السماح له ولأهله بالهجرة إلى المشرق [5].

---

[1] محمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص 236 .
[2] محمد بن الأمير عبد القادر ، المرجع السابق، ص 87 .
[3] سعيد بورنان، المرجع السابق ، ص ص 65 – 66 .
[4] مصطفى الأشرف ، المرجع السابق ، ص ص 119 - 120 .
[5] الحقيقة أن الأمير لم يستسلم كما يتصور الكثيرون ، ولكن الظروف دعته إلى وقف القتال ، ومما يؤكد هذا ،الخطاب الذي ألقاه على مجلس الشورى. أنظر : محمد الأمير ، المرجع السابق، ص ص 498 - 499 .

ومما يذكر في هذا الصدد أن "**لاموريسيير**"(**Lamoreciere**) عندما جاءه هذا الخبر سر سرورا كبيرا وبعث إلى الأمير بسيفه مع ورقة ختمها بختمه وعلى بياض ليشترط الأمير ما أراد [1].

في سنة1852 أطلق نابليون الثالث سراح الأمير عبد القادر ، فاتجه إلى تركيا ومنها إلى دمشق حيث استقر به المقام بها ، فاشتغل بالتدريس والكتابة ، وقام بزيارة عدة بلدان إسلامية ومنها بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج وكذلك مصر أين شارك في حفل تدشين قناة السويس (1869). وفي سنة 1883 توفي الأمير عبد القادر بدمشق بعد حياة حافلة بجلائل وعظائم الأمور. وبعد أن رسم للأجيال اللاحقة طريق الجهاد ،فكان بذلك أبا روحيا لكل ثورة قامت في الجزائر ، وما ثورة نوفمبر إلا نتاجا لثورة الأمير عبد القادر، الذي قال لمرافقيه وهو يودع الجزائر إلى المنفى:((**إنني على يقين بأن أحفادنا الشجعان حين يسمعون قصة ثورتنا اللاهبة سيهبون كرة ثانية إلى الكفاح في ثورة أكثر لهيبا ، تحرق الأرض تحت أقدام المحتلين الغاصبين وتؤجج السماء نارا وجحيما فوق رؤوسهم حتى يخرجوا من أرضنا أذلة يلفظهم البر،ويغص بهم البحر، كأني أرى ذلك اليوم بعيني هاتين وما هو عني ببعيد**)) [2].

3- **ثورة الزعاطشة** : (1849)

قاد هذه الثورة الشيخ أحمد بوزيان بمنطقة الزيبان ،والمتأمل في أسباب هذه الثورة يجدها تكمن في أن سكان الزعاطشة رفضوا تواجد المحتل في منطقتهم . يضاف إلى ذلك أن فرنسا سنة 1849 كانت مشغولة بقضاياها الداخلية في أعقاب ثورات 1848 التي أطاحت بالنظام الملكي،.بالإضافة إلى ذلك تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالنسبة لسكان الواحات . إذ أن السلطات لم تتردد في رفع مقادير الضريبة على أشجار النخيل [3]، الأمر الذي أدى إلى حدوث تذمر شعبي ، فاستغل الشيخ بوزيان هذه الفرصة وحث السكان على القيام بالثورة ،التي اندلعت سنة 1849 بقيادة الشيخ أحمد بوزيان الذي كان يتمتع بمكانة وسمعة طيبة وواسعة لدى السكان .

على اثر قيام الثورة أمر الوالي العام الفرنسي ضباط المنطقة بان يقبضوا على الشيخ بوزيان ، فتوجه الضابط "**سيروكا** " (**SEROKA**) نحو الزعاطشة لتنفيذ هذه المهمة. وحاول محاصرة الشيخ بوزيان في أحدى غابات الواحة،غير أن الشيخ نجا بأعجوبة ،واستطاع أنصاره أن يرغموا "**سيروكا** " (**SEROKA**) وجنوده على الفرار، وكانت هذه الحادثة بداية الثورة [4] .

---

[1] محمد بن الأمير ، المرجع السابق ، ص499 .
[2] عز الدين إسماعيل وآخرون، الأمير عبد القادر ، بيروت ، دار العودة ، 1975 ، ص ص 124- 125.
[3] محمد العربي الزبيري ، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ، الجزائر، ش ون ت ، 1972، ص 57.
[4] إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999 ، ص 79 .

وعليه فقد انتقل الضابط "**دوبوسكي**" إلى الزعاطشة وطلب من السكان أن يسلموه الشيخ بوزيان - زعيم المشوشين في رأيه – غير أن السكان ردوا عليه بقولهم : ((**إننـــا نـــرفض أن نســـلمكم الـــذي تطلبون، وإننا سنقاتل عن آخرنا رجالا ونساء من أجله**)) [1].

استطاع الشيخ بوزيان أن يمد نفوذ ثورته إلى الحضنة والـــزاب و الأوراس ،و16 جويليـــة 1849 حاول العقيد " **كربيسيا** " احتلال واحة الزعاطشة إلا أنه فوجيء بمقاومة عنيفة ولـــم يـــنج إلا بأعجوبـــة [2].وعلى اثر المساعدات التي تلقاها قائد إقليم قسنطينة "**هيربيون**" تمكن الفرنيســـون فـــي 1849/11/26 من احتلال الواحة ،وعاثوا فيها فسادا، ورغم كل ما وقع فإن السكان لم يطلبوا الأمان [3] وفضلوا الشهادة مع زعيمهم بوزيان . وبعد أن تأكد العدو أنه لم يبق حي من البشر ولا حية من الشجر أقـــام علـــى بـــاب معسكر **هيربيون** مقصلة رفع عليها ثلاثة رؤوس: رأس الشيخ بوزيان ورأس ابنه الشـــاب ورأس الشـــيخ موسى الدرقاوي الذي طالما حارب الفرنسيين منذ1833 [4].

بالإضافة إلى هذه الثورات شهدت الجزائر ثورات أخرى تعتبر امتدادا لسابقاتها ،مـــن بينهـــا ثـــورة الشريف بوبغلة بمنطقة القبائل سنة 1851. وقد سبق للشريف بوبغلة أن حارب الاستعمار الفرنسي تحت لواء الأمير عبد القادر[5]. وعليه فقد فكر في استئناف نشاطه الجهادي وتوظيف تجاربه السابقة في منطقة القبائل التي تعتبر حتى ذلك الوقت بكرا في حرب الجهاد والمقاومة التي شهدتها معظم منـــاطق القطـــر الجزائري . و استطاع الشريف بوبغلة أن يحقق عدة انتصارات على القوات الفرنسية التي يقودها الضابط "**بوبريطر**" حاكم بني منصور.غير أنه في نهاية المطاف قاد الوالي العـــام" **رانـــدون**" (**RANDON**) حملة كبيرة للقضاء على بوبغلة . الذي كان قد وجد تأييدا من طرف القبائل والزعماء والشخصيات، ومن بينهم المجاهدة لالة فاطمة نسومر.وخلال هذه الفترة جرت معارك طاحنة بين الفريقين في قرية **نســـومر** ، وكان أن جرح بوبغلة في إحدى المعارك وتولت لالة فاطمة بنفسها تضميد جراحه [6].ورغم هذه الجراح المثخنة والظروف التي أحاطت بالشريف بوبغلة إلا أنه ظل يواصل نشاطه الجهادي والثوري حتى سقط شهيدا في 1854/12/26 .وحملت اللواء من بعده **لالة فاطمة نسومر** التـــي كانـــت أنموذجـــا للمـــرأة الجزائرية المقاومة [7].

---

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 89 .
[2] إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 81 .
[3] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 92 .
[4]إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 79 .
[5]أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 363 .
[6]مجلة الأصالة، العدد13، الجزائر، 1973 ، ص 35 .
[7]سعيد بورنان ، المرجع السابق ، ص 129.

التوسع الفرنسي نحو الجنوب الجزائري:

بعد أن أحكمت فرنسا قبضتها على المناطق الشمالية من البلاد وخاصة الإستراتيجية منها راحت تتطلع إلى احتلال المناطق الجنوبية ، وأدرك ساستها وحكامها أنه لا فائدة ترجى من احتلال الجزائر ما لم يمتد النفوذ الفرنسي نحو الصحراء الجزائرية باعتبارها الأمل الذي طالما رواد الفرنسيين .ولعل اهتمامها بهذه المناطق يدخل ضمن نطاق تحقيق حلمها التقليدي ،المتمثل في تكوين إمبراطورية عظيمة مترامية الأطراف تمتد من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ، وان احتلال الجزائر والتوسع نحو الجنوب سبيل إلى تحقيق هذا الهدف الذي يربط مستعمراتها الإفريقية غرب القارة ووسطها ثم شمالها ، ولا يتأتى لها ذلك إلا إذا احتلت صحراء الجزائر ،التي تمثل حلقة ربط بين هذه المستعمرات كما أن فرنسا أدركت أن احتلال الجنوب هو ضمان لاحتلال كامل البلاد باعتبار أن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في المناطق الشمالية كانت تجد متنفسا لها في الجنوب الذي يمثل القاعدة الخلفية التي يعتصم بها هؤلاء ومنها ينطلقون لمواجهة العدو مرات ومرات[1]. ثم إن احتلال الجنوب الجزائري سوف يجلب الخير الكثير لفرنسا، خاصة وأن المنطقة تزخر بالمعادن الثمينة وخيرات زراعية (خاصة التمر) من شأنها أن تخدم الاقتصاد الفرنسي مستقبلا.ففي سنة 1842 كتب الجنرال "**بيجو**" (Bugeaud) إلى السلطات الفرنسية يقول : ((... **ستطلب الجزائر ولمدة طويلة المنتوجات الصناعية من فرنسا بينما تستطيع الجزائر تزويد فرنسا بكميات هائلة من المواد الأولية اللازمة للصناعة**)) [2].

وعليه- وانطلاقا من هذا الحرص – أصدر البرلمان الفر نسي سنة 1844 قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب وذلك بإنشاء المراكز العسكرية في المدن التي تعتبر همزة وصل بين المناطق الشمالية والمناطق الجنوبية مثل سبدو ، سعيدة ، تيارت، ثنية الحد وبوغار، كما تم في هذه السنة احتلال مدينة بسكرة بوابة الصحراء من الجهة الشرقية .، وبعد أن استكمل الاستعمار احتلال الهضاب العليا تطلع أكثر لاحتلال الجنوب فكان أن مد نفوذه نحو الصحراء الشمالية وذلك باحتلال الأغواط سنة 1852[3].أي بعد عقد من الزمن من احتلال بسكرة ، وربما كانت ثورة الأميرعبد القادر - الذي وصل نفوذه إلى الأغواط – سببا في تأخر احتلال الأغواط .وكذلك الحال بالنسبة لثورة الزعاطشة.

ومما يلاحظ في هذا الصدد أنه عندما قامت الجمهورية الفرنسية الثانية ،أصدرت قرارا في شهر مارس 1848 نص على أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي[4]. وعليه توجه اهتمام الاستعمار نحو

---

[1] إبراهيم مياسي ، توسع الاستعمار في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912) ،الجزائر منشورات المتحف الوطني الوطني للمجاهد ، 1996 ص 86 .

[2] نفســــــــــــــــه ،ص 80 .

[3]جمال قنان ،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1994، ص 140 .

[4]Charles andré julien-histoire de l'algérie contemporaine(1827-1871). 2éme Edition,Paris .1979 pp.342-351.

احتلال المناطق الداخلية والصحراوية ، وظن الفرنسيون أن سكان الجنوب سوف لن يقـاومونهم ،لأنهـم في اعتقادهم في أمس الحاجة إلى المواد الغذائية التي تأتيهم من الشمال ، وهذه الضرورات ستجعلهم أكثر ترو واعتدال في تعاملهم مع فرنسا ، وهم بذلك سيكونون أقل عداء لها من سكان المناطق الشمالية ، لكنها اصطدمت بما لم تكن تتوقعه وخابت ظنونها ،فقد هب سكان الجنوب من جهتهم عن بكرة أبيهم لمقاومـة الاحتلال واستطاعوا أن يبرهنوا عن اعتزازهم بوطنهم واستعدادهم للتضحية من أجله والدفاع عنه مهمـا كان الثمن ،وعليه ظهرت المقاومات والثورات الشعبية هنا وهناك وكانت امتدادا للمقاومات التي ظهـرت في الشمال. ولعل من أهم هذه الثورات ثورة الشريف محمد بن عبد الله التي دامت نصف قـرن تقريبـا وشملت مناطق واسعة من البلاد وفي مقدمتها ورقلة وتوقرت والأغواط وغيرهما .

الوضع في ورقلة قبيل ظهور الشريف محمد بن عبد الله :

إن المتأمل في واقع منطقة ورقلة فيما بين (1830-1854) أي قبل خضوعها للاحتلال الفرنسـي ، يجد أنها كانت تعيش في وضع لا تحسد عليه في شتى مجالات الحياة وخاصة من الناحية السياسية ، فقد تقلص نفوذ الأسرة الحاكمة بعد أن اشتد الصراع بين أفرادها وهي أسـرة أعلاهـم [1]. ذات الأصـول الشريفية والتي حكمت نحو247 سنة (1602-1849) . وحين خرج القرار من أيدي هذه الأسـرة عـم التناحر بين العشائر الثلاث : بني واقين في الحي الغربي ، وبنو سيسين في الحي الشمالي ، وبنو إبـراهيم في الحي الشرقي ،ويقطنون هؤلاء جميعا منطقة قصر ورقلة ، والتي مازالت محتفظة بهذا الاسـم إلـى يومنا هذا .والى الشمال من قصر ورقلة كان يوجد قصر انقوصة التـي تحكمهـا عائلـة بـن بابيـة. والملاحظ أن سكان القصرين يمثلون الحضر،وخارجهما يوجد البدو الرحل الذين عادة ما كانوا يضربون مضاربهم عند أسوار القصور أو قريبا منها ، والملاحظ أن علاقاتهم بالسـكان داخـل الأسـوار كانـت وطيدة بفعل المصالح المتبادلة فقد كانوا خدما لبعضهم بعضا ، وعليه فقد ارتبطت قبيلة سعيد عتبة بأسرة بني واقين وقبيلة المخادمة ببني سيبسين ، وبدو بوروبة ببني إبراهيم [2].

كانت قبائل المخادمة تتكون من بني حسان ،أولاد نصر ،بنو خليفة،، بني ثور ، العريمات ، أولاد أحمد، وكانوا يتنقلون بماشيتهم إلى جنوب شرق ورقلة في اتجاه قاسي الطويل وغدامس صـيفا ، وإلـى وادي زرقون شمال غرب غرداية شتاء .أما قبيلة الشعامبة فيمثلـون أولاد اسـماعيل ،أولاد بكـر،أولاد فرج، أولاد سعيد ،أولاد زايت ، ويتنقلون إلى غدامس جنوبا وإلى تيماسين شمالا وإلـى عـين صـالح جنوبا . وأما قبيلة سعيد عتبة فتضم فتناسة ،أولاد يوسف ، ولها إمكانيات أكثر من القبائل الأخر ى وكان

---

[1] كان مولاي أعلاهم أول سلطان من سلاطين فاس نصب على ورقلة عام 1602 ، وكان الصراع بين الأسر الثلاث في ورقلة(بني سيسين ، بني إبراهيم ، بني واقين) السبب الرئيس في استقدام مولاي أعلاهم بعد أن دفعوا وزنه ذهبا أنظر: عبد الحميد زوزو ، محطات في تاريخ الجزائر ، بوزريعة ،الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2004، ص61.

[2] نفســـــــــــه ، ص 87 .

تنقلهم إلى نقوصة شمالا ومنها إلى وادي ميزاب . ومع بداية فصل الربيع ينتقلون إلى وادي زرقون للاتصال بحلفائهم الأرباع ، ومن هناك إلى تيارت لتسويق التمور التي يكونون قد اشتروها من منطقة وادي ميزاب وعند عودتهم من تيارت يكونون محملين بالحبوب التي يبيعونها في تاجرونة والأغواط [1].

وعليه ومن خلال نشاط القبائل السالفة الذكر أصبحت ورقلة تشكل مستودعا ضخما وسوقا عامرة في قلب الصحراء تستقطب إليها القبائل الأخرى مثل الأرباع ،أولاد يعقوب ،بني علال ،أولاد سيدي الشيخ ،بنو ميزاب ،شعامبة متليلي بالإضافة إلى الطوارق وتجار من غدامس .وهكذا واعتبارا مما لورقلة من هذه الأهمية وهذا الدور الاقتصادي فإن الصراع السياسي بين ورقلة ونقوصة اكتسى أهمية خاصة ، وقد ارتبط هذا الصراع بظهور أسرة بن بابية في نقوصة ، فخلال الفترة (1842-1851) كان يحكم نقوصة الشيخ الحاج أحمد بن بابية الذي كانت تربطه علاقة صداقة مع سلطان تقرت عبد الرحمن بن جلاب ، فراحت فرنسا تعمل على استغلال هذه الصداقة وأوهمت بن جلاب أنها ستمكنه من بسط نفوذه على كامل الجهة ، وظن أنها ستكون وفية لهذا الأمر،فخرج من تقرت على رأس قوة عسكرية مدعمة من طرف الفرنسيين ، وبمساعدة أعراش السلمية، وأولاد مولات، وأولاد السايح ، وحاول استظهار قواته على سلطان ورقلة مولاي الطيب غير أن هذه المحاولة كان مآلها الفشل الذريع [2].

بعد فشل فرنسا من خلال هذه الخطة في قهر سلطان ورقلة راحت تبحث عن خطة أخرى للاستيلاء على المدينة، وذلك عن طريق شيخ نقوصة الحاج أجمد بن بابية الذي كان يرغب في السيطرة على ورقلة لاسيما بعد الخور والضعف الذي أصاب أسرة أعلاهم إلى درجة أن أصبح عرش ورقلة شاغرا بعد تنحية السلطان مولاي أحمد سنة 1849 (آخر سلاطين أسرة أعلاهم) [3]. فاستغل الحاج أحمد بن بابية الفرصة وأرسل ابنه بوحفص رفقة عدة بن ساعد (شيخ قبيلة سعيد عتبة) محملين بالهدايا إلى القائد العسكري الفرنسي في تيارت ،واظهرا له استعداد الشيخ أحمد بن بابية لمساعدة فرنسا في احتلال ورقلة وإخضاع القبائل المحيطة بها . وكانت النتيجة أن منحت السلطة الفرنسية للحاج أحمد بن بابية في 1849/11/20 لقب خليفة على كامل منطقة ورقلة وأرسلت إليه مائة فارس لإقرار سلطته على المنطقة [4].

---

(1) نفسه، ص ص 88- 89 .

(2) عبد الحميد نجاح ، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال حتى الاستقلال، منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت، ورقلة ، الأمال للطباعة ،2003، ص 26 .

(3) نفسه ، ص 27 .

(4) عبد الحميد زوزو ،المرجع السابق ، ص 94 .

رغم المساعدات التي تلقاها بن بابية من فرنسا إلا أن ورقلة ظلت رافضة لحكم الشيخ أحمد بن بابية باعتباره زنجي منحدر من سلالة العبيد ثم إنه تحالف مع قوة أجنبية ، وهذا ما جعل عرش سـعيد عتبـة يتخلى عنه وينضم أفراده إلى حركة المقاومة مع عرش الأرباع والحرزليـة ضـد التواجـد الفرنسـي الصليبي. وبعد وفاة الحاج أحمد بن بابية خلفه على الحكم ابنه بوحفص الذي ورث لقب الخليفة وحاول من جهته إخضاع ورقلة ، غير أن الصراع الذي قام بينه وبين أخيه الطيب لم يسعفه في استكمال المهمـة التي بدأها والده ، في الوقت الذي كانت فيه ورقلة تستعد لتجاوز مرحلة الصـراع الـداخلي ، ودخـول مرحلة مقاومة الاستعمار الفرنسي بزعامة محمد بن عبد الله . وعليه فإن الصراع السياسي بـين القبائـل المحلية شغل الجميع عن الإعداد والاستعداد لمواجهة العدو الفرنسي، فضلا عن أن هذا الصـراع مكـن العدو من التدخل في القضايا الداخلية [1]. وأصبح يشجع القبائل على ضرب بعضها البعض لإضعافها في إطار سياسة :**(فرق تسد)**.

وفي المحال الاجتماعي أصبح السكان يعيشون حالة من البؤس والحرمان ، فلم يكن لـديهم سـوى مخزون التمر وبعض البقول والحضر التي كانوا يتسابقون إلى جنيها قبل نضجها خوفا من السرقة [2].

في ظل هذه الظروف وصل إلى ورقلة في جويلية 1851 رجل منهك القوى رث الثياب ،استقبلته قبيلة بني سيسين مع زوجته التي كانت ترافقه في رحلته ،إنه الشريف محمد ن عبد الله الذي كتب لـه أن يقود حركة المقاومة ضد التواجد الاستعماري الفرنسي في المنطقة . فمن هو محمد بن عبد الله ؟ وكيـف تمكن في ظرف وجيز من كسب ود الأهالي ؟ وكيف نجح في تنظيم حركة المقاومة ؟

---

[1] عبد الحميد زوزو ، نفس المرجع ، ص 95.

[2] Charles Feraud ,((les Ben-djellab, Sultans de Touggourt,Notes historiques sur les Provence de Constantine)),in Revue Africaine, n° 30 (1886) pp.433-434.

المبحث الثاني : الثورة في مرحلتها الأولى: (1842 - 1853)

حتى سنة 1840 لم يكن يعرف عن هذا الرجل الذي يسمى محمد بن عبد الله إلا أنه رجل خامل الذكر غير معروف بين الناس،ينتمي إلى أولاد سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة أهل غسول قرب عين تيموشنت،فتوجه بعائلته إلى مدينة تلمسان واشتغل معلما للقران الكريم في زاوية أولاد سيدي يعقوب المنتمية إلى أولاد سيدي الشيخ،وعندما تزعم أغا غسول مولاي الشيخ- غيرة من خليفة الأمير بتلمسان البوحميدي التوهامي - المعارضة ضد الأمير عبد القادر استمال محمد بن عبد الله إلى صفه،وقدمه للناس على أنه رجل حرمة وقيمة قدم من المغرب الأقصى[1]،ويقول إسماعيل العربي:((**لسنا ندري لماذا يقدم على أنه من المغرب الأقصى؟ وهذه ظاهرة عامة في عدد من الرجال الدينيين الذين تزعموا الثورة في الجزائر وقيل أنهم أشراف قدموا من السوس أو المغرب الأقصى**)) [2].

ومهما يكن من أمر فان المصادر التاريخية تذكر بأنه في يوم 1845/09/15 حصل لقاء بين الكولونيل الفرنسي "**تمبور**" (حاكم وهران ومولاي الشيخ علي ومحمد بن عبد الله ومصطفى بن إسماعيل زعيم بني عامر والخصم اللدود للأمير عبد القادر ،وذلك في بني عامر قرب عين تيموشنت ،وعلى اثر هذا اللقاء ،منح الفرنسيون لمحمد بن عبد الله لقب خليفة(بعد أن تم الاتفاق على محاربة الأمير عبد القادر) وعينوه خليفة على قبائل المنطقة الغربية فتحمس للعمل تحت سيطرتهم ضد الأمير عبد القادر[3]. والملفت للانتباه هو أن مصطفى بن إسماعيل زعيم بني عامر كان صاحب مركز كبير لدى الفرنسيين فكيف يحظى من دونه محمد بن عبد الله بلقب الخليفة[4]. والمعروف أن الأمير في هذه الأثناء (1839 - 1847) كان يخوض حربا مفروضة عليه ضد العدو بعد أن نقض"**فاليه** " - الحاكم العام للجزائر - معاهدة التافنة ، وفي هذه الفترة ظهرت شخصية محمد بن عبد الله و اسمه الحقيقي **إبراهيم بن أبي فارس.** [5].

وعندما قام ا لجنرال " **بيدو**" بالزحف على تلمسان في 1842/01/14 لافتكاكها من الأمير عبد القادركان محمد بن عبد الله وأتباعه ضمن القوات الفرنسية ،وطمع في أن يعينه الجنرال ""**بيدو** "" خليفة على تلمسان بصفة رسمية وقد كان له ما أراد فقد حظي بالمنصب المذكور[6].غير أنه سرعان ما تعرض

---

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 150 .
[2] إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983، ص 113 .
[3] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص150 .
[4] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 114 .
[5] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، (1830-1900) الجزء الأول، بيروت ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ،2005، ص 355 .
[6] الأمير محمد ، المرجع السابق ، ص ص 263-267 .

لمضايقات جعلته يدير ظهره لقوات الاستعمار ،ل ويعقد العزم على العمل في سبيل تحرير الجزائر من المستعمرين الحاقدين. ومن بين المضايقات التي تعرض لها محمد بن عبد الله هو أن الجنرال " **بيدو**"حاكم تلمسان طلب منه أن يحلف على مصحف لتأكيد إخلاصه للفرنسيين – فقد كانوا يشكون في إخلاصه لهم – كما طلب منه أن يترحم على عدد من الموتى الفرنسيين الذين قتلوا خلال المعارك السابقة لاحتلال تلمسان ، وذلك خلال حفل دفنهم ، الأمر الذي يمثل تحديا للشعور الإسلامي[1].ولذلك رفض محمد بن عبد الله الامتثال لهذا الطلب وقال للجنرال " **بيدو**":

((**إنني معكم إلى أن يحكم الله بافتراقنا**)) [2].فازدادت شكوكهم ضده واتهموه بالتقصير والعجز ، خاصة وأن محمد بن عبد الله قد لزم الاعتكاف عند ضريح العالم الأندلسي الشهير أبي مدين شعيب بحي العباد بتلمسان وبدأ يجمع حوله الأنصار والأتباع ، فقد استيقظ الفرنسيون صباحا في إحدى الأيام من عام 1844 ليجدوا مكتوبا على جدران المدينة بتلمسان :

((**محمد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين**)) [3].

أمام هذه التطورات والتحولات كان من الطبيعي أن يقوم الفرنسيون باعتقال محمد بن عبد الله. وحتى لا يجعلوا منه خصما جديدا (نصحوه) بأن يتوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج. وفهم محمد بن عبد الله أن هذه النصيحة ما هي في حقيقتها إلا أمر لابد من تنفيذه أو أنها طرد مهذب،أو ربما نفي غير رسمي .فما كان عليه إلا الامتثال لهذا الإجراء . فغادر تلمسان غاضبا وحاقدا بصحبة أهله وكاتبه سي محمد بن علي وكان ذلك سنة 1845 واتجه إلى وهران وركب الباخرة من المرسى الكبير إلى الإسكندرية في مصر. ومنها إلى البقاع المقدسة حيث أدى فريضة الحج . وخلال تواجده بهذه البقاع كان له اتصال بعدد من الجزائريين المتواجدين هناك سواء كانوا منفيين أو مهاجرين أو مطرودين أو فارين من الإرهاب الفرنسي والذين كثيرا ما يصفهم الاستعمار بالمشوشين[4].

أثناء إقامته في مكة المكرمة التقى محمد بن عبد الله بعدد من الشخصيات المرموقة ،وكان في مقدمتهم مؤسس الحركة السنوسية الشيخ **محمد بن علي السنوسي** الذي كان قد سبقه بالهجرة إلى بلاد الحجاز ، فلازمه وتتلمذ عليه وأصبح من أهم أتباعه، وقد سبق القول بأن الشيخ السنوسي أسس سنة 1837 زاوية أبي قبيس في مكة المكرمة[5]. وأصبحت بمثابة ملجأ لكل الجزائريين المتواجدين هناك

---

[1] مصداقا لقول الله تعالى : **{ولاتصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون}** سورة التوبة ،الآية 84 .

[2] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 151 .

[3] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 115 .

[4] نفســــــــــــــــه ، ص 115 .

[5] يذكر المؤرخ يحي بوعزيز أن محمد بن عبد الله اشترك مع الشيخ السنوسي في تأسيس هذه الزاوية ، وهذا يبدو غير صحيح لأن الزاوية المذكورة تأسست سنة 1837. وفي هذه السنة لم يكن محمد بن عبد الله معروفا أصلا حتى في تلمسان أنظر: يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص152 .

يلتقون بها لأداء واجباتهم الدينية ويتدارسون المشاكل السياسية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي ، ولعل من أهمها وفي مقدمتها مشاكل الجزائر.وتذكرنا هذه الزاوية بتلك التي أسسها العالم الصوفي الجزائري **مصطفى بن عزوز**[1]. في نفطة بتونس والتي كانت مأوى لكثير من القادة الثوريين الجزائريين المضطهدين ومن بينهم محمد بن عبد الله نفسه كما سيتضح فيما بعد .

وعليه انطلاقا من مكة المكرمة (منطلق الوحي) أخذ كل من محمد علي السنوسي ومحمد ابن عبد الله يلتقيان ويخططان في سبيل إيجاد الوسائل الكفيلة بإخراج الجزائر وتحريرها من الاستعمار الذي طغى في البلاد فأكثر فيها الفساد. ولم يترددا في مراسلة رفقاهما وأصدقائهما في الجزائر وتونس وطرابلس وبالتالي تتبع أخبار الجزائر بصفة منتظمة ، وكان أحيانا يرسلان مبعوثين خاصين عنهما لنشر مبادئ طريقتهما ظاهرا وبث أفكارهما السياسية الثورية باطنا وذلك بتحريض الناس على مقاومة السيطرة الاستعمارية الفرنسية [2].

ويظهر من خلال نشاط كل من ابن عبد الله وابن السنوسي أنهما كانا يفكران في العودة إلى الجزائر إذا ما أتيحت لهما فرصة العودة ،،خاصة وان أوضاع الجزائر خلال هذه الفترة كانت جد مناسبة للقيام بالثورة ضد المحتلين الغاصبين ، فقد رحلت فرنسا عددا من قواتها إلى فرنسا في أعقاب ثورة 1848 التي كانت باريس مسرحا لها، وبقي أتباع أحمد باي-الذي استسلم في 1848- يواصلون نشاطهم الثوري في الجبال . وفي السنة نفسها قامت ثورة الزعاطشة السالفة الذكر،وبدأ ظهور الثائر ابن ناصر بن شهرة. وعليه فقد كان التذمر عاما في كل مناطق البلاد وخاصة الوسطى والشرقية[3].

لم يكن هذا الوضع مخفيا عن أعين الرجلين محمد بن علي السنوسي ومحمد بن عبد الله اللذين قررا استغلاله قدر الإمكان ، فطلب الشيخ السنوسي من محمد بن عبد الله أن يسبقه إلى الجزائر ويشرع في الإعداد للعمل الثوري ، وعمل كل ما في وسعه لإقناعه بهذه المهمة والمسؤولية الهامة و الخطيرة في نفس الوقت ويؤكد له بأنه أهل لها، كما أكد له بأنه سيلحق به عندما تسعفه الظروف .

بقي محمد بن عبد الله مترددا في القيام بهذا العمل إلا أن تشجيعات وتحفيزات شيخه السنوسي جعلتاه يقطع حبل التردد ويسلك طريقه إلى الجزائر ،فكان أن خرج من بلاد الحجاز سنة 1849 في اتجاه طرابلس الغرب بمعية حاكمها التركي **عزت باشا** الذي كان يؤدي فريضة الحج . وكان وصولهما إليها في20 أفريل 1850. ومن طرابلس الغرب اتجه محمد بن عبد الله إلى غدامس ومنها إلى ورقلة واستقر به المقام في زاوية الرويسات [4] .

---

[1] أبو الثاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع ، بيروت دار الغرب الاسلامي ، 1994، ص 42.
[2] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ،ص 116 .
[3] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 153 .
[4] نفســـــــــــه .

عرفنا فيما تقدم على أن عودة محمد بن عبد الله إلى الجزائر كانت بتشجيع من الشيخ محمد بن علي السنوسي ، ومن ثم فإن الحركة السنوسية راحت تدلي بدلوها هي الأخرى في سبيل تخليص الجزائر من الاستعمار الذي جاس خلال الديار. وعليه فإنه من الأهمية بمكان – وقبل أن نسترسل في الحديث عن ثورة محمد بن عبد الله - أن نتكلم عن الدور الذي قامت به السنوسية في دعم الكفاح الجزائري بصفة عامة وثورة محمد بن عبد الله بصفة خاصة .

علاقة محمد بن عبد الله بالسنوسية :

يذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله: ((**أن الحركة السنوسية كانت وراء عدد من الانتفاضات في جنوب الجزائر ، وخاصة بالنسبة لثورة محمد بن عبد الله وثورة الشيخ أمود في بلاد التوارق ، وقد نشطت السنوسية في الوقت الذي بدأ العياء يصيب الطرائق الأخرى كالقادرية و الرحمانية والدرقاوية . ونقصد هنا العياء المادي والفكري ،. أما العياء المادي فكان من أثر استيلاء الفرنسيين على مقدرات البلاد ومن بينها الأوقاف التي كانت المورد الرئيسي للدين والتعليم والأفعال الخيرية ، وأما العياء الفكري فإن الطرائق لجأت إلى أسرارها وغموضها بعد الهزائم العسكرية التي منيت بها ، وقد أدخلت أدعية وطقوسا ليست من الدين في شيء ، بينما كانت السنوسية طريقة حديثة العهد متجددة التعاليم ، سنية المنطلق والهدف**)) [1].

ومما يلاحظ أن الشيخ محمد بن علي السنوسي أثناء وجوده بمكة ورد عليها الجاسوس الفرنسي"**ليون روش**" (**leon roch**) [2] رفقة بعض المغترين به من رجال التصوف الجزائريين . وطلب روش من علماء مكة موافقته على نص فتوى جاء به يحرم الجهاد ضد الفرنسيين في الجزائر ، وقد ذكر "**ليون روش**" (**leon roch**) في كتابه (**32سنة في ظل الإسلام**) أن محمد بن علي السنوسي كان الرجل الوحيد الذي عارض الفتوى لأنها تدعو الجزائريين إلى وقف الجهاد ضد الفرنسيين .

إن الروح الاستعمارية الصليبية الحاقدة التي تحلى بها الغزاة الفرنسيون في سبيل تنصير الجزائر وتمسيحها . هذه الروح كانت واحدة من بين أهم العوامل التي أدت إلى ظهور شخصيات تصدت لمحاربة العدو ومواجهته بنفس السلاح أي مجابهة المسيحية المستعمرة بالإسلام المحرر. ولعل من بين أهم هذه الشخصيات وعلى رأسها **محمد بن علي السنوسي** الذي قام بمجهودات كبيرة في سبيل

---

(1) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ص ص 173-174 .

(2)جاسوس فرنسي ، اندس في جيش الأمير عبد القادر بعد أن أعلن إسلامه فترة من الزمن وتسمى باسم عمر ، وكان من أتباع الجنرال بيجو.وبأمره أصدر مع التجاني فتوى بتحريم الجهاد وأخذها إلى الحرمين لإقناع العلماء بها ، ولكن محمد ا بن علي السنوسي رفضها وأفتى بوجوب استمرار الجهاد وعدم التعايش مع النصارى ، وقد تقلب روش بعد ذالك في عدة وظائف سامية ،منها قنصل فرنسا بتونس في 01 جويلية 1855، وكان يحسن العربية نطقا وكتابة ويستشهد بالقرآن والحديث . أنظر : أبو القاسم سعد الله ،المرجع السابق ، ص 373 .

مواجهة الاستعمار الفرنسي ، ولم تكن جهوده مجرد أعمال وإصلاحات فردية ماتت بموت صاحبها ، بل جاء عمله على شكل حركة منظمة ودعوة واضحة وطريقة متميزة، ولم تكن هذه الحركة ذات مفهوم إقليمي ضيق بل كانت حركة شاملة ذات بعد وحدوي ، وجاءت كرد فعل للتحدي الضخم الذي واجه العالم الإسلامي باحتلال الجزائر في معركة غير متكافئة انتهت بسقوطها بين براثن الاحتلال الفرنسي [1].

كان الإمام السنوسي مقيما في الحجاز عندما احتلت فرنسا الجزائر، وكان عمره قد جاوز الأربعين ، فهزه هذا الحادث هزا عنيفا ونظر وقتها إلى موجة من الحروب الصليبية قد بدأت بالجزائر وستمضي في طريقها دون توقف . وعليه راح يفكر في عمل جامع من أعمال المقاومة لهذا الاحتلال الغربي الزاحف[2]. ولذلك فإن الزوايا التي أنشأها محمد بن علي بن السنوسي –كما سبق وأن ذكرنا – كانت في آن واحد مراكز ثقافية وثكنات حربية ورباطات جامعية ومدارس سلفية[3]. واستطاعت بذلك أن تكون جيلا قادرا على نشر الإسلام في أنحاء إفريقيا ويشكل كتائب للتصدي للمستعمر الغربي إلى درجة أن الرحالة الفرنسي "**هنري دوفرييه**" (**Henri Duveyrier**) قال : ((**إن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر وأنها السبب في الثورات المختلفة التي قامت ضد فرنسا كثورة محمد بن عبد الله في صحراء الجزائر سنة 1850 - 1861 وعصيان محمد بن تكوك في الظهرة سنة 1881** ...)) [4]. وعليه وانطلاقا مما تقدم فإن ثورة محمد بن عبد الله كانت واحدة من أهم الثورات التي قامت خلال القرن التاسع عشر ضد المستعمر الفرنسي بالجنوب الجزائري ، وهي الثورة التي قامت تحت الغطاء السياسي والديني للحركة السنوسية .

لقد سبق وأن عرفنا بأن محمد بن عبد الله استقر به المقام في زاوية الرويسات[5] بورقلة، وبقي طوال عام (1850-1851) يراقب الأمور عن كثب ويدرس الأوضاع عن قرب . وفي شهر فيفري 1851 فكر جديا في القيام بأول تجربة ثورية في ميدان الكفاح. وكان رفيق دربه السيد محمد بن علي السنوسي قد عاد من الحجاز واستقر به المقام في برقة بليبيا وأخذ يراسله من هناك من أجل إيجاد جبهة تؤازره وتؤيده في العمل الذي يعتزم القيام به ، وكان من ضمن الذين راسلهم ابن السنوسي زعيم

---

[1] محمد بن معمر، ((علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله)) ، أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة (1842-1895) جمعية الانتفاضة الشعبية 27فبراير ، ورقلة ، فيفري 1998 ص 61 .

[2] نفسه .ص61 .

[3] عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الرابع ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 240 .

[4] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 45 .

[5] تقع الرويسات جنوب ورقلة ، وهي عبارة عن تجمع سكاني وسط غابة من النخيل وإلى الشمال منها يوجد جبل كريمة (تعرف بقارة كريمة) وبسفح هذا الجبل توجد من النخيل وهي ملك لبني سيسين . أنظر:
يوسف تلمساني، دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي ،مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف ابن عبد الله ، جمعية 27 فبراير، ورقلة 1998 ، ص 111 .

قبيلة المخادمة عبد الله بن خالد الذي طلب منه أن يقف إلى جانب محمد بن عبد الله ويعضده في عمله الثوري ، وهكذا وبفضل جهود عبد الله بن خالد ورسائل السنوسي استجاب الناس للعمل وتجندوا تحت لواء محمد بن عبد الله الذي سرعان ما اتسع نفوذه وانتشرت سمعته ، واتخذ من ورقلة مركزا ومقرا لنشاطه . وبذلت السيدة الفاضلة الصالحة الحاجة الزهرة دورا كبيرا في استمالة الناس إليه ، بل إنها راحت تبلغهم بأنه مبعوث من الله ليكون سلطانا على البلاد ويحررها من الكافرين ، وعلى أساس هذه الجهود بايعه الورقليون سلطانا عليهم في شهر أوت 1851 [1].

ويرى الأستاذ أبو القاسم سعد الله أن اسمه الحقيقي إبراهيم بن أبي فارس ،وبعد مبايعته سلطانا على ورقلة أصبح يعرف باسم الشريف محمد بن عبد الله إخفاء لاسمه الحقيقي لدى السلطات الفرنسية، وإضفاء للطابع الديني على حركته كوسيلة لتجنيد العامة ،وقد يساعده ذلك كونه عائدا لتوه من بلاد الحجاز أرض الإسلام الأول ، وكان ابن عبد الله يضيف كلمة المدني لتوقيعه الرسمي ، ولعل ذلك إشارة إلى المدينة المنورة التي كان قد أقام بها فترة من الزمن[2].

كان أول محاولة قام بها الشريف محمد بن عبد الله لإظهار قواته هي أنه حاول إخضاع أبو حفص شيخ نقوصة لسلطنة ورقلة ، غير أن هذا الأخير فر إلى تيارت محتميا بالقادة الفرنسية هناك. وخلال هذه الفترة التف حوله شعامبة متليلي ، ثم أنه حاول الاستيلاء على تقرت التي كان يحكمها- حسب رواية المجلة الإفريقية- سلمان بن جلاب[3]. وتذكر المجلة نفسها كيف أن الفرنسيين تفطنوا-عن طريق عيونهم في المنطقة - لحركة محمد بن عبد الله منذ الوهلة الأولى . وعليه فقد أبلغ العقيد "**كاري**" (**Kari**) قائد منطقة الأغواط السلطات العليا بوجود هذا المرابط في الجنوب [4] بعد أن كانوا يظنون أنهم تخلصوا منه منذ أن 1845 بعد أن غادر تلمسان إلى بلاد الحجاز .

وهكذا وبعد أن أصبح سلطانا على ورقلة ، نادى محمد بن عبد الله بالجهاد المقدس ضد الفرنسيين وأتباعهم من القبائل الخائنة والعميلة ، فسارعت كل قبائل وأعراش ورقلة من شعامبة ومخادمة وبني ثور لتلبية هذا النداء والالتفاف حول القائد الجديد الذي استطاع في ظرف قياسي أن يكون جيشا تعداده 100فارس و300جندي من المشاة ، وكان أول عمل عسكري قام به في 1851/09/21 عندما زحف نحو

---

[1] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 118 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق، ص ص355-357 .

[3] وهذا يبدو غير صحيح لأن سلمان الجلابي في هذه الفترة كان قد عزله الفرنسيون وعينوا ابن عمه عبد الرحمان الجلابي ، وانضم سليمان إلى صفوف محمد بن عبد الله . أنظر : يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 154 .

[4] E.Mangin. ((Notes Sur L' histoire De LAghouat)),in Revue Africaine ,n° 38 (1894) p275.

الشمال وهاجم قبيلة أولاد مولات بمنطقة سطيل (تبعد عن مدينة تقرت ب حوالي 120كم شمالا) على حين غفلة منهم باعتبار أنهم كانوا موالين لفرنسا ، ووقع الاشتباك بين الطرفين انتهى بتأديب هذه القبيلة وقتل 11فارس منها وجرح 15 وسبي نحو 800 رأس من الإبل، ثم قفل راجعا إلى ورقلة فاتجه نحو منطقة العالية(حوالي 80كم شمال ورقلة) والتحق به أولاد سيدي سليمان وأكثر من نصف أولاد السايح. وقبل وصوله إلى ورقلة هاجم قصر نقوصة ، وأمر بجني محصول التمور بها[1] .

عاد الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة وانهمك في بناء قصره بالرويسات ، وفي ذات الوقت راح يحض الناس ويدعوهم للالتحاق بصفوفه من أجل تقوية حركة المقاومة، كما أنه أرسل الوفود إلى مختلف الجهات لنفس الغرض. ومع بداية شهر أكتوبر 1851 توجه ابن عبد الله نحو تقرت على رأس جيش قوامه 100 فرس و9000 من المشاة غالبتهم من الشعامبة والمخادمة وبني ثور وسعيد عتبة [2] وتيماسين، وعند واحة تيماسين(حوالي10 كم جنوب تقرت) تقابل عبد الرحمن الجلابي سلطان تقرت الذي كان على رأس 600 فارس و 150 من المشاة بجيش محمد بن عبد الله ، وتمكن الجلابي في الجولة الأولى من المواجهة من ترجيح الكفة لصالحه ، والحق بجيش ابن عبد الله خسائر تقدر ب 30 قتيل و8جرحى ومع ذلك فقد اضطر للتراجع في الجولة الثانية بعد أن خسر 80 رجلا و25 جوادا فضلا عن الخسائر المادية الأخرى . ومما يسجل في هذا الصدد أن أهل تيماسين سجلوا موقفا تاريخيا يبقى محفوظا لهم، حيث أنهم وقفوا إلى جانب الشريف محمد بن عبد الله وجعلوا من بساتينهم دروعا لحماية الثوار ، بل إنهم رفضوا الانصياع والاستماع لشيخ الزاوية التيجانية محمد العيد التجاني الذي طلب منهم الوقوف على الحياد [3] . وعليه وبالإضافة إلى تأييد سكان تيماسين فقد كسب الشريف محمد بن عبد الله تأييد شعامبة متليلي أيضا .

بعد فشله في الاستيلاء على إمارة بن جلاب في تقرت أدرك الشريف محمد بن عبد الله أنه لا يمكن إحكام سيطرته على بلاد الصحراء دون الاعتماد على قبيلة عظمى وقوية ، ويبدو أنه وجد ضالته في قبيلة الأرباع قرب الأغواط والتي كان يقودها الثائر ابن ناصر بن شهرة[4] الذي كان مهتما بمحاربة

---

[1] عبد الحميد نجاح ، المرجع السابق ، ص29 .

[2] نلاحظ كيف انقلبت سعيد عتبة ضد بني بابية والفرنسيين معا وأيدت حركة محمد بن عبد الله وذالك لارتباطها بقبائل الحرازلية والأرباع المؤيدة للحركة ، أنظر: إسماعيل العربي ، المرجع السابق ،ص 98 .

[3] عبد الحميد نجاح ، المرجع السابق ، ص 29 .

[4] ولد سنة1804 قرب ورقلة ، وكان قادريا ، أعلن الثورة ضد الفرنسيين واعتقل سنة 1851 ، وشارك في ثورة الشريف ابن عبد الله وكذالك في ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864 ،وثورة المقراني 1871، اضطر أن يتجه إلى تونس ومن هناك راح يناوش الفرنسيين ، فنفاه باي تونس،فاتجه إلى دمشق والتحق بالأمير عبد القادر . توفي بدمشق سنة 1884. أنظر : أحمد بن أبي زيد قصيبة . ((ابن ناصر بن شهرة ، أحد أبطال ثورة 1871))، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، 1972 العدد 6 ، ص ص 56- 57 .

الباشآغا سي الشريف بلحرش الذي عينته فرنسا على منطقة الجلفة وكذلك صهره أحمد بن سالم الذي نصبته خليفة على الأغواط ، ومن خلال استطلاع الأحداث يتبين أن الثائر ابن ناصر بن شهرة تحمس كثيرا لفكرة الانضمام لحركة محمد بن عبد الله ، ولا أدل على ذلك من تلك الرسالة التي أرسلها إلى سي الشريف بلحرش يدعوه فيها إلى ضرورة التراجع عن موقفه من الاستعمار والانضمام إلى محمد بن عبد الله ،حيث قال له : ((**إلى صاحبنا سيدي محمد الشريف ، السلام عليكم من إخوانكم جماعة الأرباع وبخاصة الأغا ابن ناصر ، سعد بن مبارك ... إلخ . نعلنكم أن جماعة سيدي محمد بن عبد الله قد وصلت ومعها جماعة المخادمة والشعامبة . ونحن قد تحالفنا معهم بكل الود لأنه لم يعد لنا ما نأمله من دولة الفرنسيين ونحن إنما نريد التقرب إلى الله ، إننا نعتبركم إخوانا لنا وبضعا منا كما تعتبروننا بضعا منكم ، ولهذا فمن غير المجدي توصيتكم والسلام**)) [1] .

لم يكترث الشريف بلحرش لمضمون هذه الرسالة وبقي مصرا على موقفه المعادي للحركات الثورية،في حين أن ابن ناصر بن شهرة وقع تحالفا مع الشريف محمد بن عبد الله ، وعلى إثر هذا التحالف خرج محمد بن عبد الله من ورقلة في أواخر 1851 على رأس جيش متكون من قبائل سعيد عتبة وشعامبة بوروبة(ورقلة) وشعامبة المواضي الذين قدموا من المنيعة للالتحاق به ، وكان وجهة الشريف ابن عبد الله نحو أولاد سعد بن سالم في أولاد نايل ، واستطاع أن ينتصر عليهم وأخذ منهم 50 رأس من الإبل و400 رأس من البقر وأكثر من 400رأس من الغنم ، ثم أخذ يستعد لغزو مدينة بريان الميزابية ، وكاتب بقية المدن الميزابية يطلب منهم الخضوع وتقديم فروض الولاء والطاعة لسلطته . غير أنهم رفضوا ذلك بل إنهم أعلنوا استعدادهم لمحاربته، وتحدوه قائلين له : ((**إذا أرادت القتال فاتجه للفرنسيين مباشرة أعداء البلاد**)) [2] . ويبدو من خلال هذه السياسة أن محمد بن عبد الله كان جد متأثرا بالأمير عبد القادر،وربما كان طموحه يغريه بإعادة بناء الدولة التي كانت على عهد الأمير حتى يكفر عن ذنبه عندما وقف مع فرنسا لبعض الوقت- في بداية عهده - ضد الأمير عبد القادر .

خلال هذه الفترة كان الباشآغا سي الشريف بلحرش والخليفة أحمد بن سالم (خليفة الأغواط) وأغا جبل عمور بعد أن وحدوا جهودهم يتهيئون لمهاجمة الشريف محمد بن عبد الله ، لكن الغيرة الوطنية والروح التحررية عند الأهالي – وخاصة الأرباع – جعلتهم يرفضون مقاتلة محمد بن عبد الله بعد أن عرفوا حقيقته وأدركوا مدى حرصه على توحيد كلمة السكان لمواجهة الاحتلال الفرنسي، وعليه فلم يواجهه سوى الشريف بلحرش خوفا على نفسه وأملاكه وحرصا منه لإبراز خضوعه وولائه لفرنسا . وعليه فقد كانت النتيجة أن تكبد بلحرش خسائر فادحة ،ولم يجد بدا سوى الفرار بنفسه [3]

---

[1] E.Mangin ((Notes Sur L 'histoire De LAghouat)),in Revue Africaine,n° 38 (1894) p278 .

[2] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 118 .

[3] عبد الحميد نجاح ، المرجع السابق ، ص 30 .

وهكذا وأمام تطور الأحداث وتعاقبها وعصيان قبيلة الأرباع وشقها عصا الطاعة ، وبالتالي انضمامها لصفوف الشريف محمد بن عبد الله بدأت السلطات الاستعمارية تتحرك لإعادة تنظيم سلطة الباشآغا الهارب سي الشريف بلحرش فأمرت اللواء "**لادميرول**" (**Ladmirault**) قائد مقاطعة المدية، و مدير الشؤون العربية بمقاطعة وهران بمهاجمة أولاد سيدي الشيخ الذين ما فتىء حقدهم ينمو تجاه الفرنسيين الذين أحسوا بأنهم أحيط بهم من كل جانب،[1] ، خاصة وأن الخليفة حمزة زعيم أولاد سيدي الشيخ قد انضم إلى ثورة الشريف محمد بن عبد الله منذ مارس 1852 ، وهو الشهر الذي غزا فيه الشريف محمد بن عبد الله الأغواط ،غير أن الحظ لم يسعفه في الدخول إليها فقفل راجعا إلى ورقلة ليتوجه مباشرة لغزو إمارة بن جلاب في منطقة تقرت مرة أخرى . وكان قد أعد جيشا قوامه 100 فارس و 900 من المشاة لنصرة حليفه سلمان الجلابي ضد ابن عمه السلطان الطفل عبد القادر بن عبد الرحمن الجلابي الذي لم يكن عمره يتجاوز 8 سنوات وكان تحت وصاية أمه **لالا عيشوش** وحماية السلطة الفرنسية . وقد استطاع الشريف محمد بن عبد الله أن ينتصر على الجلابيين، ويمكن لسلمان الجلابي من العودة إلى الحكم الذي يرى أنه أخذ منه غصبا .وأصبح بذلك سلطانا على تقرت .وهذا الانتصار يعتبر في حد ذاته انتصار للشريف محمد بن عبد الله [2] .

بعد أن انتصر على الجلابيين في تقرت راح ابن عبد الله يعد نفسه للتوجه إلى منطقة الأغواط في محاولة منه لتخليصها من عملاء الفرنسيين وعلى رأسهم الخليفة أحمد بن سالم . فانهمك محمد بن عبد الله في إعداد الأنصار والأتباع والمؤونة في سبيل إنجاح الحملة التي يعتزم القيام بها . وقد أدرك الفرنسيون خطورة حركة محمد بن عبد الله ونيته المبيتة ضدهم وضد عملائهم فأخذوا يعملون وبشتى السبل والوسائل من أجل إحباط أي خطوة يقوم بها. وعليه فقد قام الجنرال "**راندون**"(**RAVDON**) بتجنيد ثلاث فرق وجعلها في حالة استنفار قصوى لمواجهة محمد بن عبد الله، وجيء بهذه الفرق الثلاث من وهران ومعسكر والمدية ، كانت الفرقة الأولى بقيادة الجنرال يوسف (**اللقيط يوسف كما يصفه أبوالقاسم سعد الله**) [3] تمركزت بالجلفة . وكانت الفرقة الثانية بقيادة الجنرال "**بليسييه**" (**Pélissier**) تمركزت بالبيض . وأما الفرقة الثالثة فكانت بقيادة **مكماهون** كلفت بحماية منطقة بسكرة والواحات الشرقية وقسنطينة [4].

---

[1] المرجع السابق ، ص30.
[2] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 358 .
[3] نفس المرجع ، ص 359 .
[4] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 155 .

في 1852/10/04 خاض الشريف محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة وأتبعهم معركة كبيـــرة في عين الرق قرب **غدير مزي** قريبا من الأغواط ضد الفرنسيين ، الذين قتل منهم 200رجلا وغـــنم 20 ألف رأس غنم وألفي بعير ، فكان أن فر ح سكان الأغواط فرحا عظيما واستقبلوا الشريف محمد بن عبد الله استقبال الفاتحين[1].

كان لهذه الهزيمة أثرها البالغ على نفوس الفرنسيين باعتبارها أول مواجهة مباشرة تحدث بينهم وبين الشريف محمد بن عبد الله، وكانت بمثابة النكسة التي لا تنسى. وعليه وسعيا نحو الانتقام من هـــذا الأخير استقدم الفرنسيون نجدات أخرى من البيض بقيادة "**بليسييه**"(**Pélissier**)،ووصلت إلى الأغـــواط في 1852/12/02 ، وقامت بشن حملة واسعة النطاق على المدينة يوم 1852/12/04 كانت في منتهـــى الوحشية [2] ،فقد استعمل خلالها العدو المدافع وارتكب جنوده أعمالا فظيعة ضد السكان ،وجرح محمد بن عبد الله الذي اضطر إلى مغادرة الأغواط والعودة إلى ورقلة بعد أن تمكن من قتل ضـــابطين فرنســـيين أحدهما برتبة جنرال يسمى "**بوسكران**" (**Pouscaren**) [3] وكان من الذين اشتركوا في الهجوم علـــى الأغواط زعيم أولاد سيدي الشيخ الغرابة **سي حمزة ولد سيدي الشيخ** الذي كرمه الفرنسيون وعينوه بعد ذلك خليفة على المنطقة الممتدة بين الجلفة والحدود المغربية. ومما يلفت الانتبـــاه أن الفرنســـيين عنـــدما احتلوا مدينة الأغواط ارتكبوا أعمالا في حق السكان يشيب من هولها الولدان، فاستحلوها لجنودهم ثلاثـــة أيام يقتلونهم بالجملة عشرة فعشرة ، حتى حفيت السيوف ، ومارس الجنود النهب والسلب بحلي النســـاء والاعتداء على شرفهن [4] .

لقد كان احتلال الأغواط فرصة لطالما انتظرها الفرنسيون باعتبار أن الأغـــواط بوابـــة الصـــحراء وبالتالي هي المدخل لاحتلال بقية المناطق الصحراوية ، وخاصة الشـــرقية منهـــا . وعليـــه فقـــد لجـــأ الفرنسيون بعد هذه الفترة إلى اتخاذ أسلوب جديد في المعاملة مع بعض الجزائريين، ويتمثل في نصـــب حماية تضمن للطرفين حقوقا وواجبات معينة دون اللجوء إلى الحرب ، ومن ذالكم الاتفاق الذي وقعـــوه مع أهل ميزاب في 1853/04/19 . فقد كان لهؤلاء أقارب في المدن الشماليةالخاضعة للنفوذ الفرنسي ، كما كانت لهم مصالح تجارية حيوية ، وعليه فقد رضوا بأن يدفعوا ضريبة ســـنوية للفرنســـيين تقـــدر ب 45ألف فرنك والاعتراف بحمايتهم. وفي المقابل تعهدت قوات الاحتلال على لسان الحاكم العام"**راندون**"

---

[1] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ،ص ص 119- 120 .

[2] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص156 .

[3] أبو القاسم عبد الله ، المرجع السابق ، ص 35 .

[4] Charles André Julien .op-cit,pp 390-393.

(Randon) بعدم التدخل في شؤونهم الداخلية، ومن بين شروط هذا الاتفاق أن فرنسا تحمي أهل ميزاب في المدن والمناطق التلية ، وهم يتعهدون بعدم فتح أبوابهم لأعداء الفرنسيين[1].

وهكذا وعلى الرغم من النتيجة السلبية التي أسفر عنها القتال في مدينة الأغواط ، ونجاح فرنسا في كسب حياد بني ميزاب ، فإن الشريف محمد بن عبد الله قد استمر في نشاطه الثـوري ولـم يعـرف اليأس إلى طريقه سبيلا . فبعد أن عفي من جروحه خرج في مطلع 1853 علـى رأس قبائـل الشـعامبة والأرباع والحرزلية بالاستيلاء على مواشي قبائل السوامة ورحمان في جنوب الزيبان والخاضعة للقائد الحاج أحمد بن قانة ، كما قام بهجمات برفقة سي النعيمي على المنطقة المحصورة بين الأغواط والبـيض والاستيلاء على مواشي أولاد سعيد بن سالم[2] التابعة لأولاد نايل.

سعيا نحو إخماد هذا النشاط وهذه الحركة راح الفرنسيون يحرضـون الباشـا آغـا الشـريف بلحرش والخليفة سي حمزة ولد سيدي الشيخ مقابل أموال وألقاب ويدفعونها لمواجهة الشريف بن عبـد الله الذي وجد في ابن ناصر بن شهرة نعم الرفيق في الكفاح ، كما أنضم إليه سي النعيمي ولد سـيدي الشيخ الذي كان غاضبا على أخيه سي حمزة[4]. وفي 1853/09/14 اشترك محمد بن عبد الله مع سـي النعيمي في محاولة لغزو الأغواط مرة أخرى وذلك في يوم عيد الأضحى ، وفي طريقهما إلى الأغـواط خاضا عدة معارك في المابة ومتليلي وتاجرونة[5]. وهكذا وأمام عودة ابن عبد الله إلـى المنطقـة فـإن الفرنسيين سارعوا إلى تجنيد قوة كبيرة أسندوا قيادتها إلى سي حمزة ، فتوجه بها مـن البـيض يـوم 1853/11/03،وكان تعدادها حوالي ألفي رجل ،وحصلت عدة اشتباكات بين الطرفين كانت نتيجتهـا أن أخضع سي حمزة قصر متليلي ومنطقة وادي ميزاب ثم دخلت قواته إلى ورقلة أين جـرت معركـة بوسروال[6] (جنوب الرويسات) التي انتهت بهزيمة محمد بن عبد الله وجرح بن ناصر بن شهرة اللذين توجها إلى نفطة بتونس ، وبقيا بها عدة شهور .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص ص 359- 360 .
[2] عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص ص 99- 100 .
[3] كان سي حمزة متعاطفا مع حركة محمد بن عبد الله لكنه أخلص للفرنسيين فيما بعد . أنظر :
E.Mangin ((Notes Sur L'histoire De LAghouat)),in Revue Africaine,n° 38 (1895) p32.
[4] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص121 .
[5] عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 101.

من خلال ما تقدم يمكن القول أن الشريف محمد بن عبد الله بنى إستراتيجيته الثورية على مجموعة من العناصر التي حاول جاهدا تحقيقها في أرض الواقع وتتمثل هذه العناصر في :

1- العمل على جعل منطقتي الزيبان وسوف تابعتين له باستمرار حتى يجعل منهما قاعدة خلفية تمكنه من ضمان خط الرجعة نحو الجنوب التونسي من جهة ، والحصول على الإمدادات الغذائية والحربية من جهة أخرى ،ومنع وصولها إلى بني جلاب . وعليه فقد كانت قبيلة أولاد مولات تتعرض لغارات من قبل أتباع محمد بن عبد الله بوصفها خاضعة للجلابيين[1].

2- السعي الحثيث لتغذية النزاعات في منطقة وادي ريغ الخاضعة للنفوذ الفرنسي ،وذلك عن طريق إضعاف حكم بني جلاب في ظل الصراع القائم بين سليمان بن جلاب وابن عمه السلطان عبد الرحمن ، ورغبة سليمان في استعادة الحكم ، وبالتالي التحكم في المنطقة التي تمثل قاعدة أساسية تشجع تحركاته نحو الزيبان ،و نحو جبال عمور وأولاد نايل [2].

3- كسب تأييد أكثر الشيوخ وأقواهم تأثيرا في القبائل ذات الإمكانيات الحربية مثلما هو الشأن بالنسبة لـ : ابن ناصر ابن شهرة شيخ قبيلة الأرباع ،ومثل سي النعيمي وسي الزبير من قبيلة أولاد سيدي الشيخ ذات النفوذ القوي .

4- العمل على نشر حركته في مناطق مختلفة وإظهارها على أنها حركة مدعمة من طرف البايات التونسيين ويباركها القادة العثمانيون [3].

وهكذا وانطلاقا من هذه الإستراتيجية استطاع الشريف محمد بن عبد الله وفي ظرف قياسي أن يكسب لحركته الثورية تأييدا شعبيا في مناطق مختلفة من البلاد ، وظل بذلك يقض مضاجع الفرنسيين قرابة نصف القرن من الزمن .

---

[1] Commandant Séroka((Le sud Constantinois de1830 à1855)) . Revue Africaine . 1912 . pp531-532 .

[2] عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص 97 .

[3] نفسه ، ص 98 .

المبحث الثالث: الثورة في مرحلتها الثانية:(1853-1895)

بدءا من 1854/01/27 دخلت مدينة ورقلة وبصفة رسمية تحت النفوذ الفرنسي ، ففي هذا اليـــوم دخل الكولونيل "**دوريان** "(**Durrien**) إلى ورقلة وتسلمها من سي حمزة إيذانا بخضوعها للفرنسيين ، وبعد دخوله مباشرة ألزم السكان بدفع ضريبة سنوية تقدر ب2000فرنك ، كل ذلك تنفيذا لسياسة الحاكم العام للجزائر"**راندون** "(**Randon**) الذي بنى سياسته الخاصة بالصحراء على ناحيتين : تتمثل الأولـــى في ضرورة السيطرة على الصحراء فيما إذا أريد التحكم فـــي الشـــمال باعتبارهـــا مصـــدر القلاقـــل والاضطرابات ،والثانية ربط علاقات تجارية بأقاليم إفريقيا الغربية ، وذلك عـــن طريـــق شـــق طـــرق صحراوية تكون منافسة للطرق التي تصل منها السلع الانجليزية إلى المنطقة فضلا عن كســـر احتكـــار المغرب وليبيا (السنوسية) التجارة مع السودان. وفي سبيل تطبيق الناحية الأولى فإن الخطة التي رسمها **راندون** تتمثل في الضغط باستمرار على الثوار ، وإقناع القبائل الموالية لفرنسا بضـــرورة محاصـــرة القبائل الثائرة[1] وخاصة تلك المدعمة للشريف محمد بن عبد الله .

أما الناحية الثانية فإن تطبيقها يتم من خلال الاتصال ببلاد الطوارق ومحاولة جلب شيوخها إلـــى الجزائر العاصمة حيث السلطة الاستعمارية المركزية ، وقد تم فعلا تحقيق هذا الأمرعندما تمكن ســـي حمزة من استخدام جماعة منهم في مطلع 1856 . وكانت فرنسا تهدف مـــن وراء ذلـــك إلـــى تكـــوين مرشدين منهم لقوافلها المتجهة إلى تومبكتو. وقام بهذا الدور شيخ قبيلة ايفوغاس الشيخ عثمان الذي قاد قافلة إلى غات ورجع بها إلى ورقلة في مارس 1857[2]. وبذلك يعتبر عهد راندون في الجزائر بداية المرحلة الفعلية للاهتمام بالصحراء والشروع في التعرف على أسرارها . ومن ثم اختراقها للوصول إلى بلاد السودان (**مالي ، النيجر ، إفريقيا الوسطى ، السنغال** ....) . ولعـــل التقـــارير الخاصـــة بالمنـــاطق الصحراوية التي قدمها الرحالة "**هنري دوفرييه**" (**Henri Duveyrier**)[3] أســـالت لعـــاب الساســـة والقادة العسكريين الفرنسيين وجعلتهم يولون الموضوع أهمية كبيرة .

---

[1]عبد الحميد زوزو ، المرجع السابق ، ص ص 100-101.

[2] نفســـــــــــــــه ، ص ص 101-102 .

[3]هنري دوفرييه **Henri Duveyrier** (1840-1892) ، رحالة ومغامر فرنسي ، قام بنشاط كبير في الصحراء الكبرى ومن بينها الصحراء الجزائرية ، ووصل إلى بلاد الطوارق ، له كتاب تحت عنوان طوارق الشمال ، وكان متنكرا تحت اسم سعد . أنظر : مصطفى عبد الله بعيو ، بعض الملامح التاريخية عن ليبيا ، محاضرة عامة ، بني غازي، الطبعة الأهلية 1966 .

كان سقوط ورقلة في أيدي الفرنسيين مقدمة لسقوط تقرت هي الأخرى ، إذ أنه لم يمض وقت كبير حتى أحكم الاحتلال قبضته عليها. وعليه فقد تمكن الفرنسيون من احتلال منطقة شمال الصحراء برمتها . وفي هذا الوقت كان الشريف محمد بن عبد الله المتواجد بالبلاد التونسية يعد نفسه من جديد لاستئناف العمل الثوري ، بل إنه اتخذ من تونس منطلقا لضرب المصالح الاستعمارية ، الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تتضايق منه وتكاتب باي تونس تطلب منه أن يعمل على وقف نشاط هذا المتمرد أو المشوش كما اعتاد المستعمرون تسمية كل من يحمل السلاح ضد فرنسا ويحرض الشعب على مواجهتها. وعليه وأمام هذه الضغوط الفرنسية فإن **أحمد باشا** باي تونس أرسل إلى قنصل فرنسا بتونس ، يقول له: ((**أنه يعلم بأمر الرجل الذي قدم من المغرب ، وأنه أعطى الأمر بطرده وعدم قبوله في عمالة تونس**)) [1] .

وفي رسالة أخرى إلى نفس القنصل قال له : باي تونس: ((...**أما بعد فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد ابن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد وأمرنا بطرده وعدم قبوله** وابلغه بعد ذلك بأنه **عازم على استعمال القوة لطرده من إيالته حتى ولو لم يصدر منه شيء**...)) [2].

أمام المضايقات التي تعرض لها الشريف محمد بن عبد الله من قبل باي تونس - وبعد عدة شهور قضاها في تونس - عاد إلى الجزائر في سبتمبر 1854 ، فاتجه نحو ورقلة بعد أن اصطحب معه سلمان بن جلاب ، غير أن حاكم ورقلة سي الزبير ولد سيدي الشيخ قاومهما وارغمهما على الانسحاب، فاتجه ابن عبد الله وسلمان بن جلاب شمالا نحو وادي ريغ ، إلا أن القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل " **ديفو**" الذي قدم من بوسعادة – اعترضتهما في منطقة المقارين (شمال تقرت) يوم 1854/11/29 والملاحظ أن الشريف محمد بن عبد الله وسليمان بن جلاب هما اللذان بادرا بالهجوم على القوات الفرنسية في المقارين وحصلت بين الطرفين معركة كبيرة ، واعتبارا للتفوق في العدة والعتاد فقد نجح الفرنسيون في ترجيح الكافة لصالحهم . وعلى إثر هذه الهزيمة انسحب ابن عبد الله وصاحبه بن جلاب إلى تقرت ، وحتى لا يقعا تحت الحصار الفرنسي ومخافة الاعتقال غادرا تقرت إلى منطقة وادي سوف ومنها إلى الجريد بالجنوب التونسي مرة أخرى. وعليه فقد تمكن القائد" **ديفو**" من الدخول إلى مدينة تقرت واحتلالها في 1854/12/05[3].

---

[1] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 121 .
[2] نفســـــــــــــــــه ، ص 122.
[3] عبد المجيد بن نعمية ، مواقف شيوخ بني جلاب من الاحتلال الفرنسي ، الملتقى التاريخي الثالث ، حكم بني جلاب لمنطقة وادي ريغ ، جمعية الوفاء للشهيد ، ص 127 .

بعد احتلالهم للأغواط وورقلة وتقرت راح الفرنسيون يعملون على توسيع نفـوذهم فـي بقيـة المناطق الصحراوية ولا سيما في الواديين (وادي ريغ ، وادي سوف) ، بـل حتـى فـي وادي ميـزاب بمقتضى الإتفاقية السالفة الذكر(1853) التي وقعها الفرنسيون مع بني ميزاب ،أما ابن عبد الله فقد بقي في تونس إلى غاية 1858 ثم عاد مرة أخرى إلى الجزائر[1] .

ومما يلاحظ أنه أثناء تواجده في تونس لم يسجل المؤرخون أنه تعـرض لمضـايقات كبيـرة ، وحتـى الرسائل السابقة الذكر والتي أرسلها باي تونس لم تكن في حقيقتها إلا ذرا للرماد في العيون، و محاولـة للتخلص من الاستفزازات الفرنسية ، وهذا فيما اعتقد يعود إلى كون أن الشريف محمد بن عبد الله كان سنوسيا ، وأن السنوسيين كانوا يتلقون الدعم من طرف العثمانيين ،وخاصة إذا تعلـق الأمـر بمواجهـة الاستعمار الصليبي ، وعليه فلربما أوعز العثمانيون إلى باي تونس أن يغض الطرف عن نشاط الشريف محمد بن عبد الله .

بعد عودته من تونس إلى الجزائر(1858) اتجه الشريف محمد بن عبد الله إلى منطقـة تـوات (قرب أدرار) ومنها إلى الأغواط في محاولة لتحريرها من الفرنسيين ، وكان جل اهتمامه منصبا علـى الباشآغا سي بوبكر بن سي حمزة الذي كان الفرنسيون قد عينوه حاكما على الأغواط ، غيـر أن هـذا الأخير وبدعم من الفرنسيين أخذ يطارد ابن عبد الله حتى تمكن من محاصرته في العرق الغربي بين بوسروال وقرن الحاج (غير بعيد من ورقلة) ، وانتهى الأمر باعتقال الشريف محمد بن عبـد الله فـي أواخر 1861 ، وتم تسليمه للفرنسيين الذين نفوه إلى فرنسا وفرضوا عليه الإقامة الجبرية فـي سـجن عسكري بساحة " **دوبيرقون**"(**De pourigon**) في جزيرة كورسيكا [2].

بعد مدة زمنية تقد ر بنحو سنتين قضاها الشريف محمد بن عبد الله تحت الإقامة الجبرية في جزيرة كورسيكا الفرنسية بالبحر المتوسط ،عاد إلى الجزائر ، غير أن الأستاذ يحي بوعزيز يطرح عدة تساؤلات بقوله: ((**لا ندري كم بقي محمد بن عبد الله في السجن أو الإقامة الجبرية في فرنسا ؟ كما لا ندري متى وكيف أطلق سراحه ؟ ولا أين ذهب بعد ذلك ؟**)) [3] إلا أن الأستاذ أبو القاسم سعد الله يزيل هذا الغموض ويجيب عن هذه الاستفهامات بقوله : ((**...ثم نقل منها إلى سجن عنابة بعد أن داهمه المرض، ونحن نعرف أنه قد حل بعنابة سنة 1863 شبه ميت**)) [4].

---

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 158 .
[2] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 122.
[3] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 158 .
[4] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 362 .

وعليه ومهما يكن من أمر فقد ظهر الشريف محمد بن عبد الله من جديد على مسرح الأحداث بعد اندلاع ثورة أولاد سيدي الشيخ عام 1864 [1]، وهي الثورة التي قادها **سي سليمان** أحد أبناء سي حمزة . وظل ابن عبد الله بعض الوقت يقاتل مع الثائرين .

وفي 1864/09/10 اشترك محمد بن عبد الله مع أولاد خليفة في مهاجمة واحة ليشانة بالزاب الشرقي ، ومن هناك عبروا جميعا الحدود إلى نفطة حيث التقى هناك بثوار أولاد **سيدي عبيد** ، وقادهم يوم 1864/09/20 إلى نفرين واستطاعوا أن يقتحموها . وفي أواخر سبتمبر من نفس السنة هاجم محمد بن عبد الله سكان العلاونة الذين كانوا يعترضون حركته وأرغمهم على الالتجاء إلى جبل الجرف . وخلال هذه الفترة وفي نفس المنطقة خاض الشريف محمد بن عبد الله **(معركة الركيز)** ضد قوات فرنسية وهزمها وقضى على معظم جنودها ماعدا أفراد قلائل الذين نجوا بعد وصول نجدات من بلدة الشريعة [2] .

بعد هذه المعركة التي استرجع من خلالها الشريف محمد بن عبد الله بعض أنفاسه اتجه الشريف نحو **بئر العليق** أين حظي بأتباع زاوية سيدي عبيد الذين دعموا حركته وبايعوه وهنأوه على الانتصار الذي حققه على الفرنسيين في منطقة الجرف ، ثم أنه راح يتقدم نحو **جبل دايي** وهناك وجد تأييدا من **أولاد رشاش،** وكان أكبر من انضم إليه خلال هذه الفترة **عمر بن مسعود الكوماتي** الذي كان قد أعلن حركة ثورية في جبل **مستيوة** بالأوراس عام 1867 [3]. وعلى إثر اندلاع ثورة المقراني(1871) راح محمد ابن عبد الله يضم جهوده إلى جهود المقرانيين ، كما أنه كثف اتصالاته بأصحابه ورفقاء دربه فاتصل بابن ناصر بن شهرة في تقرت كما اتصل بالشريف بوشوشة في ورقلة ، ثم أنه اتصل بمحي الدين ابن الأمير عبد القادر الذي قدم متخفيا من طرابلس إلى نفطة ونفزاوة ومنها إلى تبسة ليتزعم الثورة هناك [4].

---

[1] سعيد بورنان ، المرجع السابق ، ص 161.

[2] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 159 .

[3] إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 124 .

[4] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 362 .

في ظل الظروف السالفة الذكر كان من المفترض أن تتقوى حركة محمد بن عبد الله ، غير أن فشل ثورة **الشيخ المقراني** (1871) في الشمال وفشل ثورة **محي الدين بن الأمير عبد القادر** في الحدود الشرقية جعلته يعجز عن مواصلة نشاطه الثوري ،بال إنه اتخذ القرار الخطير والمتمثل في ايقاف هذا النشاط ،وما كان ليفعل ذلك غير أن الظروف التي أحطت به جعلته يتخذ مثل هذا القرار. وعليه فقد غادر المنطقة يوم 1871/10/12 واتجه إلى منطقة الكاف في تونس [1].

وكانت حادثة العربي المملوك سببا كافيا لجعل بآي تونس يعتقله ويضعه في السجن بضع سنين .

فما المقصود بهذه الحادثة ؟ وكيف كان أثرها على الشريف محمد بن عبد الله ؟

حادثة العربي المملوك :

كان **العربي المملوك** أحد رجال الصبايحية الذين صنعتهم فرنسا على عينها وقدموا لها أجل الخدمات، ويقال أنه كان مسيحيا وأسلم وربما العكس هو الصحيح، فيكون بذلك قد ارتد عن الإسلام . وتذكر بعض الروايات أنهِ شارك في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله منذ بدايتها . وبعد تطبيق النظام الإداري الاستعماري الجديد (الإدارة المدنية) بدءا من 1871 قامت السلطات الاستعمارية بتعيين العربي المملوك قائدا على منطقة **وادي سوف**،فكان أن عمل على تنفيذ السياسة الاستعمارية القائمة على تطويع السكان وإرهابهم ، وكان يسلك سياسة القسوة والغطرسة في معاملته لهم مما جعلهم يفكرون في كيفية التخلص منه. فحدث في سنة 1873 أن كان العربي المملوك في إجازة ، فاتجه مع أفراد عائلته لزيارة بعض أصدقائه فاعترض طريقه مجموعة من الأشخاص - وفي مقدمتهم **حميد الطرودي السوفي** – فقتلوه هو وزوجته وابقوا على حياة ابنيه الصغيرين . ثم إنهم أخذوا أمتعته واتجهوا مسرعين إلى داخل الحدود التونسية [2].

عندما وقعت هذه الحادثة كان الشريف محمد بن عبد الله مقيما في **قرية العوينة** في منطقة **دوري** في **نفزاوة بالمرازيق** بالجنوب التونسي ، فاتجه إليه هؤلاء الأشخاص الذين قتلوا **العربي المملوك** فاستقبلهم أحسن استقبال واستضافهم، واعتبر عملهم هذا امتدادا النشاط الثوري الذي كان يقوم به . وكان ابن عبد الله يدرك أن استقباله لهؤلاء من ِشأنه أن يسبب له مشاكل ويتهم بالتحريض والمشاركة في عملية الاغتيال . وعليه فإن السلطات الفرنسية بعد علمها بمقتل **العربي المملوك** احتجت بشدة لدى باي تونس وحكومته ، وطلبت منهم أن يقبضوا على القتلة ويسلموهم إليها.فما كان من الحكومة التونسية – وتحت الضغط الفرنسي – إلا أن بذلت كل ما في وسعها من أجل تلبية هذا الطلب ،فأرسلت إلى حاكم المرازيق أحمد بن حمادي تطلب منه القيام بمهمة البحث عنهم وعن الأمتعة التي بحوزتهم ، وظلت

---

[1] يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 160 .
[2] إ سماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص125.

الأجهزة الأمنية ولمدة ثلاث سنوات تبحث عنهم حتى تم اكتشاف أمرهم والعثور عليهم وهم تحت كفالة الشريف محمد بن عبد الله ، فقام رجال الأمن بمهاجمة بيته – وكان غائبا - ووجدوا الأمتعة فأخذوها وقاموا في نفس الوقت بنهب الحلي والأصواف وغيرها [1]. وعندما علم ابن عبد الله – وكان في منطقة بوفليجة يقضي فصل الربيع مع عائلته وأغنامه – بالخبر أدرك أنهم سيعملون على اعتقاله ، فرحل إلى **أولاد باب** قرب حدود الطرابلسية . ولما علم حاكم **نفزاوة** بمكان وجوده اتجه إليه واستعمل معه الحيلة للقبض عليه ،فقد ادعى الحاكم بأنه يريد منه أن يتوسط له لإزالة الخلاف القائم بينه وبين أولاد باب الذين يقيم عندهم ، فانطلت الحيلة عليه وذهب معه ،غير أنه في الطريق قيده وأسرع به إلى **نفزاوة** وتم وضعه رهن الاعتقال لمدة عدة شهور ، إلى أن توسط له عامل إقليم **نفات** علي بن خليفة لدى باي تونس فأطلق سراحه ووضع تحت كفالة هذا الأخير شريطة أن لا يقوم بأي عمل سياسي . غير أنه لم يمض وقت كبير حتى رفعت عنه الإقامة الجبرية في **نفات** ، وعاد إلى منزله في قرية العوينة بنفزاوة ليعيش عيشة متواضعة بعيدا عن الحرب وأدواتها والسياسة واغراءتها.

نهاية الشريف محمد بن عبد الله :

في منتصف 1881 كانت فرنسا قد تمكنت من احتلال تونس بعد أكثر من نصف قرن من احتلال الجزائر . وعلى أثر هذه التحولات التي حدثت في تونس أدرك محمد بن عبد الله أن السلطات الاستعمارية سوف لن ترحم شيخوخته إذا ما تمكنت منه ،وعليه فقه قرر أن يغادر **قرية العوينة** نحو الحدود التونسية الطرابلسية –غير بعيد عن معاقل السنوسيين – فبقي هناك مدة ثم عاد إلى الجنوب التونسي إلا أن الظروف لم تسمح له بالعودة إلى العوينة ،فبقي يتنقل بين منطقة بوفليجة والجفارة بالصحراء التونسية إلى أن أدركته المنية عام 1895[2] . وعلى اثر وفاته تم نقل جثمانه إلى قرية **دوز**بتونس(**ولاية قبلي**) ودفن هناك . وبذلك انتهت حياة هذا الرجل البطل ، وهي حياة قضاها في مقاومة الظلم والظالمين ورد كيد المعتدين ، وكانت كلها كفاحا مستمرا وجهادا متواصلا دام نصف القرن ، وشمل الجزائر وتونس وطرابلس، فكان بذلك أحد رواد الكفاح في منطقة المغرب العربي ، كيف لا وقد صنعته الحركة السنوسية على عينها وغذته بأفكارها ومبادئها .

---

[1] محمد المرزوقي ، صراع مع الحماية ، تونس ، دار الكتاب الشرقية ،1973 ، ص ص 234-244 .

[2] إ سماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 128.

الفصـــــل الثـــــــــالث

ثورة الشيخ عمر المختار (1911-1931)

المبحث الأول :عمر المختار(نشــــــأ ته ونشــــــــاطه)

المبحث الثاني : ثورة عمر المختار في مرحلتها الأولى(1911- 1927)

المبحث الثالث : ثورة عمر المختار في مرحلتها الثانية (1927-1931)

المبحث الرابع : عمر المختار من الأسر إلى الإعدام

المبحث الأول :عمر المختار(نشـــــــــــــــــــأ ته ونشـــــــــــــــــاطه)

مولـــــــده وتربيتـــه :

ولد عمر المختار على أرجح أقوال المؤرخين سنة 1279هـ/1862م في قرية البطنان بالجبل الأخضر بليبيا من أبوين صالحين ، فأبوه المختار بن عمر بن فرحات من عائلة غيث، وفرحات قبيلة من بريدان أحد بطون قبيلة المنفة، وأمه عائشة بنت محارب، وكانت ولادته بعد وفاة السيد محمد بـــن علـــي السنوسي الذي توفي – كما سبق القول – سنة 1276هـ /1859م . وقد كان والده مشـــهورا بالشـــجاعة ،كما أنه صاحب مكانة مرموقة بين قومه ، وعليه فقد نشأ عمر المختار وترعرع في بيت عز وكرم ، تحيط به شهامة المسلمين وأخلاقهم الرفيعة وصفاتهم الحميدة التي استمدوها من تعاليم الحركة السنوســـية القائمة على الكتاب والسنة [1].

تشاء الأقدار أن يتوفى المختار بن عمر سنة1295هـ،/ 1878م وهو في طريقه إلى البقاع المقدســـة لأداء فريضة الحج ، وكان قبل ذلك قد عهد بولديه عمر ومحمد إلى السيد **حسن الغرياني** شـــيخ زاويـــة جنزور (التابعة للطريقة السنوسية) فتولى الشيخ الغرياني رعايتهما محققا بذلك رغبة والدهما ، فأدخلهمـــا مدرسة القرآن الكريم بالزاوية(زاوية جنزور)ثم ألحق عمر المختار - وكان عمره ستة عشرة ســـنة- مـــع أولاده بالمعهد الجغبوبي لينضم إلى طلبة العلم من أبناء الإخوان السنوسيين والقبائل الأخرى [2].وفي هذا المعهد راح عمر المختار يتعلم كافة العلوم الشرعية، فتلقى القرآن وعلومه على يـــد الشـــيخ الزروالـــي المغربي، ودرس على سائر مشايخ المعهد مجموعة من العلوم الشرعية وغيرها،وكان من بـــين الشـــيوخ الذين تتلمذ عليهم أيضا الشيخ **الجواني** والعلامة **فالح بن محمد الظاهري المدني** وغيرهم ، وقد كان نهج التعليم في المعهد أن يقوم الدارس بأداء بعض المهن اليدوية مثل: النجارة والحدادة ، وقـــد تميـــز عمـــر المختار في هذه الحرف وفي ركوب الخيل على سائر إخوانه بالمعهد ، وتميز أيضًا بشخصـــيته القياديـــة واتزان كلامه وجاذبيته ، مع تواضعه وبساطته، ولم يعرف عنه أنه أجل عمل اليوم إلى الغد[3].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية ، ص 517.

[2] إدريس الحريري، عمر المختار نشأته وجهاده ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، طرابلس ، كلية الآداب والتربية ، جامعة قار يونس ، 1981، ص 65.

[3] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 518.

صفاته ومؤهلاته :

لقد أكسب القدر عمر المختار جملة من الصفات التي أهلته لأن يكون بطلا من الأبطـال الـذين يحق لليبيين خاصة بل وللعرب والمسلمين عامة أن يفتخروا به على مدار الزمان ، ولعل من أهم هـذه الصفات الجدية والاستقامة والحزم والصبر والشجاعة مع التواضع والبساطة ،يضاف إلى ذلك شخصـيته القيادية المتزنة.وقد دفعت به هذه الخصال والصفات لتقدم الصفوف في طريقته السنوسـية ، فقـد كـان الأساتذة يبلغون شيخ الطريقة محمد المهدي السنوسي أخبار الطلبة،فأكبر في عمر المختار الصفات السالفة الذكر وما يتحلى به من خصال[1] ، واشتد إعجابه به حتى قال الإمام محمد المهدي السنوسـي :((**لـو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لاكتفينا بهم**)).

ومن المواقف الدالة على شجاعته ما ذكره المؤرخون أنه في 1311هـ /1894م تقرر سفر عمر المختار على رأس وفد سنوسي إلى السودان ،وفي مدينة الكفرة وجد الوفد قافلة من التجار مـن قبيلتـي الزوية والمجابرة وتجار آخرين من بنغازي وطرابلس تتأهب للسفر للسودان هي الأخرى ، فأنضم وفـد عمر المختار إلى هؤلاء الذين تعودوا السير والسفر في الطرق الصحراوية . وعندما وصـل المسـافرون إلى قلب الصحراء بالقرب من السودان قال بعض التجار الذين تعودوا المرور من هذا الطريـق : إننـا سنمر بعد وقت قصير بطريق وعر لا مسلك لنا غيره ومن العادة –إلا في القليل النادر – يوجد فيه أسـد ينتظر فريسته من القوافل التي تمر من هناك ، وتعودت القوافل أن تترك له بعيرا كمـا يتـرك الإنسـان قطعة اللحم إلى الكلاب أو القطط ، وتمر القوافل بسلام ، واقترح المتحدث أن يشترك الجميع فـي ثمـن بعير هزيل ويتركونه للأسد عند خروجه ، فرفض عمر المختار بشدة قائلا :

((**إن الإتاوات التي كان يفرضها القوي منا على الضعيف بدون حق أبطلت ، فكيف يصح لنا أن نعيـد إعطاءها للحيوان، إنها علامة الهوان والمذلة ، إننا سندفع الأسد بسلاحنا إذا ما اعترض طريقنا**)).وقد حاول بعض المسافرين أن يثنيه عن عزمه ، فرد عليهم بقوله :

((**إنني أخجل عندما أعود وأقول إنني تركت بعيرا إلى حيوان اعترض طريقي وأنـا علـى اسـتعداد لحماية ما معي ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته إنها عادة سيئة يجب أن نبطلهـا**)) ومـا كـادت القافلة تقترب من الممر الضيق حتى خرج الأسد من مكانه الذي اتخذه على إحدى شرفات الممر فقال أحد التجار – وقد خاف من هول المنظر وارتعشت فرائسه – أنا مستعد أن أتنازل عن بعير من بعـائري ولا تحاولوا مشاكسة الأسد، فانبرى عمر المختار ببندقيته وكانت من النوع اليوناني ورمى الأسد

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا، طرابلس ، مركز دراسات جهاد الليبيين ، بدون تاريخ ، ص 36.

بالرصاصة الأولى فأصابته ولكن في غير مقتل واندفع الأسد يتهادى نحو القافلة فرماه بأخرى فصرعته، وأصر عمر المختار على أن يسلخ جلده ليراه أصحاب القوافل فكان له ما أراد [1] .ويذكر محمد الطيب الأشهب أنه سأل عمر المختار نفسه عن هذه الحادثة ، فأجابه بقوله :

تريدني يا ولدي أن أفتخر بقتل صيد ، وقد قال قديما أحد الأعراب لمنافسه وقد قتل أسـدا:((**أتفتخـر علي بأنك قتلت حشرة**)) واستشهد عمر المختار بقول الله تعالى :**{وما رميت إذ رميت ولكن الله رمـى }** سورة الأنفال ، الآية 17 .

ومن الصفات التي تميز بها عمر المختار كذلك أنه كان خبيرا بالمسالك الصحراوية وبالطرق التي كان يجتازها من برقة إلى مصر والسودان في الخارج وإلى الجغبوب والكفرة في الداخل . وكان عارفا بأنواع نباتات المنطقة وخصائصها على مختلف أنواعها في برقة .كما أنه كان على دراية واسعة بالأمراض والأسقام التي تصيب الماشية وطرق علاجها ،وذلك بفعل التجارب التي توارثها البدو ، بالإضافة إلى ذلك فقد كان يعرف سمة كل قبيلة ، وهي العلامة التي توضع على الحيوانات خاصة الجمال لوضوح ملكيتها لأصحابها مما يدل على ذكاء عمر المختار وفطنته [2] .

وكانت شجاعته وأخلاقه تزيد الإمام المهدي السنوسي إعجابا به مع مرور الأيام حتى أنه استخدمه في مهام المصالحة وفك الخصومات والنزاعات بين القبائل المتناحرة ،وقلما فشل في مهمة كلف بها ، مما ساعده على توطيد مركزه وسمعته بين القبائل وأصبح محبوبا من طرف الكثيرين. ولعل من بين أهم العوامل التي أوصلته إلى أن يتبوأ هذه المكانة شدة ارتباطه بالله عز وجل وحرصه الشديد على أداء الشعائر التعبدية ، فقد كان مواظبا على الصلوات قي أوقاتها ، كثير التلاوة لكتاب الله حريصا على ختمه كل أسبوع منفذا لوصية شيخه محمد المهدي ، فقد ذكر عمر المختار أته استأذن في الدخول عليه ذات يوم فأذن له وناوله مصحفا كان بجانبه ، فقال له عمر المختار: ((**إن كثيرا من الإخوان يقرءون أورادا أجزتموهم قراءتها وأنا لا أقرأ إلا الأوراد الخفيفة عقب الصلوات فأطلب منكم إجازتي بما ترون**))

فأجابني رضي الله عنه بقوله : ((**يا عمر وردك القرآن**)).فقبلت يده وخرجت من عنده أحمل هذه الهدية العظيمة (المصحف) ، ولم يفارقني مصحف سيدي منذ ذلك اليوم [3]. و من شدة حبه للسادة السنوسيين أثر عن عمر المختار قوله : ((**لا أعرف أنني قابلت أحدا من السادة السنوسيين وأنا على غير وضوء منذ شرفني الله بالانتساب إليهم**)) [4].

---

(1) المرجع السابق، ص ص 39-40 .
(2) محمد الطيب الأشهب، المرجع السابق ، ص 27 .
(3) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 519.
(4) نفســـــــــــه ، ص 520.

يقول عنه محمد الطيب الأشهب:((**وقد عرفته معرفة طيبة ، وقد مكنتني هذه المصاحبة من الاحتكاك به مباشرة ، فكنت أنام في خيمته وإلى جانبه ، وأهم ما كنت أمقته منه ،وأنا وقت ذاك حديث السن هو أنه لا يتركنا ننام، يقضي كل ليلة يتلو القرآن مبكرا فيأمرنا بالوضوء بالرغم عما نلاقيه من شدة البرد ومتاعب السفر))** [1].

وتظهر شجاعته أيضا من خلال رسالته التي أرسلها إلى الشارف الغرياني الذي أكرهته ايطاليا على أن يتوسط لها لدى عمر المختار ، فكتب إليه يقول : ((**إلى أخينا السيد الشارف بن أحمد الغرياني حفظه الله وهداه ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ومغفرته ومرضاته نعلمكم أن ايطاليا إذا أرادت أن تبحث معنا في أي موضوع تعتقد أنه يهمها ويهمنا فما عليها إلا أن تتصل بصاحب الأمر ومولاه سيدي السيد محمد إدريس ابن السيد محمد المهدي ابن السيد محمد السنوسي رضي الله عنهم جميعا**)). ومحل الشاهد قي الرسالة المذكورة قول عمر المختار : ((**...ولا نخاف طيارات العدو ومدافعه ودباباته وجنوده من الطليان والحبش والسبايس ، ولا نخاف حتى من السم الذي وضعوه في الآبار ، ووضعوه على الزروع النابتة في الأرض ، نحن من جنود الله وجنود الله هم الغالبون**)). ومما يلاحظ أن صفة الشجاعة ملازمة لصفة الكرم كما أن الجبن والبخل لا يفترقان . وعليه فقد كان عمر المختار يردد عبارة جميلة بين ضيوفه : ((**إننا لا نبخل بالموجود، ولا نأسف لمفقود**)) [2].

عمر المختار وحياته الدعوية والجهادية قبل الاحتلال الايطالي :

من خلال استقراء سيرة عمر المختار وحياته البطولية نجد أن هذا الرجل قد ملأ ذكره الأفاق، وأصبح علما من الأعلام وقائدا ومجاهدا يقلق العدو الايطالي بعملياته الجهادية التي قلما تخطيء الهدف . وما كان ليكون له ذلك لولا أن الله هيأ له من الظروف ما من شأنه أن يصبح على هذه الشاكلة، خاصة وأنه منذ نعومة أظفاره تدرج في محاضن الحركة السنوسية فقد تربى في مدارسها وزواياها المختلفة وتتلمذ على شيوخها وأئمتها ومن بينهم محمد المهدي السنوسي الذي كان عمر المختار يرى فيه الأب الروحي . وعليه فقد أدرك عمر المختار مهمته الأساسية منذ الوهلة الأولى وراح يبلغ الدعوة السنوسية- وهي دعوة الإسلام – وينشرها بين القبائل .

ففي 1897م عينه الشيخ محمد المهدي شيخا لزاوية القصور بالجبل الأخضر ، فتحمل المختار المسؤولية على أحسن وأكمل وجه وأدى المهمة التي أوكلت إليه فاجتهد في تعليم الناس أمور دينهم ، وساهم في فض النزاعات بين القبائل وعمل على جمع كلمتهم وسعى في مصالحهم ، وسار في الناس سيرة حميدة ،فظهرت في شخصيته أخلاق الدعاة من حلم وتأن وصبر ورفق وعلم وزهد [3]. وصدقت

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية، ص 439.

[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق، ص ص 524 - 525 .

[3] نفسه، ص 225 .

فيه فراسة شيخه محمد المهدي السنوسي الذي كان قد قصد من وراء إرساله تطويع قبيلة **العبيد** التي كانت زاوية القصور في أرضها ، وكانت هذه القبيلة تتميز بنوع من الغلظة والشدة ، فنجح عمر المختار في تطويعها وقيادتها وذلك بتوفيق الله أولا ،و بما أودع الله فيه من الصفات ثانيا.

قضى عمر المختار فترة من الزمن في زاوية القصور بالجبل الأخضر معلما ومربيا وداعية إلى الله على بصيرة ، ونجح في نشر الفكرة بالإقناع والإرشاد والتوجيه. وعندما زحف الاستعمار الفرنسي على مراكز الحركة السنوسية في تشاد نظمت الحركة السنوسية نفسها واستعدت لمقاومة هذا الاستعمار ومواجهته ، واختارت من القادة من هم أقدر على القيام بهذا العمل الجليل ، فكان عمر المختار في مقدمة هؤلاء المختارين وقد استطاع أن يبلو البلاء الحسن في مواجهة قوات الاحتلال إلى درجة جعلته يلفت انتباه الكثيرين إليه ،مما جعل الشيخ المهدي السنوسي يقول عنه المقولة السالفة الذكر : ((**لو كان لنا عشرة مثل المختار لاكتفينا**)) [1] .

بقي عمر المختار مدة زمنية في تشاد يعمل على نشر دعوة الإسلام بين الناس وتربيتهم ، إلى جانب جهاده ضد فرنسا ، وكان يحمل الكتاب في يد والسيف الذي يجاهد به في اليد الأخرى ، وكانت المناطق التي يدير شؤونها أمنع من عرين الأسد ، ولا يخفى ما في ذلك من إدراك القيادي المسلم لواجبه تجاه دينه وعقيدته وأمته [2].

في سنة 1906 رجع عمر المختار من تشاد بأمر من القيادة السنوسية إلى منطقة الجبل الأخضر ليستأنف عمله في زاوية القصور ، لكنه لم يمض وقت طويل حتى بدأت المعارك الضارية بين الحركة السنوسية والبريطانيين في منطقة البردي ومساعد والسلوم على الحدود الليبية المصرية ، وشهدت سنة 1908 أشد المعارك ضراوة وانتهت بضم السلوم إلى مصرفي ظل الضغوط التي مارستها بريطانيا على الدولة العثمانية.

انطلاقا مما تقدم يتبين أن الشيخ عمر المختار من خلال نشاطه الدعوي في زاوية القصور ونشاطه الجهادي الحربي ضد القوات الفرنسية في تشاد، وضد القوات الانجليزية في الحدود المصرية كان يناضل نضالين اثنين : أولهما أنه علم الناس وساسهم في المرحلة الأولى من حياته – وكانت مرحلة طويلة – تعرف خلالها على حقيقة النفس البشرية ، فامتلك القلوب باللين ، والمعروف والتقوى والعقل ، فكان بذلك نعم المعلم، ونعم الموجه والمربي، ونعم السياسي ...وثاني النضالين : قيادته الرشيدة – في المرحلة الثانية من حياته –المعارك ضد غاصبي الوطن ، ومبيدي البشر ... [3].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص527.
[2] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص 37 .
[3] عز الدين اسماعيل وآخرون ، عمر المختار شيخ الشهداء ، بيروت ، دار العودة ،1975،ص ص 11 -12 .

المبحث الثاني : ثورة عمر المختار في مرحلتها الأولى(1911 - 1927)

الاحتلال الايطالي لليبيا :

تمكنت ايطاليا سنة 1870 من بناء وحدتها القومية ،وعلى إثـر ذلـك ازداد طموحهـا واشـتدت أطماعها وتولدت لديها رغبة قوية في ضرورة دخول حلبة المنافسة الاستعمارية إلـى جانـب الـدول الأوروبية الأخرى، وخاصة فرنسا وبريطانيا اللتين تمكنتا من وضع أيديهما على معظـم شـمال إفريقيـا باستثناء المنطقة الليبية. وعليه فقد رأت ايطاليا أن من مصلحتها أن لا تفوت هذه الفرصة وأن تبادر إلـى تحقيق هذا الحلم الذي طالما روادها منذ عدة عقود من الزمن ، فراحت تتطلع إلى تنفيذ رغبتها في احتلال ليبيا منذ أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين متخذة عدة تدابير عملية ، فأرسلت الإرسـاليات التبشيرية ، وفتحت المدارس في طرابلس وبنغازي . وحتى تجد الوسيلة التي مـن خلالهـا تـتمكن مـن مصادرة ممتلكات الشعب الليبي، قامت بفتح فرع لبنك روما ، فأخذ هذا الفرع البنكـي يقـرض الأهـالي الأموال الكثيرة بشروط تبدو للمقترض أنها سهلة يسيرة غير أنها تبطن شرا مستطيرا،ذلك أن التأخر فـي تسديد الدين كان يؤدي بالأرض المرهونة لقاء الدين إلى أن تسجل ملكا للبنك [1] . يضاف إلى ذلـك كلـه فقد كانت القنصلية الايطالية في طرابلس وبنغازي مركزا للنشاط السياسي والدعاية الايطاليـة والتجسـس على أهل البلاد.وساهمت الدعاية والصحافة في تغذية الروح العدائية ضـد العثمـانيين و الطرابلسـيين والتقليل من شأنهم بحجة عدم أهليتهم لحكم الولاية وإدارتها[2]. وردا على هذه الدعاية المغرضـة اجتمـع عدد كبير من الطرابلسيين وأرسلوا إلى السلطان العثماني رسالة أعربوا له فيها عن استيائهم مـن لهجـة الصحف الايطالية واستعدادهم للدفاع عن وطنهم تحت راية الخلافة العثمانية ، ومما جاء في الرسالة :

((أن أهالي طرابلس الذين يتباهون بارتباطهم بمقام الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية الـذي هـو أعظم من حياتهم وأنهم لا ينثنون عن الدفاع في هذا السبيل ،ولو انثنت عنه الحكومة العثمانية نفسـها .. وعلى كل حال فإن رجالنا وأولادنا قد عاهدوا الله والشرف والذمة على أن يريقوا – وبكل سـرور – آخر قطرة من دمائهم قبل أن يدنس وطنهم أعداء السلطة العثمانية)) [3] .

إن الدولة العثمانية - التي كان يخضع لها إقليما طرابلس وبنغازي – قد أهملت منطقة ليبيا باعتبـار أن هذه المنطقة فقيرة ولا يوجد فيها - مقارنة بالمناطق الأخرى - ما يجعلها تحرص على الاهتمام بهـا .وهذا ما جعل ايطاليا تزداد حرصا على أن تكون ليبيا مستعمرة لها،فاتصلت بالدول الكبرى واستطاعت

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص17.

[2] الطاهر أحمد الزاوي ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ،الطبعة الثالثة، بيروت ، دار الفتح للطباعة والنشر ، 1962، ص14.

[3] نفســــــــــــــــــــــه، ص ص 14-15 .

أن تنتزع منهم تأشيرة احتلال ليبيا حيث أيدتها كل من بريطانيا وفرنسا وروسـيا القيصـرية وألمانيـا . والملاحظ أن إيطاليا كانت تشعر شعورا كاذبا بالعظمة والقوة بعد أن بنت وحـدتها، ووصـل بهـا هـذا الشعور إلى درجة أنها فكرت في استعادة الإمبراطورية الرومانية [1] .

وفي 1911/09/27 وجهت ايطاليا إنذارا للدولة العثمانية تضمن النقاط التالية :

1- تذكير ايطاليا المستمر للباب العالي بالضرورة القصوى لوضع حد لتلك الفوضى والإهمال اللـــذين تركت فيها طرابلس وبرقة من قبل الحكم العثماني.

2 – إن مساندة الحكومة الايطالية الدائمة للإمبراطورية العثمانية في كثير من المسائل السياسية حتى في الفترة الأخيرة قوبلت بتجاهل رغبات إيطاليا في ولاية طرابلس.

3- رفض الحكومة الايطالية لاقتراح استانبول بإجراء مفاوضات تمنح بمقتضاها إيطاليا امتيازات اقتصادية في الولاية وتحفظ لاستانبول شرفها ومصالحها العليا .

4 – الادعاء بأن قناصل إيطاليا في طرابلس وبرقة تصور خطورة الحركة السائدة ضد الايطاليين والتي خلفها فيما بعد ضباط وهيئات أخرى من السلطة المحلية .

5 – إن الحكومة العثمانية ترسل الناقلات العسكرية لتزيد من تأزم الموقف في البلاد ، الأمر الذي يدفع ايطاليا لاتخاذ التدابير اللازمة ضد هذا العمل .

6 – قررت الحكومة الايطالية الإقدام على احتلال طرابلس عسكريا لأن ذلك الحل الوحيد الذي يمكن أن تقبله ايطاليا.

7- تطلب الحكومة الايطالية إصدار الأوامر للممثلين والسلطات العثمانية في الولاية بعدم مقاومة الغزو ، ومن الممكن الاتفاق على تنفيذه دون أية عراقيل وستتخذ بعده القرارات اللازمة لتسوية الحالة التي ستنتج عنه [2].

وهكذا وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية أبدت استعدادها لتنفيذ معظم النقاط التي جاءت في هـــذا الإنذار وخاصة فيما يتعلق بتحسين أوضاع الرعايا الايطاليين ،وتقديم امتيازات اقتصادية واســـعة لدولـــة ايطاليا في ولاية طرابلس الغرب ، إلا أن الحكومة الايطالية أصرت على اتخـــاذ الإجـــراءات والتـــدابير العسكرية وأعلنت احتلالها لليبيا . ودخل الاحتلال حيز التنفيذ بدءا من 29سبتمبر 1911 .

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص 18 .

[2] عبد المنصف حافظ البوري ، الغزو الايطالي لليبيا ، بيروت ، الدار العربية للكتاب ، 1983، ص ص 282-283 .

بذلك اكتملت سلسلة الاستعمار الأوروبي لشمال إفريقيا . وعليه فقد بسط الأوروبيون نفوذهم علــى المنطقة وراحوا يسومون أهلها سوء العذاب ،فكان أن سلط الفرنسيون على الجزائريين أشد أنواع العــذاب وارتكبوا في حقهم أبشع الجرائم ، ولم يكن الاستعمار الايطالي في ليبيا إلا نموذجا للفرنسيين إن لــم نقــل أنه كان أدهى وأمر ، فقد ارتكب الايطاليون هم الآخرون جرائم فظيعة جدا في حق الليبيين ،عبرت بحــق وصدق عن بشاعة الايطاليين و قساوة قلوبهم التي أصبح يضرب بها المثل في القســاوة ، فكنــا ونحــن صغارا نسمع أمهاتنا عندما يعبرن عن قساوة قلب إنسان يقلن :**(قلبه مثل الطلياني)**. ومما يدل على هــذه القساوة تلك المجازر التي ارتكبها الايطاليون ضد الليبيين عقب الاحتلال مباشرة وذهب ضــحيتها الآلاف من الأبرياء، وبذلك كذبت مزاعم الايطاليين الذين كانوا يقولون أن هدف حملتهم على ليبيــا يتمثــل فــي تخليص الليبيين وتحريرهم من الاحتلال التركي ، وعبثا حاول الاستعمار إقناع جنــوده بــأنهم أصــحاب رسالة سامية. .يقول الجنرال الايطالي **رودولفو غراسياني** في كتابه (**نحو فزان**):

((إن الجنود الايطاليين كانوا مقتنعين بأنهم هم الأمة المسيطرة التي تقوم بتأدية رسالة سامية من رسالات الحضارة.. وأنهم لم يأتوا للاستغلال، ولكن لتحسين حالة البلاد، وأن الإيطاليين لا بد أن يقوموا بهذا الواجب الإنساني بأي ثمن... فيجب إخضاع الشعب الليبي طواعية للاستعمار الإيطــالي ولعــادات وقوانين إيطاليا، وإذا لم يقتنع الليبيون بذلك فإن الإيطــاليين سيخوضــون صــراعًا مســتمرًا معهــم، ويستطيعون تدمير الشعب الليبي كله للوصول إلى السلام.. ولكنه سلام المقابر!!)) [1].

ومع بداية الاحتلال أصدر قائد الحملة الجنرال((**كارلو كانيفا**)) بيانا باللغة العربية موجها إلى سكان طرابلس جاء فيه : ((**ماذا يصدكم عن القدوم إلينا ؟ أما يهمكم رعي مواشيكم وتعاطي تجارتكم آمنين ؟ نحن أصحاب دين من أهل الكتاب وأحرار ، واعلموا أنى دولة إيطاليا المعظمة قد أصبحت لكــم بمقــام الوالد بعد أن أخذت أمكم وهي طرابلس الغرب، فأقدموا إلينا بلا خوف ، وبكل الأمان ، ونحن نؤكد أنه ليس من يؤذيكم ولا من يسيء إليكم أو يضركم بأدنى شيء، فإن المال لا يذكر ، واعلموا أن كــل مــن يأتي إلينا ببارودته مع المهمات نحسن إليه بعشرين فرنكا مع كيس قمح أو شعير كيفما شــاء ، أمــا رؤساؤكم الدينيون والسياسيون فإن الحكومة الإيطالية تقبلهم وتؤيدهم بالصفة التي كانوا عليها قبلا ، بل يعين لهم رواتب ومعاشات وناهيكم أن الكلام واحد والله سبحانه وتعالى كريم ، فاطلبوا إليــه عــز وجل أن يفتح عيون عقولكم لتعرفوا الحق وهو يخلصكم**)) [2].

---

[1] مصطفى عاشور ،((**الاستقلال الليبي رابطة إسلامية وجهود شعبية**)) ، مقال بمناسبة ذكرى استقلال ليبيا ، 10ربيع الثاني 1367هـ موقع إسلام أون لاين ، بتاريخ 2008/11/01 .

[2] محمود عامر ، تاريخ ليبيا المعاصر، دمشق ، منشورات جامعة دمشق، 1991 ، ص 52 .

عمر المختار في مواجهة الإيطاليين :

عندما بدأ الاحتلال الايطالي لليبيا كان عمر المختار متواجدا في واحة **جالو** فاتجه مسرعا نحو زاوية القصور بالجبل الأخضر وأمر بتجنيد كل من كان قادرا على الجهاد من قبيلة العبيد التابعة لزاوية القصور ، فلم يتردد السكان في تلبية النداء الذي وجهه إليهم، واستعدوا معنويا وماديا ، مما يدل دلالة واضحة على قوة الثقة التي كانت بين عمر المختار وأهل القصور من جهة، ومدى رفض هؤلاء للاستعمار الايطالي من جهة أخرى . واستطاع عمر المختار في ظرف قياسي أن يجند أكثر من ألف مقاتل سار بهم لمقاتلة العدو، وذلك ثلاثة أيام قبل حلول عيد الأضحى ولم ينتظر حضور فرحة العيد مع أهله،بل إنه قضى يوم العيد في الطريق وتبرع للجنود بالذبائح من ماله الخاص [1].

وصل المجاهدون وفي مقدمتهم الشيخ عمر المختار إلى معسكر المجاهدين في منطقة بنينة ، وفرح المجاهدون بمقدمهم فرحا عظيما ، ثم أنهم شرعوا في مهاجمة العدو الايطالي بصفة مستمرة وتمكنوا من أن ينزلوا به الهزائم المتكررة ويرغمونه على التراجع في عدة مواقع ،بل إنهم استطاعوا أن يغنموا غنائم كبيرة . وبصف أحد المجاهدين - الذي كان قريبا من عمر المختار في معركة السلاوي عام 1911- بعض أحداث هذه المعركة قائلا: ((...**وقد فاجأنا العدو فقابله من المجاهدين الخيالة، بينما كان العدو يضربنا بمدافعه الرشاشة واضطررنا للنزول في مكان منخفض مزروع بالشعير ، وكانت السنابل تتطاير بفعل الرصاص المنهمر ، فكأنها تحصد بالمناجل، وبينما نحن كذلك إذ رأينا مكانا منخفضا أكثر من المكان الذي نحن فيه ، وأردنا أن يأوي إليه السيد عمر المختار بسبب خوفنا عليه فرفض بشدة حتى جاءه أحد أتباعه يدعى السيد الأمين ودفعه بقوة إلى المكان الذي اخترناه لإيوائه ، وحاول الخروج منه فمنعناه بصورة جماعية** ...)) [2].

ومما يذكر عن عمر المختار أنه منذ الوهلة الأولى التي واجه فيها الايطاليين أثار إعجاب الضباط الأتراك الذي شاركوا في معركة السلاوي فاندهشوا لشجاعته وللآراء السديدة التي تصدر عنه وكأنما تصدر عن أحد القادة الذين تخرجوا من كلية عسكرية، ولعلهم كانوا يجهلون الدور الذي قامت به الحركة السنوسية في تربية مريديها وإعدادهم إعدادا كاملا حتى يكونوا مستعدين لمواجهة الاحتمالات الممكنة ومن بينها احتمال التدخل الاستعماري الذي كان يتوقعه الشيخ المؤسس محمد بن علي السنوسي.

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 528 .

[2] محمد الطيب الأشهب ، المصدر السابق ، ص6 .

وهكذا وفي ظل استعدادات العالم للحرب العالمية الأولى ، وعلى حين غفلة من العـــرب والعثمـــانيين تمكن الايطاليون من بسط نفوذهم على مناطق مختلقة من ليبيا . وفي هذا الصدد يذكر الجنرال الايطـــالي **رودولفو** "**غراسياني** " (GRASYANI) في كتابه (**برقة الهادئة**)أن القوات الايطالية قد استطاعت في شهر أوت 1913 أن تتغلب على المقاومة الليبية بقيادة أحمد الشريف السنوســـي فـــي معـــارك بمنطقـــة جريدينة، وتمكنت من إلحاق الهزيمة بالثوار الذين وصل عددهم إلى ألف مقاتل [1].

فيما بين 15-1913/09/16 نجحت المقاومة الليبية – بعد أن جمعت شـــتاتها – فـــي أن تنـــزل بالقوات الايطالية هزيمة كبيرة في منطقة القصور وتكناس وتكبدهم خسائر فادحة في الأرواح والمعـــدات وقتل خلالها الجنرال **توريللي**. وبعد هذه الهزيمـــة احتـــل الايطـــاليون منطقـــة ســـيدي رافـــع بالجبـــل الأخضر(**يعتبر من التراث الإسلامي المقدس**) . وفي 06/10/ 1913 تمكنوا من وضـــع أيـــديهم علـــى معسكر بوشمال ذو الأهمية الكبرى ، كما أنهم في 1914/02/15احتلوا وادي العرقوب الذي يعتبر معقـــلا للثوار [2] .ويلاحظ أنه خلال هذه الفترة كان العالم على موعد مع الحرب العالمية الأولى ،التي كانت البلاد العربية – ومن بينها ليبيا – مسرحا لوقائعها وجبهة فسيحة من جبهاتها ، وكانت دول الوفـــاق (**فرنســـا** ، **بريطانيا** ، **روسيا** ، **ايطاليا**) تعمل بشتى الوسائل والأساليب لكسب ود العرب وإقناعهم بضرورة المشاركة معها في هذه الحرب . ومهما يكن من أمر فإن العرب (مشرقا ومغربا) شاركوا في هذه الحرب واختلفت مشاركتهم بين الطوع والكره وكانت ليبيا – باعتبارها امتدادا لشمال إفريقيا – ضمن الدول التي أرغمـــت على المشاركة، ووضعت إمكانياتها المختلفة في خدمة أغراض الحرب.

كان عمر المختار في معاركه الأولى ضد الايطاليين ملازما للشيخ أحمـــد الشـــريف السنوســـي ويلتزم كل الالتزام للتوصيات والتوجيهات التي كان يصدرها من حـــين لآخـــر ، وبعـــد هجـــرة الشـــيخ ومغادرته ليبيا للظروف التي سبق ذكرها لازم عمر المختار الشيخ محمد إدريس السنوسي الذي كان قـــد تربى على يديه ونهل من معين علمه وأخلاقه وكان يرى فيه القدوة في مختلف أموره ، بل ويقدمه حتـــى على الأقربين .كل ذلك كان أداء للواجب الذي كان يشعر به في كل لحظة ،فهو يرى أن فضل السنوســـية ومشايخها عليه كبير. وعندما هاجر الإمام محمد إدريس السنوسي إلى مصر – كما سبق وأن عرفنـــا – كان عمر المختار قد تولى أمر القيادة العسكرية بالجبل الأخضر ، وأخذ يعمل على تهيئة النفوس وإعدادها لمجابهة العدو . وبدأ نشاطه بتلك الجولات التي قادته إلى مناطق مختلفة للاتصال بالأهالي وزعمائهم بـــل

---

[1] غراسياني رودولفو ، برقة الهادئة ، ترجمة: إبراهيم سالم بن عامر ، بنغازي ،ليبيا ،/ دار مكتبة الأندلس ، بدون تاريخ ، ص 5.

[2] نفســـــــــــــــه ، ص ص 6-7.

وبالأفراد ودعوتهم لمقاتلة العدو ورفض وجوده، كما أنه فتح باب التطوع للجهاد على مصراعيه، فأقبل الليبيون من مختلف المناطق للانضمام لحركة الجهاد تحت لواء عمر المختار الذي وضع فيه المجاهدون كل الثقة ، و كان أثناء حركته الجهادية ترافقه لجنة مكونة من أعيان وشيوخ القبائل **(البراغيث،الحرابي ، المرابطين)** [1]. وكانت هذه اللجنة بمثابة المجلس الاستشاري الذي يعود إليه الشيخ في المسائل الهامة.

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918 وانتصار دول الوفاق ومن بينها ايطاليا التي وجدت نفسها أنها لم تنصف في غنائم الحرب، وأن معظم الغنائم استأثرت بها فرنسا وبريطانيا وتجلى ذلك واضحا من خلال مؤتمر باريس (1919) والمعاهدات التي تمخضت عنه ، فخرجت ايطاليا مغاضبة من هذا المؤتمر وراحت تصب جام غضبها على شعوب مستعمراتها وخاصة الشعب الليبي، لاسيما وأن ايطاليا في هذه الفترة(1922) شهت تغيرا ملحوظا على الساحة السياسية حيث اعتلى الحكم الدكتاتور موسوليني ،الذي عقد العزم على إعادة الاعتبار لايطاليا من خلال توسيع مجالها الحيوي وهذا يعني أنه لابد من التشبث بالمستعمرات .

أصدر الايطاليون في 1919 دستورا خاصا بالليبيين ،غير أن الليبيين رفضوا الاعتراف.بهذا الدستور باعتباره يتعارض مع السيادة الليبية، فازداد بذلك قلق السنوسيين لأن الدستور المذكور يكرس فكرة الاعتراف بالاحتلال الايطالي، وكان رد الفعل ظهور النشاط الجهادي من جديد وإعلان الشعب عداءه للايطاليين.

سعيا نحو امتصاص غضب السنوسيين أعلنت الحكومة الايطالية عن نيتها في إيجاد حل للمشكلة الليبية ، وأبدت استعدادها لإعطاء ملايين المراسيم والشهادات المشرفة للسنوسيين مقابل أن يمتنعوا عن قيادة الشعب نحو الجهاد .وانتهى الأمر بعقد اتفاقية الرجمة في 1920/10/25 والتي تمكن الايطاليين من بسط نفوذهم على برقة، يقول "**غراسياني**" في كتابه برقة الهادئة : ((...**ولكن تلاعب السنوسيين وفساد عقيدتهم أفسد الاتفاقية منذ توقيعها**...)) [2]. وهكذا هو الاستعمار في كل عصر ومصر ، يرى كل مقاوم له مفسدا، وخاصة إذا تعلق الأمر بالحركات الإصلاحية وأصحاب الطرائق الصوفية الرافضة الاستعمار.

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 529.

[2] غراسياني رودولفو ، المرجع السابق، ص 10.

عمر المختار في مصر :

في سبيل توثيق الصلة بشيخه محمد إدريس السنوسي واطلاعه على مستجدات الوضع وأخذ رأيه فيها ، سافر الشيخ عمر المختار سنة 1923 إلى مصر بعد أن ترك أصحابه ورفقاء دربه في منطقة بئر الغبي على أمل أن يعود إليهم . وعند وصوله إلى مصر التقى بالشيخ محمد إدريس السنوسي ، وقد كان الشيخ المختار عظيم الولاء للسنوسية وزعمائها وشيوخها ، ومما يؤكد ذلك أنه أثناء تواجده في مصر حاول جماعة من قبيلة المنفة – وهي القبيلة التي ينتمي إليها عمر المختار - مقابلته ، فسألهم إن كانوا قد سعوا لمقابلة الشيخ محمد إدريس السنوسي ؟ فأجابوا بالنفي . واعتذروا إليه بأن الظروف لم تسعفهم للقيام بهذا الإجراء ، فرفض مقابلتهم قائلا لهم : ((**وكيف تظهرون لي العناية وتحضرون لمقابلتي ،وأنتم الذين تركتم شيخي الذي هو ولي نعمتي وسبب خيري ، أما وقد فعلتم ذلك فإنني لا أسمح لكم بمقابلتي ولا علاقة من الآن بيني وبينكم**)) [1].وعندما بلغ الشيخ محمد إدريس السنوسي هذا الخبر أمره بمقابلتهم .فأمتثل لأمر الشيخ الأمير[2].

استغلت ايطاليا فرصة وجود عمر المختار في مصر فحاولت عن طريق عملائها في مصر الاتصال بالسيد عمر المختار ، وعرضت عليه استعدادها بأن تقدم له من الأموال الشيء الكثير إذا ما تعهد بأن يتخذ من مدينة بنغازي أو المرج سكنا له تحت الرعاية السامية للحكومة الايطالية، وأنها مستعدة لأن تجعل منه الشخصية الأولى في ليبيا كلها و تتلاشى أمامه جميع الشخصيات الكبيرة التي تتمتع بمكانة خاصة عند ايطاليا في منطقتي طرابلس وبنغازي . واستطردت الحكومة الايطالية بقولها : أنه على عمر المختار إذا أراد البقاء في مصر فما عليه إلا أن يتعهد بأن يكون لاجئا ويقطع علاقته بالسيد إدريس السنوسي ، وتعهدت بأن يكون الاتفاق سريا وأن توفر الضمانات المختلفة له .وقد أكد عمر المختار - عندما سئل عن هذا الأمر - حقيقة ما حدث له وهو في مصر مع ايطاليا، وقال: ((**ثقوا أنني لم أكن لقمة طائبة**(سائغة) **يسهل بلعها على من يريد، ومهما حاول أحد أن يغير من عقيدتي ورأيي واتجاهي فإن الله سيخيبه . ومن(طياح سعد)- أي من سوء حظها - ايطاليا ورسلها هو جهلها بالحقيقة وأنا لم أكن من الجاهلين والموتورين فأدعي أنني أعمل شيئا في برقة، ولست من المغرورين الذين يركبون رءوسهم ويدعون أنهم يستطيعون أن ينصحوا الأهالي بالاستسلام ، إنني أعيذ نفسي من أكون في يوم من الأيام مطية للعدو وأذنابه ، فأدعو الأهالي بعدم الحرب ضد الطليان، وإذا -لا سمح الله – قدر علي بأن أكون موتورا فإن أهل برقة لا يطيعون لي أمرا يتعلق بإلقاء السلاح ،إنني أعرف أن قيمتي في بلادي إذا ما كانت لي قيمة أنا وأمثالي فإنها مستمدة من السنوسية))** [3].

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 8.
[2] محمد الطيب الأشهب ، السنوسية دين ودولة ، ص 271 .
[3] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص 58 .

لقد استمر الايطاليون في محاولاتهم الهادفة إلى ثني عمر المختار عن عزمه وظلوا يعرضــون عليــه المناصب الرفيعة ، وحاولوا استمالته بالمال الطائل والجاه العريض في ظل حياة رغيدة ناعمة ولكــنهم – مع هذا كله- لم يفلحوا في الحصول على رغبتهم، باعتبار أن عمر المختار كان رجل عقيــدة وصــاحب دعوة ومؤمنا بفكرة استمدت أصولها وتصوراتها من كتاب الله تعالى وسنة نبيه r [1]. وكــأني بعمــر المختار بهذا الموقف يذكرني بالشاعر أحمد شوقي الذي تأثر كثيرا للمجازر التي ارتكبها الفرنســيون فــي حق أهل دمشق فكتب قصيدة يصف فيها هذه المجازر ويدعو الســوريين بــأن لا يتعللــوا بالأمــاني وأن يرفضوا المناصب التي تعرض عليهم من طرف الاستعمار فيقول :

بني سورية اطرحوا الأماني والقوا عنكم الأحلام ألقوا

فمن خدع السياسة أن تغروا بألقاب الإمارة وهي رق[2]

أثناء تواجده بمصر وقبل عودته_إلى برقة_لمواصلة الجهاد اجتمع به بعض مشايخ قبيلته الموجــدون بمصر من المتقدمين في السن وحاولوا أن يثنوه عن عزمه بدعوى أنه قد بلغ من الكبــر عتيــا ، وأنــه باستطاعة السنوسية أن تجد قائدا غيره لتزعم حركة الجهاد في برقة ، فغضب غضبا شديدا ، وكان جوابه قاطعا فاصلا فقد رد عليهم قائلا: ((**إن كل من يقول لي هذا الكلام لا يريد خيرا لي ، لأن ما أسير فيــه إنما هو طر يق خير ولا ينبغي لأحد أن ينهاني عن سلوكها، وكل من يحاول ذلك فهو عدو لي**)) [3] .

عمر المختار يستأنف الجهاد ضد الايطاليين :

أثناء تواجده بمصر اتفق عمر المختار مع إدريس السنوسي على تفاصيل الخطة التــي ينبغــي أن يتبعها المجاهدون لمواجهة الاحتلال الايطالي الغاشم ،ونصت الخطة كذلك على أن يتولى عمــر المختــار قيادة المجاهدين في ميادين القتال ،بينما يبقى السيد السنوسي في مصر ليقود العمل السياسي .وبعــد هــذا الاتفاق عاد عمر المختار إلى برقة ليشرع في تنفيذ الخطة المذكورة ،وفي طريقه إلى برقة مــر بمنطقــة السلوم في غرب مصر فوجد بعض رفقائه في انتظاره ،فــأخذ الجميع حاجتهم من المؤن الكافية لرحلتهم إلى الجبل الأخضر وغادروا السلوم إلى برقة [4].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 531 .

[2] حلمي علي معروف ، شوقي وقضايا العصر والحضارة ، بيروت ، دار النهضة العصربة، الطبعة الثانية، 1981، ص 291 .

[3] محمد الطيب الأشهب ، السنوسية دين ودولة ، ص 271 .

[4] نفســـــــــــــــــــه ، ص 273 .

إن المنطقة المسماة بالجبل الأخضر والتي اتخذ منها عمر المختار منطلقا للعمليات الثورية الجهادية ضد الايطاليين تعتبر بمثابة الأوراس في الجزائر،فقد كانت من أهم الحصون التي تحصن بها المجاهدون ، ويصفها المؤرخ الليبي الطاهر أحمد الزاوي بقوله : ((**تلك المروج الخضراء ، والجنان ذات الظلال الوارفة الممتدة من سهول مدينة بنغازي إلى الشرق على مسافة 400 كلم تقريبا . وحيث ما توجهت في الجبل الأخضر وقع نظرك على مروج خضر... وأرض مغطاة بأنواع الأشجار، من الزيتون والصنوبر والغار والأس والأرز والدفلى ...وأنواع من الورد البري الأبيض والأحمر...وعلى طول الجبل من ناحية ساحل البحر تجد من الأنهار الجارية، والعيون النابعة،ما يخجل لصفائه نيل مصر، وبردى دمشق**)) [1].وباختصار فإن الجبل الأخضر هو لبنان ليبيا .

أصر عمر المختار على البقاء في أرض الوطن مهما كلفه الأمر، وقد كان يدرك بأن الايطاليين سوف لن يضيعوا أية فرصة تتاح لهم للقضاء عليه ،إلا أن ذلك كله لم يزده إلا ثباتا وعزما شديدا على مواصلة الجهاد ، وعندما نصحه البعض بمغادرة البلاد – حرصا على حياته – فكان رده : ((**لا أغادر هذا الوطن حتى ألاقي ربي ، والموت أقرب إلي من كل شيء فإني أترقبه بالدقيقة** ...)).وطلب منه بعضهم أن يترك ساحة الجهاد ويذهب إلى الحج قال: ((**لن أبرح هذه البقعة حتى يأتي أمر ربي ، وأن ثواب الحج لا يفوق ثواب دفاعنا عن الوطن والدين والعقيدة**))[2]. وكأن الشيخ عمر المختار بهذا الموقف يتمثل بعبد الله بن المبارك العابد المجاهد الذي كان مرابطا في الثغور ببلاد الشام يجاهد في سبيل الله فبعث إلى الفضيل بن عياض – وكان الفضيل يتنقل متعبدا بين الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة - فقال له :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم وريحنا رهج السنابك والغبار الأطيب [3].

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي ، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا ، بيروت ، دار المنار الإسلامي ، الطبعة الثانية ، 2004، ص 26.

(2) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص532 .

(3) شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، الجزء الثامن ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1982 ، ص 364 .

معركة بئر الغبي :

تعتبر هذه المعركة أول المعارك التي قادها شيخ المجاهدين عمر المختار وحقق فيها نصرا عظيما على الطليان ، وكانت في 05 رمضان1342هـــ الموافق ل 23أفريل1923م،وقد وقعت في منطقـــة بئـــر الغبي على بعد 80 كم جنوب طبرق قريبا من نواجع قبيلة الشبيهات .حيث كان عمر المختار متوجهـــا مع بعض المجاهدين إلى منطقة الجبل الأخضر وأثناء فترة الاستراحة تفـــاجئوا بعـــدد مـــن المصـــفحات الايطالية تعترض طريقهم ، وكانت متكونة من سبع سيارات – والراجح أن ذلك كان بفعل وشاية قام بهـــا أحد العملاء – وعليه فقد شعر المجاهدون بالقلق الشديد وأحسوا أنهم أحيط بهم إذ أنهم لم يكونوا يتوقعون مجيء الايطاليين كم أنهم لم يكونوا قد سمعوا بهجومهم على معسكرات السنوسية واحتلال في أجدابيا .

يصف عمر المختار هذه المعركة بقوله : ((...**فأخذنا نستعد في هدوء ، والسيارات تدنو منا فـــي سير بطيء ، فأراد علي باشا العبيدي أن يطلق الرصاص من بندقيته ولكني منعته قائلا : لابد أن تتحقق قبلا من الغرض ونعرف شيئا عن مجيء هذه السيارات كي لا نكون البادئين بمثل هذه الحوادث ، وبينما نحن في أخذ ورد وإذا بالسيارات تفترق في خطة منظمة المـــراد منهـــا تطويقنـــا، وشـــاهدنا المـــدافع الرشاشة مصوبة نحونا ، فلم يبق هنا أي شك فيما يراد بنا فأمطرناهم وابلا من رصاص بنادقنـــا ، وإذا بالسيارات قد ولت الأدبار إلى منتجع قريب منا وعادت مسرعة تحمل صوفا ليتحصنوا به من رصاصـــنا وبادرنا بطلق الأعيرة النارية، وفي أسرع وقت انجلت المعركة عن خسارة الطليان، وأخذت النار تلـــتهم السيارات إلا واحدة فرت راجعة،وغنمنا جميع ما كان معهم من الأسلحة**)) [1] .

لقد كان الانتصار الذي حققه المجاهدون في معركة بئر الغبي حافزا لهم على أن يخوضوا الجهـــاد بعزيمة قوية في مناطق أخرى . وعليه فقد اتجه المجاهدون مباشرة بعد هـــذه المعركـــة نحـــو الجبـــل الأخضر ، ووصلوا إلى زاوية القطوفية وقابلهم صالح الأطيوش والفضـــيل المهشـــهش وأطلعهـــم عمـــر المختار على تفاصيل معركة بئر الغبي وأطلعوه من جهتهم على تفاصيل معركة البريقة . بعد ذلك واصل سيره إلى جالو لمقابلة السيد محمد رضاالسنوسي(أخ محمد إدريس السنوسي) ليبلغه التعليمات التي أخذها من سمو الأمير محمد إدريس السنوسي .وخلال اللقاء الذي جمعه بالسيد محمد رضا اتفقـــا علـــى تنظـــيم حركة الجهاد وإنشاء معسكرات الجهاد في الجبل الأخضر . وعليه عاد عمر المختار إلى منطقـــة الجبـــل الأخضر وشرع في تشكيل معسكرات المجاهدين وكانت هذه المعسكرات من الدقة بمكان، مما يدل دلالـــة واضحة أنه كان على دراية بالأمور القتالية وكأنه تخرج من كلية حربية . وكان يمثل القائد العـــام لهـــذه المعسكرات ، وكان يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة من أمور القتال ،فهناك الإمداد الذي يصل من

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص 64 .

مصر ، وهناك الاتصال المستمر الذي يجب أن يقوم به في صفوف المجاهدين فـــي مختلــف المنـــاطق ، وهناك الأموال التي تجمع لتأمين حاجات المجاهدين من أكل وذخيرة وسلاح وهذا كلـــه يتطلـــب مقـــدرة وصبر ودهاء [1].

انطلاقا من الجبل الأخضر راح الشيخ عمر المختار ينظم المجاهدين الذين كثر عددهم ، وتم تقسمهم إلى عدة معسكرات ودوريات أهمها :

أ- معسكر العبيد : ويتكون من 800 مقاتل وتقع مخيماتهم قرب (بوقال)، ويمتلكون نحو 1500بندقية .وقد عين عمر المختار على هذا المعسكر يوسف بورحيل المسماري .

ب- معسكر البراعصة : ويتكون من 450 مسلح بالإضافة إلى 600 آخرين مكلفون بالدفاع عن المخيمات. وتوجد خيامهم في منطقة (جردس جراري) . وقد عين على هذا المعسكر حسين الجويفي .

ج- معسكر العواقير : ويعتبر من أهم المعسكرات والدوريات ، ويتكون من نحو 2000 مقاتل ويتوزع على المنطقة الممتدة من الحمدة شرقا إلى سيدي سلطان غربا.

يقول الجنرال الايطالي"**غراسياني**"(Grasyani): ((**كل هذه التنظيمات أعدها عمر المختار - الذي يعتبر محي ومرتب الثورة - ضد حركتنا وقواتنا مع قوة الشعب(3000مقاتل) أعدها لمقاتلتنا**)) [2] .

سعيا منهم لمواجهة الخطة الذي وضعها عمر المختار عمل الايطاليون على تنظيم أنفسهم هم الآخرون ، وذلك بتعيين الجنرال **مومبيلي** حاكما للمستعمرة (ليبيا) خلفا للجنرال **بون جواني** ، فواصل تنفيذ الخطة التي كان قد بدأها هذا الأخير ،واشتدت حملات الايطاليين على الجبل الأخضر واستطاعوا أن يحتلوا مناطق متفرقة منه . وتمكنوا من تدمير عدة معسكرات واستحوذوا على عدد كبير من المواشي والأغنام ، وكان لهذه التطورات أثرها السلبي على المستعمرة كلها[3]، و لم يمض إلا وقت قليل حتى تمكن الايطاليون من احتلال الجغبوب التي تعتبر أهم قلاع الحركة السنوسية .

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، عمر المختار شيخ الشهداء ، ص 52.
[2] غراسياني رودولفو ، برقة الهادئة ، ص ص 18-19 .
[3] نفســــــــــــــــــه، ص 20.

_احتلال الجغبوب :

بعد أن استعصى عليهم مواجهة المجاهدين في منطقة الجبل الأخضر وجه الايطاليون جهودهم نحو احتلال منطقة الجغبوب ،واعدوا لهذا الأمر حملة واسعة النطاق ،وظنوا أنهم بهذا العمل سينالون من معنويات المجاهدين ، ومهدوا لذلك فأنشأوا المطارات التي تساعدهم في عملياتهم العسكرية وذلك بمراقبة المجاهدين وتحركاتهم عبر الحدود المصرية الليبية ، وكانت ايطاليا تتوقع أن ينزل عمر المختار وجنوده من الجبل الأخضر للدفاع عن الجغبوب، فراحت القوات الايطالية تشغله عن ذلك وتناوشه في الجبل الأخضر بمطاردات مستمرة ، في حين توجهت قواتهم إلى منطقة الجغبوب . وألقت طائرتهم منشورات على المدينة داعية أهلها إلى الاستسلام إلا أن أهل الجغبوب كانوا قد رحلوا عنها فدخلتها القوات الإيطالية في 1926/02/08 دون أية مقاومة [1] .

ويذكر الجنرال **غراسياني(Grasyani)**في كتابه **برقة الهادئة** أن الحملة الايطالية على الجغبوب بدأت في منتصف ليلة 1926/01/30 فقد تحركت القوات الايطالية بقيادة الكولونيل **رونتكي** من أمساعد ، وكانت تتكون من نحو91 ضابطا و 731 جنديا ايطاليا و 646 عسكري اريتريا وصوماليا و36 مدرعة آلية و 300 ناقلة جنود ميكانكية و115دابة من إبل وخيل وبغال و4مدافع جبلية و60 مدفعا رشاشا[2] .

كان لسقوط الجغبوب – باعتبارها المركز الروحي للحركة السنوسية – على أيدي الايطاليين أثـره البالغ على نفوس المجاهدين بصفة عامة والشيخ عمر المختار بصفة خاصة ،لاسيما وأن الايطاليين خلال هذه الفترة حاولوا تفكيك وحدة المجاهدين وزعزعة صفهم وذلك بالعمل على استمالة زعمائهم بالأمـاني والوعود الكاذبة من جاه ومال ووعود بالعفو. وعليه فقد راح الشيخ المجاهد يعمل على وضع خطة جديدة تمكنه من تفويت الفرصة على العدو ،فدخل مع الايطاليين في معارك طاحنـة (جـانفي 1927)، وكانـت منطقة الجبل الأخضر مسرحا لهذه المعارك .وبعد ذلك رأى أنه من الناحية الإستراتيجية ينبغـي تحويـل الحرب إلى منطقة جبل العبيد ، وذلك بما توفره هذه المنطقة من إمكانات التجمع وإعادة التنظيم والاستفادة من المراعي الخصيبة [3] .

ظل عمر المختار يشن الغارات والهجمات على منطقة درنة وما حولها حتى أرغم الطليـان علـى الخروج لمواجهته ، فاشتبك معهم في معاركة شديدة دامت يومين حقق خلالهـا نصـرا كبيـرا علـى الايطاليين وجعلهم يفرون تاركين وراءهم عددا من السيارات والمدافع الجبلية وصناديق الذخيرة والجمـال ودواب النقل [4].

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص 62 .

[2] رودلفو غراسياني، المرجع السابق ، ص 21 .

[3] عز الين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص 62 .

[4] محمود شلبي ، حياة عمر المختار ، بيروت ، دار الجبل ، الطبعة الرابعة ، 1962 ، ص 114.

تلقى الشيخ عمر المختار خلال هذه الفترة مساعدة كبيرة من طرف القبائل المختلفة ، التي تضامنت تضامنا كبيرا مع حركة الجهاد ، بما فيها تلك القبائل التي تبدو في الظاهر أنها موالية للاحتلال الايطالي، من بينها قبيلة المسامير التي راح شيخها **حامد عبد القادر المبروكي** يمد الشيخ عمر المختار بالمعلومات المهمة دون تأخر ولا تردد ، بل وكان يشارك مع أبناء قبيلته في العمليات الجهادية على حين غفلة من الطليان . وفي نفس الوقت كان زعماء القبائل التابعين للحركة السنوسية يجمعون الزكاة والأعشار ويدفعونها لحركة المقاومة الجهادية ، رغم وجود الكثير منهم تحت السلطات الايطالية ، وخاصة في المدن الكبرى كبنغازي وطبرق ودرنة وغيرها . وكانت هذه الإمدادات تتم في غاية السرية، وعجزت مخابرات العدو عن اكتشاف لجان الدعم المالي للمجاهدين ، وكانت الغنائم تمثل مصدرا هاما لتمويل العمل الجهادي الذي يقوده عمر المختار [1].

بالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت كل عائلة تقوم بتزويد ممثليها من المجاهدين بما يلزم من أمور الجهاد كالسلاح والملابس والغذاء وترسل ذلك شهريا إلى المعسكر الذي يتواجد فيه المجاهدون الذين يمثلونها .ومن جهته فقد كان الأمير محمد إدريس السنوسي المتواجد في مصر يتحين الفرص ويقوم بتزويد المجاهدين. فقد ذكر محمد الطيب الأشهب : ((**أن قافلة قدمت من مصر محملة بالأرز والدقيق والسكر والشاي وبعض الملابس ...))** [2].

وذكر صاحب كتاب: **(حياة عمر المختار)** أن القافلة المذكورة خرجت من السلوم في مصر محملة بمختلف العتاد والمؤن ، قاصدة معسكر المجاهدين في الجبل الأخضر ، فعلم الطليان - عن طريق عملائهم – بذلك وأرسلوا سياراتهم المسلحة لاعتراض القافلة ، ولكن المجاهدين كانوا لهم بالمرصاد فقد أطلقوا الرصاص على سيارات العدو وأصابوا عجلاتها فتعطلت عن الحركة ، وعندها انقض المجاهدون على القوات الايطالية وتمكنوا من إبادتها والقضاء علي أفرادها جميعا [3].

سعيا منه لمواجهة تحديات المرحلة القادمة عمل عمر المختار على تنظيم قواته تنظيما عسكريا محكما مما يدل دلالة واضحة على أن الشيخ القائد كان يدرك أهمية الأمور التنظيمية ودورها في تحقيق الأهداف المسطرة . وأهم ما تميزت به التنظيم العمري في هذا المجال :

1 – أن كل دور يلتزم بتوفير التموين اللازم لأفراده ، فهم مع كونهم يشتركون في عمل واحد يمثلون عشيرة واحدة ، وكل دور يوجد به أفراد مكلفون بجباية الزكاة وجمع الأعشار،وهؤلاء يقومون بهذا العمل بتكليف كتابي من عمر المختار . وكان لكل دور رئيسا يشرف على إدارة شؤون هذا الدور.

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص 91.
[2] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 79 .
[3] محمود شلبي ، المرجع السابق ، ص ص 117- 118.

2 – يقوم كل دور أو معسكر بتعويض الشهداء بآخرين من قبائلهم حتى يبقى المعسكر محافظا على عدد أفراده ، وعليه فبعد كمل معركة تتم عملية حصر الشهداء ثم تتم عملية تعويضهم .

3 – كان التنافس على أشده بين القبائل في تقديم التضحيات والبطولات حتى تبرهن كل منها على مدى وفائها. وصدق إخلاصها للعمل الجهادي ، وحتى لا تكون موضع سخرية أمام القبائل الأخرى. وكان الواحد من المجاهدين إذا فاتته فرصة المشاركة في معركة من المعارك يبدي تأسفه وحسرته على ذلك ولن يرتاح له بال حتى تأتي معركة جديدة فيشارك فيها بكل قوة ، كما حدث للمجاهد إبراهيم الفيل العربي الذي لم يشارك في معركة بلال فحزن حزنا شديدا، وعندما وقعت معركة البريقة شارك فيها وأبلى البلاء الحسن حتى سقط شهيدا[1].

4 - كان كل معسكر يعمل على ضمان الحماية اللازمة لعناصره عن طريق الدوريات و الرباطات التي أنشأها لهذا الغرض والتي تقوم بمراقبة تحركات القوات الايطالية أو أي تحركات غير عادية . وكان الأهالي الموجودون داخل المدن كثيرا ما يتعاونون مع هذه الدوريات ويقدمون لهم معلومات عن تحركات الايطاليين ، الأمر الذي يعرضهم للعقوبة التي تصل إلى حد الإعدام كما حدث مع **سليمان ابن سعيد العرفي** الذي اتهمته القوات الايطالية بالتعاون مع المجاهدين وحكمت عليه بالإعدام شنقا .

ومما يلاحظ بالنسبة لنظام الأدوار والمعسكرات الذي أوجده عمر المختار أنه كـــان مقتبســـا مـــن النظام العسكري العثماني إذ أن كل دور عبارة عن و حدة عسكرية وإدارية واجتماعية ويرأسها قائم قـــام يساعده قوما ندان أو أكثر حسب حجم الدور ، بالإضافة إلى القائم قام والقوما ندان هناك رتب بكباشـــي ، يوزباشي ، ملازم أول ، ملازم ثاني ،كوجك ضبط ، شاوش ، ، أمباشي.وكانت الترقيات تتم على أســـس ميدانية بناء على ما يقدمه الشخص من أعمال وبطولات في ميادين المعارك والمواقف الدقيقة[2].

في ظل هذا النظام المحكم واصل عمر المختار وإخوانه المجاهدون عملية المقاومة وخاضـــوا عدة معارك ضد الايطاليين كانت من أهمها معركة الرحيبة جنوب شرق المرج بتـــاريخ 28 /1927/03 ، فقد تمكن الشيخ عمر المختار ومن ورائه المجاهدون من تطويق القوات الايطالية التـــي كـــان يقودهـــا **(الماجور ياسي)** والمتكونة من 12 ضابطا و741 جنديا .ونجح المجاهـــدون فـــي توجيـــه ضـــربات موجعة وقاتلة لقوات العدو ، وحدث الاشتباك بين الفريقين وصل إلى حد استعمال السلاح الأبيض والـــتحم الجسد بالجسد ، وشاع الاضطراب في صفوف العدو والسعيد السعيد من نجا بنفسه مـــن القتـــل وكانـــت النتيجة أن خسر الايطاليون عددا معتبرا من قواتهم من بينهم مقتل ستة ضباط ونحو 340جنديا . وقد

---

(1) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص541 .

(2) عقيل محمد البر بار ،عمر المختار نشأته وجهاده ، طرابلس ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، جامعة قار يونس ، كلية الآداب والتربية ، 1981، ص ص 100- 106 .

اعترف والي برقة الايطالي الجنرال **تيروتسي** بالهزيمة النكراء وبالخسارة الفادحة، وتبين للطليان ساعتها أن المجاهد العربي الليبي ينافح ويدافع عن أرضه ودينه وذلك ما يشد من أزره وقواته ويجعله يستهين بالموت في سبيل الله ثم في سبيل الوطن والمثل العليا[1].

على إثر هذه الهزيمة التي تلقتها القوات الايطالية في معركة الرحيبة راحت القيادة الايطالية تفكر في كيفية الانتقام من الليبيين ، فأعدوا لهذا الغرض حملة واسعة النطاق تتألف من عدد معتبر من الجنود الذين أوكلت لهم مهمة التوجه نحو منطقة الجبل الأخضر .وخلال هذه الفترة علمت القيادة الايطالية في ليبيا عن طريق جواسيسها بتواجد المجاهدين بمنطقة **أم الشفاتير**، فعقدت العزم على أن تحاصرهم وتقضي عليهم ، وكان عدد المجاهدين يتراوح مابين 1500 و 2000 مجاهد ، بينما كان عدد القوات الايطالية أكثر عددا وعدة تمثلت في 2000 بغل و5000جندي و1000جمل بالإضافة إلى السيارات المصفحة [2].

اتجهت القوات الايطالية نحو المنطقة المذكورة وعندما علم المجاهدون بتقدم قوات العدو نحوهم أعدوا خطة حربية لمواجهتهم ،فحفروا خنادق حول أطراف أم الشفاتير ليستتروا بها. في الوقت الذي أحاطت فيه القوات الايطالية بالمنطقة ، وكان قائد تلك المعركة الشيخ **حسين الجوفي** أحد مستشاري الشيخ عمر المختار والذي كان على دراية بشعاب ودروب المنطقة . ودارت معركة كبيرة بين الطرفين . ورغم شدة بأس العدو الذي استعمل الطائرات في قصف مواقع المجاهدين فقد استبسل المجاهدون في الدفاع والمقاومة، وكانت النتيجة أن استشهد 200 شخص من المجاهدين من بينهم القائم قام **محمد بونجوي المسماري** صهر عمر المختار فبكاه الشيخ بكاء شديدا وقال بعد أن سمع باستشهاده : ((**راحوا الكل ياعين الجيران وأولاد الغلا**)) [3]. بالإضافة إلى الشهداء خسر المجاهدون عددا كبيرا من الإبل والمواشي وحرق العدو عددا معتبرا من الخيام بسبب الغارات الجوية .

تعتبر معركة أم الشفاتير نقطة تحول في مسار حركة المقاومة الليبية ، فقد رأى القادة المجاهدون بعد هذه المعركة ضرورة تبني إستراتيجية جديدة تقوم على أساس تنظيم المجاهدين على هيئة فرق صغيرة تلتحم مع العدو عند الضرورة مما يقلل من عدد الشهداء ويلحق الخسائر الفادحة بالعدو[4] ،وهو ما يعرف بأسلوب حرب العصابات (**اهجم في الوقت المناسب وانسحب في الوقت المناسب**) وهو الأسلوب الذي طبقه المجاهدون الجزائريون خلال حرب التحرير(1954-1962).

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص 68-69 .
[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 544 .
[3] محمد الطيب الأشهب ، برقة العربية أمس واليوم ، القاهرة ، مطبعة الهواري ، بدون تاريخ ،ص 440 .
[4] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 546 .

أدرك عمر المختار بنظره الثاقب ملامح السياسة الجديدة للفاشية الايطالية والمتمثلة في حرب الإبـــادة والتدمير للمصالح والمنشآت المختلفة ، فعمل على ترحيل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ إلى منطقـــة السلوم لحمايتهم من الغارات الجوية الايطالية . وفي نفس الوقت سمح لأحد الأخوان بـــالهجرة للتعريـــف بالقضية الليبية في الخارج ويشكل مصدر إزعاج لايطاليا لدى الرأي العام الدولي عـــن طريـــق تشـــكيل الجاليات الليبية في الخارج[1] .

بعد معركة أم الشفاتير أدرك الايطاليون أنه لا جدوى من الاستمرار في العمليات العســكرية ضـــد المجاهدين الليبيين بعد أن أصبحت القوات الايطالية في حالة شديدة من التعب الذي لا يوصـــف بفعـــل الضربات الموجعة التي تلقتها في المعارك المتواصلة و التي لم يكن الايطاليون يتوقعونها ، إلى درجة أن صرح الزعيم الايطالي موسوليني قائلا : ((**إننا لا نحارب ذئابا - كما يقول غراســياني- بـــل نحـــارب أسودا يدافعون بشجاعة عن بلادهم .. إن أمد الحرب سيكون طويلا**)) [2] .

---

[1] نفســـــــــــــــــه ، ص 546 .

[2] عقيل محمد البربار ، المرجع السابق ، ص 14 .

المبحث الثالث : ثورة عمر المختار في مرحلتها الثانية (1927-1931)

في أواخر 1927 تمكن المجاهدون من القيام بغارات مكثفة على مناطق مرسى بريقة وجالو وأوجلة وأنزلوا بالقوات الايطالية خسائر كبيرة ،و اشتد ت مقاومة المجاهدين في الجبل الأخضر على الرغم من احتلال الطليان للواحات والمراكز الهامة للسنوسية مثل الجغبوب وبرقة .وأمام الإستراتيجية الجديدة التي وضعها عمر المختار أصبح الايطاليون في حيرة من أمرهم إذ لم يعد هناك بد من ضرورة إعادة النظر في خططهم ، الأمر الذي أدى إلى وقوع أزمة كبيرة في الحكومة الايطالية وأصبح الوضع السياسي في ايطاليا مرهونا بتطور الأحداث في ليبيا [1].وهذا ما جعل الحكومة الإيطالية بقيادة **موسوليني** تبحث بصورة جدية عن الوسائل الكفيلة بإخماد حركة المقاومة الليبية ،وترسم السياسة الجديدة التي ترى من الضروري تنفيذها في برقة وطرابلس ، فأعلن **موسوليني** عن توحيد الإدارة في ولايتي برقة وطرابلس ، ثم قام بتعيين **بادليو** حاكما عاما على طرابلس [2].

يعتبر مجيء **بادليو** في جانفي 1929 بداية لمرحلة الجهاد الحاسمة في ليبيا، فمع توليه إدارة شؤون طرابلس وبرقة سارع إلى تنفيذ برنامجه الذي يتلخص في تخفيض عدد الجيش بقدر ما يكفيه للقيام بحرب العصابات ،وراح ينفق الأموال لمد الطرق في منطقة الجبل الأخضر حتى يتمكن من القيام بهجوم كاسح ضد المجاهدين والقضاء عليهم بصفة نهائية ، وفي نفس الوقت عمل **بادليو** على مفاوضة عمر المختار[3].وكانت نية الايطاليين في ذلك كسب المزيد من الوقت والعمل على تقوية المراكز المحتلة

راح **بادليو** يستعمل مع الليبيين أسلوب الترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، فخيرهم بين الاستسلام دون قيد أو شرط أو الإبادة التامة ، وقامت الطائرات الايطالية بإلقاء المنشور المتضمن هذا الخيار على المدن والقرى الليبية ، وظن **بادليو** أنه بهذا الأسلوب سيفرض على الليبيين سياسة الأمر الواقع ، غير أن ذلك لم يزد المقاومة إلا إصرارا وعزيمة على مواصلة الجهاد والتصدي للأساليب الاستعمارية ، فقام المجاهدون بعدة أعمال عسكرية في مناطق مختلفة من البلاد في مارس 1928 قادها **صالح الأطيوش** وغيره من المجاهدين الذين اشتبكوا مع الايطاليين . وأمام القوة الكبيرة التي أعدها الايطاليون انسحب المجاهدون مضطرين نحو منطقة وادي الفارغ [4] .

---

(1) علي محمد محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، ص 549 .
(2) غراسياني رودلفو ، برقة الهادئة ، ص 25 .
(3) محمد الطيب الأشهب ، حياة عمر المختار ، ص 129 .
(4) محمد الطيب الأشهب ، السنوسية دين ودولة ، ص 321 .

على إثر هذه المواجهات اقتنع **بادليو** بضرورة فتح باب التفاوض مع المجاهدين ، وحتـــى يضـــع برنامجه موضع التنفيذ أوعز إلى الكولونيل **باريلا** (حاكم منطقة المرج) فـــي مطلـــع 1929 أن يطلـــب الاجتماع بالسيد عمر المختار للتفاوض في شروط الصلح وحدد موعدا لهذا الاجتماع ، غير أن **باريلا** لم ينتظر جواب عمر المختار، فاستغل فرصة اطمئنان المجاهدين لبداية المفاوضات وانشغالهم بعيـــد الفطـــر المبارك فهاجم الطليان على المجاهدين وهم يؤدون صلاة العيد غير أن المجاهدين اشتبكوا معهم وتمكنـــوا من ردهم على أعقابهم . وصدق الله القائل :

{ **ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة**}الآية(101)سورة النساء.

أمام هذا التطورات اضطر **بادليو** إلى فتح باب التفاوض من جديد ،فكلف متصرف درنة **دوديباشي** بأن يمهد للتفاوض مع عمر المختار،فكان أن عقد اجتماع في منزل **علي باشا العبيدي** للتباحث في موضوع الصلح ، وأصر عمر المختار على أن تظهر الحكومة الايطالية حسن نواياها وذاك بأن تطلق سراح السيد **محمد رضا السنوسي** وتعيده إلى برقة باعتباره الوكيل الرسمي للأمير **محمد إدريس السنوسي** .فاستجابت الحكومة الايطالية لهذا الشرط وأحضرت السيد محمد الرضا- الذي كان معتقلا في جزيرة أوستيكا الايطالية –إلى بنغازي . وعليه اجتمع عمر المختار بممثل ايطاليا **داوديباشي** في منزل علي العبيدي في 20مارس 1929 وذلك بحضور ممثلين عن الطرفين ، غير أن هذا الاجتماع لم يسفر عن أية نتيجة [1]، فقد كان الايطاليون متصلبين متجاهلين للحقوق الليبية .

في 20 أفريل 1929 عقد اجتماع ببئر المغارة في وادي القصـــور، وخلالـــه اشـــترط منـــدوب الحكومة الايطالية على عمر المختار إما أن يذهب إلى الحجاز أو إلى مصر أو يبقى فـــي برقـــة . وإذا قبل البقاء في برقة فإن الحكومة الايطالية ستجري عليه مرتبا ضخما وتعامله بكل احترام غير أن عمـــر المختار هذه الشروط .

في أواخر أفريل استؤنفت المفاوضات في منطقة القندولة بالقرب من سيدي رافع بالجبل الأخضـــر، وحضر اللقاء عدد من الضباط يتقدمهم **باريلا** ، وحاول الايطاليون الغدر بالشيخ عمر المختـــار إلا أنـــه احتاط لهذا الأمر،وفض اللقاء دون أية نتيجة .وفي 26 ماي 1929 بدأت المفاوضات من جديد وحضر عمر المختار إلى مكان قريب يسمى القبقب.، وعرض **داوديباشي** في هذا الاجتماع على المختار عدة شروط من أهمها:

1- السماح بعودة إدريس السنوسي وأحمد الشريف وسائر أعضاء الأسرة السنوسية إلى البلاد.

2- احترام الزوايا وأوقافها ودفع المرتبات لشيوخها .

3- إرجاع أملاك الأسرة السنوسية وإعفائها من الضرائب .

---

[1] غراسياني رودلفو ، المرجع السابق ، ص 28 .

4- تسليم المجاهدين نصف الأسلحة التي معهم مقابل ألف ليرة ايطالية عن كل بندقية يسلمونها ، وينضم بقية المجاهدين المسلحين للمنظمات التي تنشئها الحكومة الايطالية وتكون تحت إشرافها.

5- حل الأدوار وإبعاد الإخوان السنوسيين منها وتتعهد ايطاليا بدفع رواتب لهم تتناسب مع مراكزهم [1].

يبدو من خلال هذه الشروط وهذه العروض المغرية أن الايطاليين أصبحوا في وضع لا يحسدون عليه ، وأن المقاومة الليبية بقيادة الشيخ عمر المختار قد كبدتهم الهزائم المتتالية ،الأمر الذي أجبرهم على تقديم التنازلات تلو التنازلات ، وهذا ما يذكرنا بسلم الشجعان الذي اقترحه الفرنسيون على الجزائريين في أخريات الثورة الجزائرية، وعليه فقد كان من الطبيعي أن يعترض عمر المختار على تسليم الأسلحة وحل الأدوار فأصر على أن تبقى الأدوار تحت قيادة السيد حسن الرضا ،على أن يكون للحكومة الايطالية نوع من الإشراف العام .

تواصلت الاجتماعات بين الطرفين ، وكانت دائما تنتهي إلى طريق مسدود إلى أن كان اجتماع 19جوان 1929 بمنطقة سيدي رحومة الذي حضره **بادليو** و**سيشلياني** وعدد من الضباط عن الجانب الإيطالي ، وعمر المختار والشارف الغرياني وعلي باشا العبيدي وعدد من الأعيان عن الجانب الليبي . وخلال هذا الاجتماع ظل عمر المختار متمسكا بالشروط التي تخدم مصالح الليبيين ، وانتهى الأمر بأن اتفق الطرفان على عقد هدنة لمدة شهرين حتى يتمكن كل طرف من مراسلة المراجع التابعة له [2]. وقبل **بادليو** بعودة الأمير محمد إدريس السنوسي إلى برقة.وكانت الشروط التي عرضها عمر المختار تكفل المحافظة على هوية الشعب وعقيدته ودينه ولغته وتحفظ أوقاف الزوايا، ومن أهمها:

1- المساواة في الحقوق بين الليبي والايطالي .

2- أن تكون اللغة العربية لغة رسمية معترفا بها في دوائر السلطة الايطالية .

3- ألا تتدخل السلطات في أمور الدين ، وأن يكون للمواطنين فتح المدارس التي تعلم علوم الدين .

4- ألا يقتصر التعليم العالي على الايطاليين دون الليبيين .

5- أن يكون الليبيون أحرارا في حمل السلاح على مختلف أنواعه .

6- أن تعيد السلطات إلى المواطنين ما اغتصبته من أملاكهم .

7- العفو عن جميع من عدتهم ايطاليا مجرمين سياسيين وإطلاق سراح المساجين .

8- أن تختار الأمة رئيسا منها، ويكون لهذا الرئيس مجلس يشرف على خدمة مصالح الأمة [3].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص 551 – 552 .

[2] محمد الطيب الأشهب ، السنوسية دين ودولة ، ص298 .

[3] عز الدين إسماعيل ، عمر المختار شيخ الشهداء، ص ص ، 74-75 .

يبدو من خلال ما تقدم أن عمر المختار كان سياسيا محنكا ، وكان يملي شروطه من موقع القوة والاعتزاز بالنفس ، وفي ذات الوقت كان يحسن أسلوب المناورة السياسة ،بالإضافة إلى إتقانه أسلوب حرب الكر والفر،وكان يدرك عدم جدوى المفاوضات السياسية ، وعليه فقد كان يستجيب لكل اجتماع يستدعى إ ليه ، ولم يدعو هو لأي اجتماع ، مما يدل دلالة واضحة أن الإيطاليين في ليبيا كانوا أمام مقاومة باسلة وشديدة .

تظاهر "**بادليو**" بقبول الشروط السالفة الذكر ، غير أنه سرعان ما نكث بوعوده و أخذ يعمل على بذر الشقاق والخلاف بين المجاهدين سعيا نحو إضعاف قواتهم ، وأعلن أنه لا يمكن إبرام الاتفاق إلا في بنغازي [1] .واعتبارا من أن الايطاليين كانوا يتهمون عمر المختار بتعطيل هذه الاجتماعات وإفشالها فقد انتدب المجاهدون لاجتماع بنغازي الحسن الرضا السنوسي ، فعاد هذا الأخير محملا بشروط مجحفة رفضها الشيخ عمر المختار وكذلك المجاهدون. وكتب عمر المختار إلى "**سيشلياني**" نائب الوالي في بنغازي يخبره بهذا الرفض ويلفت نظره إلى الشروط السابقة التي تسلمها" **بادليو**" شخصيا من عمر المختار.

عندما رفض الشيخ عمر المختار الشروط التي كان الايطاليون قد أملوها على حسن الرضا شعر هذا الأخير أن الشيخ لم ينزله منزله فانفصل بجماعته من البراعصة والدرسة وكان عـددهم حـوالي 1200 شخص ، واتخذ مكانه في غوط الجمل غير بعيد عن مراكز الطليان في مراوة [2] .

بعد هذه السلسلة من الاجتماعات واللقاءات و التي لم تكن من خلالها ايطاليا صادقة فـي نواياهـا ، وبعد محاولة الايطاليين زعزعة صف المجاهدين وإيقاع الفتنة بينهم ،عمل عمر المختار على رفـع همـم المجاهدين خاصة والليبيين عامة فخاطبهم بقوله : ((**فليعلم إذا كل مجاهد أن غرض الحكومة الايطاليـة إنما هو بث الفتن والدسائس بيننا لتمزيق شملنا وتفكيك أواصر اتحادنا ليتم لهم الغلبة علينا واغتصاب كل حق مشروع لنا كما حدث كثير من هذا خلال الهدنة ، ولكن بحمد الله لم توفق إلى شيء من ذلـك . وليشهد العالم أجمع أن نوايانا نحو الحكومة الايطالية شريفة ، وما مقاصدنا إلا المطالبة بالحريـة ،وأن مقاصد ايطاليا وأغراضها ترمي إلى القضاء على كل حركة قومية تدعو إلى نهوض الشعب الطرابلسـي وتقدمه ... فهيهات أن يصل الطليان إلى غرضهم مادامت لنا قلوب تعرف أن سبيل الحرية يجب بـذل كل مرتخص وغال. لهذا نحن غير مسئولين عن بقاء هذه الحالة الحاضرة على ما هي عليه حتى يتوب أولئك الأفراد النزاعون إلى القضاء علينا إلى رشدهم ويسلكوا السبيل القويم ويستعملوا معنا الصراحة بعد المداهنة والخداع))**[3].

---

[1] عقيل محمد البر بار ،عمر المختار نشأته وجهاده ، ص 62 .

[2] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص300.

[3] نفسـ ـــــــــــه، ص 303 .

لقد تعود الاستعمار الأوروبي في المستعمرات الإفريقية والآسيوية وخاصة في الـبلاد العربيـة على الغدر والخيانة ونقض العهود وهذا ما تميز به الاحتلال الايطالي لليبيا ، فكثيرا ما عاهد الايطـاليون

الليبيين وأكدوا على أنهم سيلتزمون بالاتفاقيات التي عقدوها مع المجاهدين غير أنهم في كل مـرة كـانوا ينقضونها ويغدرون بالمجاهدين، وكان السيد حسن الرضا أول المغدورين بهم ، فقد سير الايطاليون قـوة كبيرة على دور البراعصة والدرسة الذي يتواجد فيه حسن الرضا بدعوى أن رجاله قد غـزوا بعـض الايطاليين في مراوة .وأبدى الأمير ورجاله معارضة شديدة ،غير أن الايطاليين اعتبروا هذه المعارضـة دعاية خطيرة للسنوسية وأن حل الدور أصبح أمرا لازما.وعليه فقد وقع اشتباك عنيف بين الطرفين ذهب ضحيته عدد معتبر من المجاهدين وأسر عدد آخر وفي مقدمتهم السيد حسن الرضا الذي ساقه الايطاليون إلى بنغازي ومنها إلى جزيرة أوستيكا ثم فلورنسا بايطاليا التي بقي بها حتى وفاته سنة 1936 [1].

على إثر هذه الأحداث اندلعت المعارك بين المجاهدين والطليان في الجبل الأخضر ، وظلت الطائرات الايطالية تلقي بقذائفها على مواقع المجاهدين ومعسكراتهم ، وهاجموا دور المجاهـدين فـي وادي بهجة 28 مارس 1930، وعمت المعارك منطقة الجبل حتى أقفلت جميع الطرقات والمسالك [2].

الإستراتيجية الايطالية الجديدة في مواجهة المقاومة الليبية :

في مطلع 1930 تسلم "**رودلفو غراسياني**" **(Grasyani)** مهمة إدارة شؤون ليبيا ، وكـان مـن بين أشد الايطاليين حقدا على الإسلام والمسلمين فقدا ارتكب أعمالا عسكرية شنيعة ، وقضى على حركـة الجهاد في فزان وذلك في 25فيفري 1930 واستمرت قواته في الجنوب تلاحـق المجاهـدين وتقصـفهم بالطائرات ، وتشن عليهم الغارات المتوالية حتى أوصلتهم إلى الحدود الجزائرية غربا وإلى الحدود الليبية التشادية شرقا [3] .واعتبار من أن المناطق الجنوبية مناطق صحراوية مكشوفة فإنه تعذر على المجاهـدين الالتجاء إلى مناطق تحميهم ، وعليه فقد سهل على الايطاليين احتلالها .

وعليه –وبعد تسلمه إدارة شؤون ليبيا مباشرة – بدأ "**غراسياني**" **(Grasyani)** يضع خطته الحربيـة للقضاء على حركة المقاومة. فأصدر جملة من التعليمات المتضمنة لهذه الخطة والمتمثلة في :

1- تصفية حقيقية لكل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين من الثوار سواء في قاعدة العلاقات الشخصية أو الأعمال و الحركات التجارية .

2- إعطاء الخاضعين أمنا وحماية مع المراقبة التامة والشاملة لكل نشاطاتهم .

3- عزل الخاضعين عن أي تأثير سنوسي، ومنع أي كائن منعا باتا من قبض أي مبالغ من الأعشار و الزكاة .

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص557 .
[2] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 304 .
[3] عز الدين إسماعيل وآخرون ،المرجع السابق ، ص ص 80-81 .

4- مراقبة مستمرة ودقيقة في الأسواق وقفل الحدود المصرية بكل صرامة بحيث تمنع أي تمويل لقوافل العدو (أي قوافل المجاهدين) .

5- تنقية الأوساط المحلية التي توجد بها عناصر تدعي الوطنية ابتداء بالمدن الكبيرة وخاصة بنغازي .

6- تعيين عناصر غير نظامية من الطرابلسيين يكونوا قوة مضادة للمجاهدين وتعني بتطهير الإقليم من كل تمرد.

7- حركة خفيفة ودقيقة لكل قواتنا (الطليان) المسلحة لخلق جو من الاضطراب ضد كل الأدوار.

8- الاتجاه السريع للاحتلال الكامل لكل أراضي مستعمرة الكفرة [1] .

هذا هو غراسياني جزار ليبيا ،وهذه هي التعليمات أو في الحقيقة التهديدات التي كلف بها من قبل أسياده في روما الكاثوليكية الفاشستية وفي مقدمتهم الدوتشي موسوليني .فبمجرد وصوله إلى بنغازي بدأ "**غراسياني**" في تنفيذ برنامجه معلنا أنه سوف يتبع وبكل إخلاص تعاليم الدولة الفاشستية ويسير على مبادئها ، لأنه وإن كان قائدا من قواد الجيش وأحد الرجال العسكريين ، إلا أنه يدين بمبادئ فاشستية محضة ويعلن هذه الحقيقة بكل وضوح وصراحة تامة [2] .

كان أول عمل قام به "**غراسياني**" (**Grasyani**) بخصوص الدوائر المدنية أنه عمل على استبدال الموظفين الايطاليين بآخرين ممن يحظون بثقته ، وقام بحركة تغيير واسعة شملت المستشارين والمساعدين ،كما قام بزيارة المناطق الليبية الخاضعة للنفوذ الايطالي ، وكانت السلطات الاستعمارية تجمع له الأهالي بما فيهم النساء والأطفال والعجزة فيخطب فيهم متوعدا ومهددا، ففي خطاب تهديدي ألقاه في جموع من الأهالي ببنغازي قال لهم : ((**عندي لكم ثلاث حالات : الباخرة الموجودة في الميناء ، وأربعة أمتار فوق الأرض مشيرا إلى – أعمدة المشنقة – ورصاص بنادق جندنا – مشيرا إلى القتل رميا بالرصاص-**)) [3] .

قامت الحكومة الايطالية في عهد "**غراسياني**" (**Grasyani**) بحشد مجهودات ضخمة في سبيل القضاء على المقاومة الليبية بقيادة عمر المختار ، وكلفت هذه المجهودات الخزينة الايطالية نفقات كبيرة ، وهذا ما أكده السنيور فيتيتي وكيل وزارة الخارجية الايطالي في حديث له مع السيد أمين الحسيني مفتي

---

[1] المرجع السابق ، ص ص 84-85 .
[2] محمود شلبي ، عمر المختار ، ص 126 .
[3] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص 125 .

فلسطين ،فقد ذكر هذا الأخير في مذكراته نقلا عن الوكيل الايطالي : ((**حقا إن ما وقع في ليبيا سبب لنا متاعب كثيرة ، فعندما كانت السياسة الايطالية تتأثر في الماضي بالسياسة البريطانية قبل عهد الفاشيست خدعتنا إنجلترا وفرنسا فاستولت على أغنى وأغلى أقطار إفريقيا ، وأغرتنا باقتحام ليبيا عام 1911، فلم نجن فيها رغم المجهودات المضنية والخسائر الفادحة في الأنفس والأموال غير الرصاص والرمال ، ولم نجن من ذلك إلا بغض العرب ومقت المسلمين لنا**))[1].

سلك "**غراسياني**" (**Grasyani**) أسلوب حرب الإبادة ضد الليبيين ،فلم يدع أي وسيلة إجرامية في سبيل التنكيل بهم ،من ذلك ما عرف في التاريخ باسم **المحكمة الطائرة** التي ابتدعها هذا السفاح في أفريل 1930 فقد كانت تلك المحكمة تقطع البلاد على متن الطائرات ، وتحكم على الأهالي بمصادرة أموالهم وممتلكاتهم لأبسط شبهة ، وتمنحها للمرتزقة الفاشيست ، وكانت تنعقد بصورة سريعة وتصدر أحكامها التي تنفذ مباشرة وبحضور المحكمة نفسها لتتأكد من التنفيذ قبل أن تغادر الموقع الذي انعقدت فيه لتنعقد في نفس اليوم بموقع أخر، وتم فتح أبواب السجون في كل مدينة وقرية ، ونصبت أعواد المشانق في اجدابيا والعقيلة وبنغازي والسلوق والمرج ،وكان يصدر حكم الإعدام لأقل وأتفه الأسباب ، وينفذ شنقا أورميا بالرصاص ، وكان ممن نفذ فيهم حكم الإعدام خلال الشهرين الأولين من تسلم "**غراسياني**" مقاليد الحكم في برقة ، المشايخ بحيح الصبحي ، علي بويس العربي ، خير الله هليل، محمد يونس بوقادم ، علي حميد ا بوضفير ، وكلهم من منطقة اجدابيا ثم محمد الحداد وابنه بنغازي وعبد السلام محبوب من السنوسيين [2] .

بالإضافة إلى أسلوب المحكمة الطائرة عمد "**غراسياني**" (**Grasyani**) إلى سياسة عزل الأهالي والحيلولة بينهم وبين المجاهدين ، وهو نفس الأسلوب الذي اتبعه الفرنسيون فيما بعد لإضعاف الثورة التحريرية الجزائرية وفصل الشعب عن قيادته الثورية ، وذلك عندما عمد ديغول وجنوده إلى إقامة المحتشدات والمعتقلات لهذا الغرض . وعليه فقد قام "**غراسياني**" بجمع الإخوان السنوسيين من شيوخ الزوايا وأئمة المساجد ومعلمي القرآن الكريم مع ذويهم وأهلهم وكذلك فعل مع مشايخ وأعيان القبائل وكل من له صلة أو علاقة بالمجاهدين ،وجيء بهؤلاء جميعا إلى مراكز التعذيب التي أقيمت لهم خصيصا ثم سيقوا إلى السجون والمعتقلات ، ولم يرحم "**غراسياني**" في ذلك طفلا صغيرا ولا شيخا

---

[1] نفسه ، ص 126.

[2] محمد الطيب الأشهب ، المرجع السابق ، ص 126 .

كبيرا أو مريضا مقعدا . وتم تخصيص مواقع العقيلة و البريقة من صحراء غرب برقة البيضاء والمقرون وسلوق في أواسط برقة لتكون مواقع الاعتقال والنفي والتعذيب لجمع سكان منطقتي الجبل الأخضر والبطنان [1].

وصل عدد الذين سيقوا إلى المعتقلات المذكورة إلى ثمانين ألف نسمة وضعوا في معتقلات صحراء السرت، وراح "**غراسياني**" يتفنن في تعذيب هؤلاء والتنكيل بهم ،فأحرق محاصيلهم الزراعية وأباد ثروتهم الحيوانية. واستعانت القوات الايطالية بالمرتزقة من الصوماليين والارتريين-اعتبارا من الصومال و اريتيريا كانتا خاضعتين الاحتلال الايطالي – الذين كانوا يتعقبون كل من يتخلف من المساقين، وقد يرمونه بالرصاص ، وبذلك أصبحت جميع مناطق الحبل الأخضر والبطنان خرابا[2].

لقد ارتكب الايطاليون في المعتقلات السابقة الذكر أبشع الجرائم وحدث فيها ما لم يصدقه بشر، فقد اعتدى الايطاليون على الأبدان والأموال والأعراض ، وقد وصف مراسل جريدة ألمانية زار معسكرات الموت التي جمع فيها غراسياني عشرات الألآف من الليبيين فقال : ((**إن الانتقادات التي يوجهها الفرنسيون والانجليز إلى خطة الفاشيست في برقة ، موجهة في الدرجة الأولى إلى التدابير التي اتخذها الجنرال غراسياني لإجلاء ثمانين ألف بدوي عن أراضيهم، دون أن يراعوا حالة هؤلاء البدو الروحية ، أو يلاحظوا تأثير مثل هذا القيد والحصار فيهم ولا يجوز لأحد أن يخرج من نطاق الحصار إلا في النهار، بشرط أن يرجع إلى مكانه قبل أن يخيم الظلام وكل واحد من رؤساء القبائل مسئول عن أتباعه فردا فردا . يجب أن نقول : إن الحالة سيئة للغاية تفوق كل تصور ، فإن معدل الأموات من الأطفال يبلغ 90% وأمراض العيون التي ينتهي أكثرها بالعمى كثيرة جدا ومنتشرة ويكاد لا ينجو لأحد من الأمراض ، أما غذاء هؤلاء المساكين فالأحسن أن لا نتكلم عنه بالمرة ، ومن الطبيعي أن نرى هؤلاء يتألمون أشد الألم ، وفي الدرجة الأولى من هذه الأسلاك الشائكة ،رمز الأسر، ورغم تلاصق الخيام ، وشدة تقاربها ببعضها ، فإن حصرها ضمن أسلاك شائكة ، يجب أن نعتبره من المتناقضات الغريبة التي لا يتصورها العقل**)) [3] .

ومن جهته كتب عبد الرحمن عزام – أول أمين عام للجامعة العربية فيما بعد – يصف الوضع المأساوي للمعتقلين و يستصرخ العالم فيقول : ((**يبحثون عن أخبار الأندلس وكيف أجرى الإسبانيون بالمسلمين هناك وما لهم والأندلس والأمور جرت في القرون الوسطى فأمام أعينهم طرابلس الغرب فليذهبوا ويشاهدوا بأعينهم في هذه الأيام فضائح لا تقل عما جرى بالأندلس**)) [4].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، الثمار الزكية للحركة السنوسية ، ص 26 .
[2] عقيل محمد البر بار ،عمر المختار نشأته وجهاده ، ص ص 113-149 .
[3] محمود شلبي، المرجع السابق ، ص 188 .
[4] عقيل محمد البربار، المرجع السابق ، ص 145 .

إستراتيجية عمر المختار في مواجهة خطة غراسياني :

قبل مجيء "**غراسياني**" (**Grasyani**) إلى برقة كانت معسكرات المجاهدين تتواجد قريبا من مناطق الأهالي الأمر الذي سهل على المجاهدين الحصول على المساعدات والتسهيلات من الذخائر والمؤن ، غير أنه بعد حشر القبائل في المعتقلات الجماعية تغيرت خطة الشيخ عمر المختار الذي راح يطور أساليبه القتالية وفق ما يتماشى مع المرحلة الراهنة ، فاعتمد على أسلوب الحرب الخاطفة القائمة على أساس نصب الكمائن ومباغتة العدو في أماكن مختلفة ، وقد كان لهذا الأسلوب أثره الخطير على القوات الايطالية ، وهذا ما صرح به "**غراسياني**" قائلا:((**بالرغم من إبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا يستمر عمر المختار في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان**)) [1].

وقوله أيضا: ((**عمر المختار قبل كل شيء لم يسلم أبدا لأن طريقته في القتال ليست كالقادة الآخرين فهو بطل في إفساد الخطط وسرعة التنقل بحيث لا يمكن تحديد موقعه لتسديد الضربات له ولجنوده ،أما غيره من الرؤساء فإنهم أسرع من البرق عند الخطر ، فيهربون إلى القطر المصري تاركين جنودهم على كفة القدر معرضين لخطر الفناء ، عمر المختار عكس هذا فهو يكافح إلى أبعد حد لدرجة العجز ثم يغير خطته ويسعى للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلا بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية ماديا ومعنويا،وهنا يسلم أمره لله كمسلم مخلص لدينه**)) [2].

كان عمر المختار رمز وقطب المقاومة فقد التف حوله إخوانه المجاهدون التفاف السوار بالمعصم وخضعوا لقيادته ، وكان مساعدوه ومعاونوه من أمثال يوسف بورحيل ، الفضيل بوعمر وعصمان الشامي في مقدمة الذين وضعوا ثقتهم التامة فيه . وكانت مواقف عمر المختار تدل على قوة شخصيته القيادية البارعة حتى في أحلك الظروف ، فقد حدث أن انتقم الايطاليون من إحدى القبائل التي كانت تقدم المساعدات للمجاهدين[3]،ونظرا لشدة الانتقام فقد تقدم بعض زعماء القبائل باحتجاج للسيد عمر المختار طالبين منه إما أن يستسلم للإيطاليين أو أن يرحل عن مواقع تواجد القبائل ، أو أنهم سيحاربونه إذا اقتضى الأمر حتى يتجنبوا انتقام الايطاليين ، وعليه عقد عمر المختار اجتماعا طارئا في منطقة قصر الجماهير حضره ممثلون عن القبائل ، وساد هذا اللقاء جو من التوتر والنقاش الحاد في محاولة لتجنب حرب أهلية بين المجاهدين والليبيين المتواجدين في المناطق الخاضعة للاحتلال.وأمام هذا الوضع الحرج اقترح بعض المجاهدين أن يهاجر المجاهدون إلى مصر حتى لا يتعرض الأهالي للانتقام . وبعد حوار طويل أظهر عمر المختار مصحفه وأقسم عليه بأنه لن يتوقف عن مجاهدة الايطاليين ، وأنه لن يترك

---

(1) غراسياني رودولفو ، برقة الهادئة ، ص 227 .
(2) نفسه ، ص 129 .
(3) علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 565 .

منطقة الجبل الأخضر حتى يتحقق النصر أو الشهادة ، وفي نفس الوقت أعلن للمجاهدين أنه مـن يريـد الهجرة إلى مصر فليهاجر. وعندما رأى المجاهدون إصراره عدلوا عـن رأيهـم وأطـاعوه ، وانتهـى الاجتماع على وحدة صف المجاهدين [1]

في إطار الإستراتيجية الجديدة التي اعتمدها كرد فعل على خطة "**غراسياني**" نقل عمر المختار عملياته الحربية إلى المنطقة الشرقية في الدفنا باعتبار أنها قريبة من الحدود المصرية ، وهذا حتى يستطيع أن يسوق المواشي التي يأتيه بها الأهالي إلى الأسواق المصرية في سبيل أخذ حاجته المختلفة مـن هـذه الأسواق ،وأمام هذه الإستراتيجية التي انتهجها عمر المختار عمل "**غراسياني**" على مد الأسلاك الشـائكة على الحدود الليبية المصرية وذلك على امتداد 300 كلم من البحـر المتوسـط شـمالا إلـى الجغبـوب جنوبا.وبفعل هذا العمل حقق الايطاليون عدة أمور أهمها :

1- تم محاصرة قوات المجاهدين في نطاق محدد (الجبل الأخضر) .
2- القضاء على ظاهرة تهريب البضائع وبالتالي ازدياد دخل الدولة الايطالية بفعل ازدياد الضـرائب الجمركية .
3- الحد من ظاهرة الإمدادات التي كانت تأتي المجاهدين من مصر[2].

كل هذه الأساليب لم تكن لتثني من عزم عمر المختار وإخوانه المجاهدين الذين واصلوا نشـاطهم الجهادي ، واستمرت المعارك والمواجهات بينهم وبين القوات الايطالية ، وكانت معركة الكرسـة بالجبـل الأخضر من بين أهم المعارك التي وقعت بين الطرفين في 20ديسمبر1930 والتي استشهد فيهـا السـاعد الأيمن لعمر المختار الفضيل بوعمر وهو أحد الذين شاركوا في مسـيرة الجهـاد منـذ 1911 وعـرف بالشجاعة والإخلاص . وكان الايطاليون قبيل هذه المعركة قد اشتبكوا مع المجاهدين في معركـة كبيـرة تعرف بمعركة وادي السانية عثروا بعد انتهائهـا علـى نظـارات عمـر المختـار فقـال "**غراسـياني**" **(Grasyani)** متوعدا :((**قد أخذنا اليوم نظارات عمر المختار وغدا نأتي برأسه**)) [3].

والجدير بالذكر أنه من بين الأمور التي شجعت عمر المختار على الاستمرار في المقاومة تلـك المجهودات التي قام بها سكان المدن في جمع المعلومات والأموال والمؤن والأسلحة وتهريبها إلـى قادة حركة الجهاد المبارك في المناطق التي يتواجدون فيها .

---

[1] عقيل محمد البربار، المرجع السابق ، ص 71 .
[2] غراسياني رودولفو ، المرجع السابق ، ص ص 232-233 .
[3] محمد الطيب الأشهب ، حياة عمر المختار ، ص ص130-133 .

احتلال منطقة الكفرة :

كان أمضى وأقوى سلاح استعمله"**غراســياني**" **(Grasyani)** ضد المجاهدين هو جمع الأهالي في المعتقلات وإقامة الأسلاك الشائكة لفصل مصر عن برقة ، ولم يكتف بهذا بل إنه جمع قواته الضخمة من مختلف وحدات الجيش الايطالي والمرتزقة واتجه بهم جنوبا لاحتلال الكفرة . وهي- أي الكفرة – منطقــة تتكون من عشر واحات ، وتقع على مسافة 1000كلم جنوب بنغازي ، ومــن أهــم واحاتهــا تــارزيو ، الهواري ، الهويويري وغيرها ، ومما تتميز به الكفرة أنها تمثل إحدى أهــم مراكــز وقــلاع الحركــة السنوسية و بها توجد زاوية التاج ويوجد قبر الإمام محمد المهدي السنوسي.كما أنها معقل مــن معاقــل النضال والمقاومة ، وقد رأى العدو الايطالي أن المجاهدين بدأوا يتحولون إليها بعد أن أخذت تتساقط في يده بعض معاقل الجهاد الأخرى [1] .

أعد الايطاليون لاحتلال الكفرة قوة عسكرية كبيرة، فقد حشدوا عددا كبيرا من الإبل لنقــل المــؤن إلى جانب سيارات النقل الكثيرة والكبيرة ، وكذلك الطائرات التي أعدت للغرض نفسه ، وانطلقــت هــذه القوات من برقة وطرابلس وراحت تسلك طريق الصحراء إلى الكفرة. وكانت هذه الحملة العسكرية تحت قيادة غراسياني نفسه [2] .

خاض المجاهدون في الكفرة مقاومة عنيفة ضد القوات الايطالية ، وكانت أول معركة اشــتبك فيهــا الطرفان هي معركة واحة الهواري التي وقعت في 29 شعبان 1349 هــ الموافق ل 19 جــانفي 1931 ، وكانت معركة غير متكافئة استمرت ثلاث ساعات وأسفرت عن قتل عدد معتبر من الايطاليين واستشهاد عدد كبير من المجاهدين ، ويلاحظ أن المجاهدين ظلوا يناوشون عدوهم حتى يتيحوا الفرصة لمن يريــد من الأهالي أن ينجو بنفسه من الهلاك ، خاصة وأن الايطاليين استعملوا الطائرات التي راحــت تقصــف المنطقة وتدمر كل شيء . وعليه فقد خرج أهل الكفرة جماعات ووحدانا وتفرقوا في الصحراء الموحشة لا يلوون على شيء [3]. ومع ذلك فقد قاوم المجاهدون الاحتلال ببسالة وشجاعة كبيرة شــهد بــذلك قــادة العدو نفسه فقد ذكر "**غراسياني**"**(Grasyani)** : ((**لقد حملتنا خسائر فادحة وكنــا حريصــين علــى تحقيق النصر بأي ثمن لكون قوات المجاهدين غير متكافئة ، رغم هــذا كــانوا أشــداء أقويــاء صامدين ، صابرين لا يتقهقرون أ بدا حتى لو أدى ذلك لفنائهم جميعا ، مؤمنين بــأنهم أصــحاب حق وشجاعة**)) [4].

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، عمر المختار شيخ الشهداء ، ص ص 81-82 .
[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 569.
[3] عز الدين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص 84 .
[4] غراسياني رودلفو ، برقة الهادئة ، ص 211 .

تعقبت القوات الايطالية بوسائلها وطائراتها الأهالي الفارين من منطقة الكفـــرة وطـــاردوهم إلـــى مسافة مئتي كلم وقد تركوا وراءهم النساء والأطفال. ولم يكتف الايطاليون بهذا بل إنهـــم أطلقـــوا أيـــدي جنودهم في واحات الكفرة للعبث والتخريب فدمروا ونهبوا ودنسوا الأعراض واعتدوا علـــى حرمـــات الناس العزل دون وازع من ضمير[1]. و هذه الجرائم تذكرنا بجرائم مماثلة ارتكبها الفرنسيون فـــي حـــق الجزائريين من ذلك ما حدث في مدينة الأغواط سنة 1852، مما يدل دلالة واضحة على أن الاســـتعمار الأوروبي للبلاد العربية كان يسلك نفس الأساليب في معاملة الأهالي وهو الذي يزعم لنفســـه أنـــه جـــاء بالتقدم والحضارة فأية حضارة هذه؟! بل هي الخسارة .

لقد تأثر العالم الإسلامي من الأخبار التي وصلت إلى الأسماع عن جرائم الايطاليين في الكفرة ، وقـــد نقلت الأخبار بعض العوائل التي كتب لها النجاة ، من ذلك ما ذكره أمير البيان العربي **شـــكيب أرســـلان** الذي قال : ((**... إنهم لما احتلوا واحة الكفرة في 13 يناير –جانفي –من سنة 1931استباحوا قراهـــا ثلاثة أيام فقتلوا من صادفوه من الأهالي وكان من جملة القتلى بعض الشيوخ الأجلاء مثل محمد عمـــر الفضيل ، والشيخ فضيل الديفار وغيرهم ،غير داخل في ذلك من قتلوه من المعركة التي جـــرت بـــين الأهالي وجيش الحملة الطليانية وهم 200 شخص ، ثم إن الطليان انتشروا في القرى والبساتين ونهبوا كل ما وقع في أيديهم ولم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء، وصادفوا الشيخ مختـــار الغدامســـي وهو شيخ فان بلغ ثلاثا وتسعين سنة ، ومن جلة علماء السنوسية فحملوه مقيدا بالحبـــال علـــى جمـــل ونفوه من الكفرة فمات في الطريق ، ثم اغتصبوا النساء في أعراضهن وقتلوا منهن كثيرا ممن دافعـــن إلى الآخر عن أعراضهن ،وكن نحوا من 200 امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلـــى الصـــحراء قبـــل وصول الجيش الايطالي ، فأرسلوا قوة في أثرهن حتى قبضوا عليهن وسحبوهن إلى الكفرة حيث خـــلا بهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن، وهكذا أنزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة اللـــواتي كانـــت الشمس تقريبا لا ترى وجوههن من الصون والعفاف...))** [2].

لم يكتف الايطاليون بهذا القدر من التنكيل بالكفريين ، بل إنهم استباحوا زاوية التاج السنوسية و أراقوا الخمور فيها ،وداسوا المصاحف الشريفة ،كما أنهم قاموا بحمل الشيخ **سعد** شيخ قبيلة (الفوائد) مع شـــيوخ آخرين من رفاقه بالطائرات وقذفهم من الجو على مشهد من أهلهم حتى إذا وصل أحـــدهم إلـــى الأرض وتقطع إربا صفق الطليان طربا ونادوا العرب قائلين: ((**ليأت محمد هذا نبـــيكم البـــدوي الـــذي أمـــركم بالجهاد وينقذكم من أيدينا**))[3].

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، المرجع السابق ، ص 84 .
[2] لوثروب ستودارت ، حاضر العالم الإسلامي ، ص ص 69-70.
[3] نفســــــــــــــه، ص ص 72 .

وفي مجلة الدولة العربية التي كانت تصدر في سويسرا كتب أمير البيان العربي **شكيب أرسلان** مقالا طويلا تكلم فيه عن الأعمال الوحشية والجرائم التي ارتكبها الايطاليون ضد أهل الكفرة ،الأمر الذي حرك مشاعر المسلمين وجعل العالم الإسلامي يرتجف غضبا، وقامت المظاهرات في مناطق مختلفة . واعترافا بالجميل وكرد فعل على المجهود الذي قام به **شكيب أرسلان** أرسل قائد الجهاد الشيخ عمر المختار كتابا إلى الأمير **شكيب** جاء فيه : ((**إنه من خادم المسلمين عمر المختار إلى المجاهد الأمير الخطير أخينا في الله وزميلنا في سبيل الله الأمير شكيب أرسلان حفظه الله ..بعد السلام الأتم والرضوان الشامل الأعم ورحمة الله وبركاته ، قد قرأنا ما دبجه قلمكم السيال عن فظائع الطليان وما اقترفته الأيدي الأثيمة من الظلم والعدوان بهذه الديار فإني وعموم إخواني المجاهدين نقدم لسامي مقامكم خالص الشكر، وعظيم الممنونية . كل ما ذكرتموه عما اقترفته أيدي الايطاليين حو قليلي من كثير وقد اقتصدتم واحتطتم كثيرا ولو يذكر للعالم كل ما يقع من الايطاليين لا توجد أذن تصغى لما يروى من استحالة وقوعه ، والحقيقة والله وملائكته شهود أنه صحيح ، وأننا في الدفاع عن ديننا ووطننا صامدون ، وعلى الله في نصرنا متوكلون، وقد قال الله تعالى : { وكان حقا علينا نصر المؤمنين } الروم : 47 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في 20ذي الحجة 1349 هـ**)) [1] .

كان احتلال الكفرة ضربة قاصمة ثالثة توجه لحركة الجهاد والمقاومة في ليبيا بعد الضربة القاصمة الأولى المتمثلة في عزل القبائل والأهالي ووضعهم في معتقلات صحراء السرت ،والضربة القاصمة الثانية والمتمثلة في إقامة الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية الليبية ، كل هذه الضربات المتتالية جعلت المقاومة الليبية تدخل مرحلة التراجع وتخسر مواقعها المختلفة شيئا فشيئا .

---

[1] المرجع السابق، ص 84 .

المبحث الرابع : عمر المختار من الأسر إلى الإعدام

رسالة أحمد الشريف إلى عمر المختار:

عرفنا مما تقدم أن الإمام **أحمد الشريف السنوسي** قد استقر به المقام في بلاد الحجاز ، وكان أثناء تواجد ه هناك يعمل بكل ما أتي من قوة وجهد للتعريف بالقضية الليبية لدى الرأي العالم الإسلامي وخاصة في موسم الحج وكان يتابع تطور الأحداث في ليبيا عن كثب . وكان من الشخصيات التي تعرفت إلى السيد **أحمد الشريف** شخصية **محمد أسد**[1] وقد كان هذا الأخير تأثر تأثرا كبيرا بالسيد **أحمد الشريف** وأحبه حبا عظيما فقد رأى فيه مثالا للمسلم المستوعب لحقيقة الإسلام .وعليه قال **محمد أسد** : ((**ليس في الجزيرة العربية كلها شخص أحببته كما أحببت السيد أحمد ، ذلك أنه ما من رجل ضحى بنفسه تضحية كاملة مجردة عن كل غاية في سبيل مثل أعلى ، كما فعل هو . لقد وقف حياته كلها عالما ومحاربا ،على بعث المجتمع الإسلامي بعثا روحيا ، وعلى نضاله في سبيل الاستقلال السياسي ذلك أنه كان يعرف جيدا أن الواحد لا يمكن أن يتحقق من دون الآخر**)) [2].

لقد أحب **محمد أسد** أحمد الشريف وتفاعل مع القضية الليبية ، وكان يمضي معه وبصحبة السيد الزاوي (**أحد المقربين للسيد أحمد الشريف**) الأوقات الطوال للتباحث في وضعية المجاهدين وعقدوا الاجتماعات الطويلة لهذا الغرض وخاصة فيما يتعلق بإمكانية إيجاد الوسيلة التي يمكن منت خلالها نقل المساعدات للإخوة المجاهدين . ومما يلاحظ أن **محمد أسد** كان معجبا غاية الإعجاب بالإخوة السنوسيين ،ومما يؤكد ذلك قوله : ((**لم يكن اهتمامي البالغ بمصير السنوسيين ناشئا من إعجابي ببطولتهم المتناهية في قضية عادلة مقسطة فحسب ، بل إن ما كان يهمني من ذلك هو ما كان يمكن أن يحدثه انتصار السنوسيين من تأثير على العالم العربي بأكمله إذ أنني لم أستطع أن أرى في العالم الإسلامي كله إلا حركة واحدة كانت تسعى صادقة إلى تحقيق المجتمع الإسلامي المثالي :الحركة السنوسية ،التي كانت تحارب الآن معركتها الأخيرة في سبيل الحياة وبسبب أن السيد أحمد كان يعرف مبلغ عطفي الشديد على القضية السنوسية ، فقد التفت إلي وسدد نظره إلى عيني وسألني قائلا : هل تذهب يا محمد إلى برقة بالنيابة عنا ، فتقف على ما يمكن صنعه للمجاهدين؟لعلك تستطيع أنم ترى الأمور بأجلى مما يراها بنو قومي ...**)) [3] .

---

[1] اسمه ليوبولد فايس ، أصله نمساوي ،كان يهوديا ثم راح يبحث عن الحقيقة حتى اهتدى إلى الإسلام وأصبح من المفكرين المسلمين البارعين ،أدى فريضة الحج ، زار عدة بلدان إسلامية وساهم في دعم حركة الجهاد في ليبيا على عهد عمر المختار . من أهم كتبه : الإسلام على مفترق الطرق ، الطريق إلى الإسلام . أنظر :
عبد المعطي الدالاتي ، هكذا أسلم المفكر محمد أسد (لبوبولد فايس) ،الأنترنت ، موقع صيد الفوائد ، 22 ديسمبر 2008 .

[2] محمد أسد ، الطريق إلى الإسلام ، ترجمة وتحقيق عفيف البعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة التاسعة ، 1997، ص253.

[3] نفسه، ص 265.

وافق **محمد أسد** على هذه المهمة الشاقة والشيقة ، فهي شاقة نظرا لما يكتنفها من مخاطر الطريق ، وهي شيقة لأن محمد أسد سيلتقي بالمجاهدين الليبيين الذين طالما ظل يحلم برؤية وجوههم ،وفي مقدمتهم المجاهد القائد الشيخ عمر المختار،وأقسم **محمد أسد** بالقرآن العظيم أن يبقى أمينا للمجاهدين . وبعد أن قام بترتيب أمور الرحلة ، واتصل بأتباع الحركة في مصر شرع في تنفيذ المهمة ، وتمكن من الوصول إلى منطقة الجبل الأخضر في برقة أين يتواجد المجاهدون بقيادة الشيخ عمر المختار. وبعد وصوله ناول **محمد أسد** الكتاب الذي حمله إياه أحمد الشريف إلى الشيخ عمر المختار ،فقرأه هذا الأخير باهتمام وعناية ثم طواه ووضعه لحظة فوق رأسه ، ويعلق **محمد أسد** على هذه اللقطة بقوله : ((**وهي أمارة الاحترام والحب لا يكاد يراها في جزيرة العرب ولكنه كثيرا ما يراها في شمال إفريقيا**)) [1].

يذكر **محمد أسد** أن الشيخ عمر المختار التفت إليه وقال له :((**لقد أطراك السيد أحمد أطال الله عمره في كتابه ، أنت على استعداد لمساعدتنا ولكن لأعلم من أين يمكن أن تأتينا النجدة إلا من الله العلي الكبير ،إننا حقا على وشك أن نبلغ نهاية أجلنا**)). فقلت:((**ولكن هذه الخطة ألا يمكن أن تكون بداية جديدة؟ وإذا أمكن الحصول على المؤن والذخائر من الكفرة أفلا يمكن صد الايطاليين ؟**)) فكان جوابه ((**الكفرة؟ لقد خسرنا الكفرة ، فالايطاليون قد احتلوها منذ أسبوعين تقريبا**)) [2].

ذهل **محمد أسد** عندما سمع بسقوط الكفرة لأن الخطة التي رسمها مع أحمد الشريف كانت تقوم على أساس أن تكون الكفرة نقطة تجمع لتقوية المقاومة . وتعرف **محمد أسد** من أحد الكفريين الذين كتبت لهم النجاة عن كيفية سقوط الكفرة والجرائم التي ارتكبها العدو في حق أهلها ،ثم أن عمر المختار قربه إليه وقال له : ((**إنك تستطيع أن ترى يابني أننا قد اقتربنا فعلا من نهاية أجلنا ، إننا نقاتل لأن علينا أن نقاتل في سبيل ديننا وحريتنا وليس لنا أن نختار غير ذلك ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد أرسلنا نساءنا وأولادنا إلى مصر كيما نطمئن على سلامتهم متى شاء الله لنا أن نموت**)) [3].

اتفق عمر المختار مع **محمد أسد** على طريقة إمداد المجاهدين بالمؤن والعتاد والذخيرة عن طريق الطريق التي جاء منها **محمد أسد** مع إنشاء مستودعات سرية في واحات بحرية وفرفرة وسيوة ، وكان عمر المختار قد وصل إلى مرحلة أصبح يشك فيها من إمكانية الإفلات من الرقابة الايطالية بهذه الطريقة مدة طويلة ، وقد صدقت ظنونه بعد بضعة أشهر عندما تمكنت قافلة تحمل المؤن والذخائر من الوصول فعلا إلى المجاهدين إلى أن الايطاليين اكتشفوا مرها عندما كانت تسير بين الجغبوب وجالو ، فأنشأوا مركزا محصنا في منطقة بير طرفاوي في منتصف الواحتين السابقتين ، وبالتالي أصبح أي مسعى آخر من هذا النوع يشكل خطرا كبيرا [4].

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 595 .
[2] محمد أسد ، المرجع السابق ، ص 276 .
[3] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص ص 596-597 .
[4] محمد أسد ، المرجع السابق ، ص 280 .

عمر المختار في الأسر :

ظل الشيخ عمر المختار في منطقة الجبل الأخضر يقاوم الطليان ، وكان من عادته أن يتنقل في كل سنة من مركز إقامته إلى المراكز الأخرى التي يتواجد فيها المجاهدون ليتفقد أحوالهم ، وكان يصطحب معه قوة كافية تتكفل بحراسته ضد العدو الذي يتربص به و يترصده في كل زمان ومكان ، ولما أراد الله تعالى أن يختم له بالشهادة ذهب الشيخ عمر المختار في هذه السنة (1931) في عدد قليل من أصحابه لا يتجاوز مئة فارس غير أنه استبقى منهم أربعين فارسا ورد البقية. وهم في الطريق إلى المراكز المذكورة مر القائد عمر وأصحابه على منطقة تعرف باسم **وادي الخريب** وكانت صعبة المسالك فباتوا فيها ليلتين، فعلمت قوات الاحتلال -عن طريق جواسيسها المتواجدين في كل مكان- بهم . وأعطى قادتها الأمر لهذه القوات بتطويق منطقة الوادي من جميع الجهات . وعليه فقد أحاط الايطاليون بالأسد المغوار وأصحابه الذين وجدوا أنفسهم وسط العدو [1] .

أمام هذا الأمر لم يكن أمام المجاهدين أي خيار سوى خيار المقاومة ، ودارت معركة غير متكافئة بين الطرفين ومع ذلك فقد استطاع المجاهدون أن يوقعوا بعدد كبيرمن جنود العدو ،وسقط عدد من المجاهدين شهداء ، وأصيب الشيخ عمر المختار بجروح بليغة في يده ووقعت يده السليمة تحت فرسه الذي أصيب بضربة قاتلة فلم يتمكن من سحبها فحاول أصحابه إنقاذه غير أن رصاص العدو حصد أغلبهم فهاجم الجنود الطليان على الأسد الجريح دون أن يعرفوه في أول الأمر، و كان ذلك في 09 سبتمبر 1931 ثم أنهم تعرفوا عليه عن طريق أحد الخونة فتم أسره ونقلوه على جناح السرعة إلى ميناء سوسة بسلنطة . ووصل الخبر سريعا إلى حاكم منطقة الجبل **داود ياتشي** الذي حضر مسرعا على متن طائرة عسكرية إلى سلنطة وأدرك أن الأسير هو عمر المختار حقا ، وأعطى الأمر بنقله إلى بنغازي ، وتم تنفيذ هذا الأمر ونقل الأسد الأسير عن طريق الطراد **أورسيني** (زورق بحري) إلى بنغازي [2] .

يذكر "**غراسياني**" في كتابه " برقة الهادئة" : ((**أثناء الرحلة من سوسة إلى بنغازي تحدث معه بعض السياسيين التابعين لإدارتنا ووجهوا إليه الأسئلة ، فكان يجيب بكل هدوء وبصوت ثابت وقوي دون أي تأثر بالموقف الذي هو فيه . وفي يوم 12 سبتمبر 1931 على الساعة الخامسة مساء وصل الطراد أورسيني إلى ميناء بنغازي حاملا معه الأسير عمر المختار**)). و يقف هذا السفاح مندهشا ومتعجبا من هذا الشيخ الذي ظل يقلق الايطاليين مدة طويلة فيقول : ((**هذا الرجل أسطورة الزمان الذي نجا آلاف المرات من الموت ومن الأسر واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام ، لأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية "الإسلامية " في برقة، وكذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة والآن وقع أسيرا في أيدينا**)) [3] .

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، السنوسية دين ودولة ، ص 313.
[2] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص 146 .
[3] غراسياني رودلفو ، برقة الهادئة ، ص 274 .

عمر المختار في السجن :

لم يسمح الايطاليون في بنغازي لأي مراسل صحفي أو أي جريدة بنشر أخبار أو إجراء مقـــابلات مع الشيخ عمر المختار[1] ، وكان على رصيف ميناء بنغازي مئات المشاهدين **الذي** شهدوا أســد برقـــة وهو مكبلا في الأغلال محاطا بالجنود المدججين بالسلاح ، وعليه فلم يستطع أحد الاقتراب منه . بعد ذلك نقل عمر المختار على متن سيارة السجن إلى سجن بنغازي ووضع تحت الحراسة الشديدة .

يذكر **إبراهيم سالم بن عامر** – مترجم كتاب برقة الهادئة – أنه كتب له أن يتكلم مع بطـــل الجهـــاد عمر المختار وهو في سجن بنغازي فيقول : ((**كنت من الذين أسعدهم الحـــظ أن يتكلمـــوا مـــع بطـــل الجهاد عمر المختار أثناء قيامه في سجن بنغازي ، فقد أوقفوا كل الأهالي المعتبرين في مراكز الأمـــن والسجون ، وكان نصيبي في سجن بنغازي المركزي وعندما أتي بعمـــر المختـــار غيـــروا الحـــراس المحليين بحراس ارتيريين والموظفين بالايطاليين من الحزب الفاشيســـتي ، وبعـــد أن أودعـــوه فـــي الزنزانة كان هناك سرير من خشب وقماش وعلى الأرض قطعة من السجاد البالي لأجل وقع الرجلين عليها فسحبها الشهيد بقرب الجدران وجلس عليها واستند على الجدران ومد رجليـــه إلـــى الأمـــام وعندما كان مدير السجن يتجول على زنزانات السجناء رأى الشهيد جالسا على الأرض ولم يســـتطع أن يسأله لماذا هو جالس على الأرض. ولأن المدير لا يعرف العربيـــة فنـــاداني مـــن بـــين الســـجناء السياسيين وطلب مني أن أترجم سؤاله فسألت الشهيد ، فأجاب بصوت هادر كالأسد الهصور : قل لـــه أنا اعرف أين أجلس لا يحمل هما هذا ليس من شأنه . فترجمت الكلام فا نصعق المدير واصفر وجهـــه وقال : هيا ارجع إلى مكانك بلهجة الأمر غير أن قلبي كاد يطير من صدري فرحا عندما ســـمعت هـــذه الإجابة القاطعة . رحم الله عمر المختار كم كان عظيما وهو قائم وأعظم وهو أسير))** [2]

عندما أسر عمر المختار كان سفاح ليبيا الجنرال "**غراسياني**"(**Grasyani**) يقضـــي إجـــازة فـــي ايطاليا وكان يستعد للسفر إلى باريس ، وعندما وصله خبر الأسر استقل طائرة نقلته مباشرة إلى طرابلس التي وصلها يوم 13سبتمبر 1931 . وبعد وصوله مباشرة اتفق مع الماريشال **بادليو** (الحاكم العام لليبيـــا) على أن تنعقد المحكمة الطائرة في أسرع وقت ممكن .ثم تابع سفره إلى بنغازي التـــي وصـــلها فـــي 14 سبتمبر 1931 . وفي اليوم الموالي طلب السفاح "**غراسياني**" من المكلفين بســـجن عمـــر المختـــار أن يحضروه إليه في مكتبه ، فجيء به إليه مقيدا بالأغلال، وأما م هذا الرجل الحقير الـــذليل التافـــه وقـــف البطل الأشم عمر المختار، ورغم التعب الذي كان عليه إلا أنه كان يحمل بين جنبيه نفسا عزيزة ترفض التذلل للظلم والظالمين رغم أنها تعرف مصيرها ، فسأله "**غراسياني**" عدة أسئلة فأجاب عليها بكل شجاعة

---

[1] هذا الموقف يذكرنا بتصرف فرنسا مع الأمير عبد القادر الجزائري عندما أخذ إلى الأمبواز سنة 1848 وعاملته معاملة الأسرى أو مجرمي الحرب ولم تسمح لوسائل الإعلام الاتصال به .

[2] غراسياني رودولفو ، المرجع السابق ، ص ص 274-275 .

و قوة . وكان بينهما الحوار التالي :

سأل غراسياني عمر المختار :

- لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشيسية ؟

ج- لأن ديني يأمرني بذلك .

س- إذا ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه ؟

ج- لاشيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون ، أما الحرب فهي فرض علينا وما النصر إلا من عند الله .

س- لكن كتابك يقول : {**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** } البقرة 195 .

بمعنى :لا تجلبوا الضرر لأنفسكم ولا لغيركم من الناس ، القرآن يقول هذا .

ج- نعم .

س- إذا لماذا تحارب ؟

ج- كما قلت من أجل وطني وديني .

قال "**غراسياني**"(**Grasyani**): فما كان مني إلا أن قلت له: ((**أنت تحارب من أجل السنوسية تلك المنظمة التي كانت السبب في تدمير الشعب والبلاد على السواء ، وفي الوقت نفسه كانت هذه المنظمة تستغل أموال الناس بدون حق ، هذا هو الحافز الذي جعلك تحاربنا لا الدين ولا الوطن كما قلت**)). فنظر إلي عمر المختار نظرة حادة كالوحش المفترس وقال: ((**لست على حق فيما تقول و لك أن تظن ما ظننت ، ولكن الحقيقة الساطعة التي لا غبار عليها أنني أحاربكم من أجل ديني ووطني لا كما قلت**)) .

استمر "**غراسياني**" في طرح أسئلته على الشيخ المجاهد والأسد الأسير عمر المختار ، وكانت أسئلة استفزازية مصبوغة بالصبغة الفاشيستية التي تعلمها "**غراسياني**" من سيده الديكتاتور **موسوليني** ، ومع ذلك فقد ظل السيد عمر المختار ثابتا لم تخفه نبرات هذا السفاح ولا تهديداته ، وكان يجيب على كل سؤال بما لديه من معرفة بالإجابة ، وبالقدر الذي كانت فيه الأسئلة استفزازية كانت أجوبة عمر المختار تحديا لجبروت "**غراسياني**" بل لطغيان الاحتلال ، الأمر الذي جعل غراسياني يعترف بذلك ويقول :

((**لقد خرج من مكتبي كما دخل علي وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير**)) [1] . وكانت آخر كلمة قالها "**غراسياني**" للشيخ عمر المختار: ((**إني لأرجو أن تظل شجاعا مهما حدث لك أو نزل بك**)) وهي كلمات تدل على الجبن والدناءة ، ومعناها أنك يا مختار سوف تعدم شنقا فلا تجبن أمام المشنقة [2].

---

[1] المرجع السابق ، ص ص 279-285 .

[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 613 .

محاكمة الشيخ عمر المختار :

في ذات اليوم الذي استجوب فيه "**غراسياني**" عمر المختار عقدت المحكمة الاستعمارية ، وذلك يوم الثلاثاء 15 سبتمبر (أيلول الأسود) 1931 على الساعة الخامسة مساء ، وكان انعقادها في مركز إدارة الحزب الفاشيستي في بنغازي . وكانت محاكمة صورية ، ولا أدل على ذلك من أن الايطاليين كانوا قد أعدوا المشنقة يوما قبل المحاكمة وانتهوا من ترتيب أمنور الإعدام ولم يبق أمامهم سوى تنفيذ الحكم الذي لم يصدر بعد.ولم تكن مدة المحاكمة سوى ساعة وربع **(من الساعة الخامسة مساء حتى الساعة السادسة والربع)** .

جيء بالسيد عمر المختار إلى القاعة - التي انعقدت فيها جلسة المحاكمة - مكبلا بالحديد وحوله الحرس .وخلال الجلسة اعتمد المدعي العام " **بيدندو**" (BIDANDO) على أحد التراجمة يسمى **نصرت هرمس** ، وعندما افتتحت الجلسة وبدأ استجواب الشيخ غمر المختار ، بلغ التأثر بالترجمان حدا جعله لا يستطيع إخفاء تأثره وظهر عليه الارتباك فاستبعد واستبدي بترجمان يهودي يسمى" **لمبروزو** " (LAMPROZO) .وكنت التهمة التي وجهت الشيخ عمر المختار الاعتداء على سلامة الدولة وعلى أمن البلاد وتهمة قطع الطريق [1] .

بعد استجواب السيد عمر المختار وقف المدعي العام " **بيدندو**" (BIDANDO) وطلب من رئيس الجلسة الحكم على عمر المختار بالإعدام ، ثم أحيلت الكلمة إلى المحامي المنتدب للدفاع عن عمر المختار وكان ضابطا إيطاليا شابا يدعى الكابتن "**اونتانو**" (ONTANO) فقال هذا المحامي الشاب :

سيدي القاضي : ((**إن هذا المتهم الذي انتدبت للدفاع عنه لو أني التقيت به في الشارع لما ترددت لحظة في أن أشهر عليه مسدسي هذا وأرديه قتيلا ،لأنه عدوي وعدو دولتي ... غير أن ما أريد أن أقوله إن عمر المختار إنما يدافع عن حقيقة كلنا نعرفها ، وهي الوطن الذي طالما ضحينا نحن في سبيل تحريره ، إن هذا الرجل هو ابن لهذه الأرض فبل أن تطأها أقدامكم ،وهو يعتبر كل من احتلها عنوة عدوا له ، ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة ، حتى يخرجه منها أو يهلك دونها ، وهذا حق منحته إياه الطبيعة والإنسانية**))[2].

---

[1] عز الدين إسماعيل وآخرون ، عمر المختارشيخ الشهداء ، ص 104 .
[2] نفسه ، ص 106 .

ارتفعت أصوات الاحتجاج مطالبة بإخراج المحامي من القاعة،ولكن المحامي المخلص لواجبه تابع يقول : ((**إن العدالة الحقة لا تخضع للغوغاء، وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا .إن عمر المختار شيخ هرم قد أحنت السنون ظهره . وماذا أبقت يه من العمر بعدما أتم السبعين سنة ؟! وإني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة فتخفف العقوبة عنه ، لأنه صاحب حق ولن يضير العدالة إذا هي أنصفته بحكم أخف ، وإني آمل أن تحذر عدالة محكمتكم حكم التاريخ ، فهو لا يرحم ، إن عجلته تدور،وتسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب**)) [1].

عندها قام المدعي العام ليواصل احتجاجه غير أن القاضي قاطعه برفع الجلسة للمداولة ...وإصدار الحكم الذي أعلن عنه القاضي بعد ربع ساعة ،وهو إعدام عمر المختار شنقا، ولم يكن هذا الحكم مستغربا فقد دأب الاستعمار على مثل هذه الأحكام التعسفية ..وعندما ترجم مضمون الحكم إلى عمر المختار ضحك ، وقال بكل شجاعة :

((**الحكم حكم الله لا حكمكم المزيف ، إنا لله وإنا إليه راجعون**)) [2] .

إعدام الشيخ المجاهد :

بعد صدور الحكم بإعدام الشيخ المجاهد ، لم يبق أمام زبانية الاحتلال الايطالي سوى تنفيذ الحكم ، فقد تقرر تنفيذه في اليوم الموالي مباشرة ، وقبل التنفيذ راحت السلطات الايطالية خلال اليوم السابق لتنفيذ الحكم تعمل على نقل المعتقلين بالسيارات والقطارات من مختلف سجون المنطقة إلى مدينة سلوق – جنوب بنغازي- التي اختيرت مكانا لتنفيذ الإعدام ، وبهذه الطريقة وانطلاقا من الحقد الاستعماري الأسود تمكن الايطاليون من حشد الجموع الغفيرة التي قدر عددها بنحو عشرين ألفا ، امتلأت بهم الساحة المعدة لتنفيذ حكم الإعدام في شيخ المجاهدين عمر المختار، وكان هدف الايطاليين من وراء حشد هذه الجماهير التلذذ بمشاهدة هؤلاء وهم يتعذبون برؤية قائدهم معلقا بحبل المشنقة .

في الساعة التاسعة من صباح الأربعاء 16 سبتمبر 1931 اصطف عدد من المعتقلين وقد أحاط بهم جنود الاحتلال ، وجيء بشيخ المجاهدين عمر المختار إلى الساحة المذكورة ، الذي سار بخطى ثابتة وشجاعة نادرة إلى حبل المشنقة وهو يردد الشهادتين، وصعدت روحه الطاهرة إلى بارئها ، ولسان حاله يردد قول القائل :

اشنقوني فلست أخشى حبالا   واصلبوني فلست أخشى حديدا

وقول القائل :

اقتلوني مزقوني أغرقوني في دمائي   لن تعيشوا فوق أرضي لن تطيروا في سمائي

---

[1] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 614 .
[2] غراسياني رودلفو ، المرجع السابق ، ص ص 286-287 .

بذلك طويت صفحة من صفحات الجهاد والمقاومة في ليبيا ،كان بطلها وحامل لوائها الأسد الهصور عمر المختار، وأصبح شيخ المجاهدين منذ تلك اللحظة **شيخ الشهداء** .فلقد استجاب الله دعاءه وجعل موته في سبيل عقيدته ودينه ووطنه ، لقد كان يدعو : ((**اللهم اجعل موتي في سبيل هذه القضية المباركة**)) [1].

لقد كان عمر المختار مختارا حقا ، كان مثالا للوطنية الصادقة فقد رفض التنازل عن شبر من التراب الليبي رغم المغريات والمساومات والعروض التي تلقاها من هنا وهناك ،فضرب بها كلها عرض الحائط لأنها جميعا لا تساوي ذرة من تراب الآباء والأجداد .وبذاك أعطى المثل من نفسه ،حتى شهد له الأعداء قبل الأصدقاء، فقد كتبت جريدة التايمز البريطانية مقالا نشر في عددها الصادر يوم 17 سبتمبر 1931 تحت عنوان نصر ايطالي :

((**حقق الايطاليون انتصارا خطيرا ونجاحا حاسما في حملتهم على المتمردين السنوسيين في برقة ، فلقد أسروا وأعدموا الرجل الرهيب عمر المختار شيخ القبيلة العنيف الضاري ... ومن المحتمل جدا أن مصيره سيشل مقاومة بقية الثوار ، والمختار الذي لم يقبل أي منحة مالية من ايطاليا ، وانفق كل ما عنده في سبيل الجهاد وعاش على ما كان يقدمه له أتباعه ، واعتبر الاتفاقيات مع الكفار مجرد قصاصات ورق ، كان محل إعجاب لحماسته وإخلاصه الديني ، إنه كان مرموقا لشجاعته**)) [2] .

لقد عاش عمر المختار حياة عامرة بالعلم والعمل والجهاد في سبيل الله وظل ممتطيا صهوة جواده ممسكا سلاحه لا يكل ولا يمل ،وكأنه بذلك يتمثل قول أبي الطيب المتنبي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فلم يهادن ولم يستسلم بل إنه واجه عدوه الند للند رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة ، ولكنه كان مؤمنا بعدالة قضيته وقبل ذلك مؤمنا بربه فمضى مجاهدا نحو تحقيق الهدف لا ترعبه أية قوة ولا تخيفه أية عدة .ذالكم هو المختار الذي حاولنا أن نقف على هذه الصفحات من حياته ، ونحن ندرك تمام الإدراك أننا لم نستوف هذه الدراسة حقها ، غير أننا ساهمنا بجهد المقل في التعريف بهذه الشخصية التي أضاءت سماء العروبة والإسلام وحملت لواء الجهاد ضد الاستعمار الأوروبي، وخاصة الاستعمار الايطالي الذي جاس خلال الديار وارتكب الجرائم الفظيعة في حق الليبيين . ويذكر" **غراسياني** (**Grasyani**)" في مذكراته قصة وداعه لطرابلس فقال : ((**وداعا طرابلس أرض آلامي وعذابي، غير أنه تبقي في روحي ، وداخل نفسي ذكريات كل حجر مرتفع في جبالك ، وفي صحرائك الواسعة ، ولكن لن ينطفئ أبدا آلمي وعذابي من أجل إفريقيا وأنت يا طرابلس ...**)) [3]

---

[1] محمد الطيب الأشهب ، عمر المختار ، ص ص 159-160 .

[2] علي محمد محمد الصلابي ، المرجع السابق ، ص 618.

[3] رودولفو غراسياني ، المرجع السابق ، ص ص 82-83

الخاتمـــــــــــــــــــــــــة

لقد تميز القرن التاسع عشر بأنه قرن الثورات والأفكار والاتجاهات والحروب والصراعات وقرن الحركات والتنظيمات التي ظهرت في مختلف المناطق والقارات ، ومن بينها البلاد العربية التي عرفت خلال هذه الفترة ظهور عدة حركات حملت على عاتقها مهمة الإصلاح وإعادة بناء المجتمع العربي والإسلامي الذي أصبح مطمعا ومطمعا للاستعمار. وكان من بين هذه الحركات الإصلاحية الحركة الوهابية التي تزعمها محمد بن عبد الوهاب ، وحركة جمال الدين الأفغاني ثم الحركة السنوسية التي تنسب إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي والتي كانت محل دراستنا . ومن خلال هذه الدراسة توصلت إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات التي من أهمها :

- أن الحركة السنوسية حركة دينية ودعوة إسلامية إصلاحية تجديدية روحية قامت على أساس الكتاب والسنة ، وكانت بذلك مخالفة لكثير من الطرائق الصوفية التي غلب عليها طابع الابتداع في الدين.
- إنها حركة أخذت بالمنهج الشمولي للإسلام فجمعت بين العلم والعبادة والعمل ، واستطاعت بذلك أن تصنع المريدين الذين فهموا الإسلام فهما صحيحا من حيث أنه دين ودولة وعقيدة وشريعة وحققوا بذلك معنى التوازن والاعتدال مصداقا لقول الله تعالى : { **وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا...** } سورة القصص ، الآية : 77
- لقد استوعبت الحركة السنوسية الحركية التاريخية وأدركت أن التغيير الايجابي لمعالم الحياة ينطلق من التغيير الذاتي ، وعليه فقد راح السنوسيون يعكفون على إصلاح المجتمع وإعداده تربويا حتى يكون قادرا على مواجهة التحديات المحدقة به ، وهذا ما تجسد فعلا من خلال حركة المقاومة ضد الايطاليين التي أكدت مدى استبسال الإخوة السنوسيين في سبيل تحرير وطنهم من هؤلاء المعتدين.
- لقد استفاد السنوسيون من الأخطاء التي وقعت فيها بعض الحركات الإصلاحية كالوهابية عندما دخلت هذه الحركة في مواجهة مباشرة مع السلطة السياسية الممثلة في الدولة العثمانية . وعليه فإن السنوسيين وطنوا أنفسهم على تجنب الصدام والمواجهة مع السلطة المركزية العثمانية ، بل إنهم في كثير من الأحيان مدوا إليها يد المساعدة ، وكانت توصيات القادة إلى المريدين تحث على ضرورة تحسين العلاقة مع العثمانيين في كل الأحوال ، ومن جهتها فإن الدولة العثمانية أقرت بهذه العلاقة الحسنة وأوعزت إلى حكام ليبيا بضرورة توثيق العرى مع السنوسيين ومساعداتهم قدر الإمكان.

  وعليه فإن الحكام العثمانيين في ليبيا في بعض الأحيان أغدقوا على السنوسيين بالمساعدات والإعانات التي مكنتهم من القيام بواجب الدعوة في المناطق الإفريقية .
- لقد تبين من خلال البحث أن قادة الحركة السنوسية وفي مقدمتهم محمد بن علي السنوسي وأحمد الشريف السنوسي كانوا حريصين على إعطاء البعد الإسلامي العالمي للحركة، فإذا كانت جذور

الحركة في الجزائر فإنها أورقت في الحجاز لتتفرع أغصانها وتؤتي أكلها في مناطق مختلفة من

العالم وفي مقدمتها ليبيا والجزائر وتونس ومن هذه المناطق إلى دول إفريقيا جنوب الصحراء ، وامتد نفوذها إلى عاصمة الدولة العثمانية وكان صداها قد وصل إليها قيل أن يعرف الأتراك رجالات الحركة وفي مقدمتهم أحمد الشريف السنوسي الذي نال إعجاب الأتراك إلى درجة أن اقترح عليه بعضهم منصب خليفة المسلمين وخاصة بعد أن ظهرت النوايا الحقيقية لمصطفى كمال أتاتورك.

- كان ظهور ثورة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895) -المؤيد من طرف السنوسيين- في الصحراء الجزائرية دليلا واضحا على نضج الحركة السنوسية واستيعابها للدور الحقيقي الذي ينبغي أن تقوم به ضد الاستعمار الذي جاس خلال الديار ، وكان التقاء الشريف محمد بن عبد الله بالسيد محمد بن علي السنوسي بالحجاز واتفاقهما على تفعيل نشاط المقاومة في الجزائر تدشين لسلسلة من الأنشطة تواصلت حلقاتها بعد ذلك ، وعليه فليس عجبا أن يلتقي الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة ويتفقان على ضرورة القيام بعمل جاد من شأنه أن يعيد الاعتبار للشخصية الجزائرية التي حاول الاستعمار عبثا طمس معالمها .
- لقد مثلت ثورة الشريف محمد بن عبد الله بحق البعد المغاربي للحركة السنوسية ، ولو لم تكن كذلك لما كان ابن عبد الله من حين لآخر يتخذ من المناطق التونسية قاعدة خلفية لنشاطه الثوري ، وتعتبر الزاوية الرحمانية بنفطة والتي أسسها مصطفى بن عزوز خير شاهد على ذلك فقد كانت ملجأ لكثير من القادة الثوريين من أمثال محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة .
- تمكن السنوسيون من خلال ثورة الشيخ عمر المختار وغيرها من حركات المقاومة الشعبية من قض مضاجع الا ستعمار الايطالي الذي تلقى الضربات الموجعة على يد هؤلاء الأبطال الذين تخرجوا من الزوايا السنوسية ، وأعطوا بذلك الدليل القاطع والبرهان الساطع على أن هذه الزوايا ليست كما يعتقد الكثيرون من أنها مراكز للدروشة والانقطاع للشعائر التعبدية المحضة ، بل هي مدرسة جامعة يتخرج منها المقاومون الرافضون للاستعمار الذي طالما حذر منه الشيخ المؤسس محمد بن علي السنوسي .
- لقد استطاع الشيخ عمر المختار رغم تقدم سنه ووهن عظمه أن يقف كالجبل الأشم في وجه الاستعمار ويرفض الخضوع والخنوع لسياسة الاحتواء رغم الإغراءات التي حاول الاستعمار أن يستميله بها ، فأعطى عمر المختار الدليل على أنى قضية الوطن ليست معروضة للمساومة والمتاجرة مهما كان الثمن .
- إذا كانت الحركة الوهابية في المشرق نواة لدولة في المشرق العربي هي المملكة العربية السعودية فإن الحركة السنوسية كانت نواة لدولة في المغرب العربي هي المملكة المتحدة الليبية .
- تبين من خلال ما تقدم على أن الاستعمار هو الاستعمار حتى وإن باعدت بينه الديار، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالعالم العربي والإسلامي من حيث أن الاستعمار الايطالي لم يختلف عن الاستعمار

الفرنسي الذي استعمل هو الآخر مختلف الوسائل والأساليب للقضاء على حركة المقاومة في الجزائر

وفي غيرها من البلاد العربية التي أخضعها لسلطانه تماما كما فعل الايطاليون في ليبيا ،ولا أدل علـــى ذلك من الجرائم التي ارتكبوها في منطقة الكفرة.

وفي الختام لا أزعم أنني وفيت الموضوع حقه كاملا غير منقوص ، بل إن طبيعة هــذا الموضـــوع تقتضي مزيدا من البحث العلمي المدعم بالشواهد والحقائق التاريخية التي من شـــأنها أن تضـــفي علـــى الموضوع مصداقية أكثر . والله حسبي وهو نعم الوكيل.

الملاحق

الملحق الأول : وثائق أرشيفية حول الحركة السنوسية :

رقم الوثيقة	عنـــــــــوان الوثيـــــــــــــقة
01	رسالة إلى الحاكم العام بالجزائر عن طريق القنصل العام الفرنسي بطرابلس يخبره فيها بمرور ثلاثة من الأهالي الجزائريين بالأراضي الليبية وتوقفهم بالزاوية السنوسية بالجبل الأخضر أثنا ء عودتهم من الحج عن طريق البر.
02	رسالة من الحاكم العام" شانزي" (Chanzy) بالجزائر إلى وزارة الخارجية الفرنسية تتضمن تقريرا بعث به السيد" فيرو"(Féraud)عن نتائج مهمته عن الطرق الدينية بأنحـــاء طبرق.
03	رسالة من القنصل العام الفرنسي بطرابلس إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول الظروف التي دعت الشيخ السنوسي إلى عقد اجتماع في بنغازي.
04	رسالة من مسير القنصلية العامة الفرنسية بطرابلس إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية حول الاجتماع المنعقد ببنغازي عن الطريقة السنوسية.
05	رسالة من الفريق العام لشؤون الأهالي إلى السيد الحاكم العام للجزائر تتضمن معلومات عن سانجيلو و روزاريس القاطنين بطبرقة و تبسة و تجارتهما غير الشرعية.
06	رسالة من الفريق العام لشؤون الأهالي إلى الحاكم العام المدني تتضمن تقريرا عن أحد أتباع الطريقة السنوسية يمكن أن تكون عنده معلومات عن هذه الطريقة .
07	تقرير و ملاحظات عن حياة سي محمد السنوسي أعده محـــافظ مكتـــب شـــؤون الأهـــالي بوهران.
08	رسالة من محافظ مقاطعة وهران إلى الحاكم العام بالجزائر حول الطريقة الدينية السنوســـية بمعسكر.
09	رسالة من وزارة الخارجية الفرنسية للحاكم العام المدني بالجزائر حول مراسلة من الحـــاكم العام بطرابلس حول الأوضاع الجارية في مقاطعة بنغـــازي والصـــعوبات التـــي يواجههـــا الفرنسيون من طرف السنوسيين .
10	رسالة وزارة الخارجية إلى الحاكم العام بالجزائر الجنرال شـــانزي (Chanzy) بشـــأن تطورات الزاوية السنوسية و تعاونها مع السلطات العثمانية .

المصدر:

- Archives d'outre –mer (A.O.M), à AIX ,16 H 56.

Ordre religieux

Résidence Française
à Tunis.

Tunis le 4 Juin 1886

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE N° 4418 14/6 1886 7e BUREAU

GOUVERNEUR GÉNÉRAL DE L'ALGÉRIE 9 JUIN 1886 20281 CABINET

Monsieur le Gouverneur Général,

Notre Consul Général à Tripoli vient de me signaler le passage dans la ville de sa résidence de trois indigènes Algériens revenant du pèlerinage par terre et que le Vice Consul de Ben Ghazzi lui a indiqué comme ayant probablement fait un pèlerinage à la Zaouia Senoussienne du Djebel El Akhdar.

Ces indigènes ont fait viser leurs passeports au Consulat Général de France à Tripoli, où l'on a pu relever les annotations inscrites sur leur passeports par Mr Ricard à Ben Ghazzi annotations dont je vous —

Classer

Lu avec grand soin la lettre du Consul de Tripoli

Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie
Alger

الوثيقة رقم 1 - رسالة إلى الحاكم العام بالجزائر عن طريق القنصل العام الفرنسي بطرابلس يخبره فيها عن مرور ثلاثة من الأهالي الجزائريين بالأراضي الليبية وتوفقهم عند الزاوية السنوسية بالجبل الأخضر أثناء عودتهم من الحج عن طريق البر.

N° 8

Envoi au rapport de M. l'Interprète Principal Féraud sur sa mission le long de la côte Barbaresque

Alger le 13 Janvier 1877

Monsieur le Ministre (Affres Etrangères)

J'ai eu l'occasion, à diverses reprises, de vous entretenir de l'ordre religieux musulman de Si Senoussi, qui a pris naissance dans le Djebel Lakhdar de la Tripolitaine et dont les tendances hostiles à la domination française s'accentuent de jour en jour.

Pour éviter de donner un caractère officiel aux recherches que je voulais faire entreprendre sur les agissements de cette secte, j'ai fait partir, à bord du Cassard, ainsi que vous en avez été informé, M. Féraud Interprète militaire principal attaché au Gouverneur général, en qui j'ai la plus grande confiance.

M. Féraud vient de me transmettre un rapport très complet sur les résultats de sa mission, et je ne crois pouvoir mieux faire que de vous envoyer une copie de cet intéressant travail, en appelant tout spécialement votre haute attention sur la situation des affiliations religieuses le long de la côte Barbaresque orientale, sur les dispositions des populations musulmanes vis à vis des chrétiens, sur les menées de certains agents étrangers, enfin sur le commerce de la poudre.

Veuillez

Signé - Chanzy

P. S. Le rapport de M. Féraud a été adressé pour moi. Je l'ai trouvé très intéressant et j'ai tenu à en rien retrancher des faits ou des appréciations.

Signé Chanzy.

الوثيقة رقم 2 - رسالة من الحاكم العام" شانزي" (Chanzy) بالجزائر إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول تقرير بعث به السيد" فيرو" (Féraud)حول نتائج مهمته عن الطرق الدينية بأنحاء طبرق .

Le Consul Général de France à Tripoli
au Ministre des affaires Etrangères.

Tripoli, le 20 Octobre 1878.

Monsieur le Ministre,

. . . .

. . . . Jusqu'à présent M. Ricard
ne m'a pas fixé sur le mobile qui a
poussé le Scheikh Senoussi à réunir
à Bengazi un conseil de Mokaddems
dont j'ai eu l'honneur d'entretenir
V. Exc. J'attends ces renseignements que
je m'empresserai de porter à sa
connaissance aussitôt qu'ils me seront
parvenus. Les dernières informations
que j'ai reçues de ce Vice Consul,
ont uniquement trait à la déplorable
situation du district de Bengazi
où l'autorité turque se voit de

<u>الوثيقة رقم</u> 3- رسالة من القنصل العام الفرنسي بطرابلس إلى وزارة الخارجية الفرنسية حول الظروف التي دعت الشيخ السنوسي إلى عقد اجتماع في بنغازي

Extrait.

Le Gérant du Consulat Général de France à Tripoli
au Ministre des Affaires Etrangères.

Tripoli, le 21 Novembre 1878.

Monsieur le Ministre, M. E. Ricard vient de me transmettre les renseignements que je lui avais demandés au sujet du Conseil qui s'était réuni à Bengazi sur l'ordre du Scheikh Senoussi. D'après ce qu'il a pu apprendre, ce Conseil n'aurait eu, paraît-il d'autre but que d'arrêter entre les Scheikhs ou Moukaddems des différentes Zaouias, la quote part d'orge que celles-ci doivent fournir en don au puissant Marabout du Djebel-el-Akhdar, quote part qui aurait été fixée à 600 Kiles. de Constantinople pour chacune d'elles. Les soupçons que notre Agent

<u>الوثيقة رقم</u> 4- رسالة من مسير القنصلية العامة الفرنسية بطرابلس إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية حول الاجتماع المنعقد ببنغازي عن الطريقة السنوسية.

DÉPARTEMENT de CONSTANTINE

TERRITOIRES MILITAIRES

ÉTAT-MAJOR DE LA DIVISION

Section des Affaires indigènes

N° 103

OBJET : Au sujet des sieurs Sangello et Rozario

État-Major Général

Constantine, le 15 Février 1877

Monsieur le Gouverneur Général,

Par dépêche en date du 19 ~~Février~~ Janvier dernier, N° 33 vous m'avez fait l'honneur de me demander des renseignements sur les sieurs **Sangello** et **Rozario**, domiciliés le premier à Tabarque, le deuxième à Tebessa, qui vous ont été signalés comme faisant un commerce illicite de poudre avec nos tribus et avec celles de la Régence.

Monsieur le général Commandant la Subdiv.on de Bône que j'ai consulté confidentiellement sur le compte du Sieur Sangello m'a fourni les renseignements suivants qui émanent de M. le Commandant supérieur du cercle de La Calle et que je crois devoir vous transmettre in extenso :

" Monsieur Francisco **Sangello**, agent
" sanitaire tunisien depuis environ douze
" années, habite Tabarca.

A Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie Alger

<u>الوثيقة رقم</u> 5- رسالة من الفريق العام لشؤون الأهالي إلى السيد الحاكم العام للجزائر تتضمن معلومات عن "سانجيلو"(Sangello) و"روزاريو" (Rozario) القاطنين بطبرقة و تبسة و تجارتهما غير الشرعية.

DIVISION D'ORAN

ÉTAT-MAJOR

AFFAIRES ARABES

N° 4

OBJET

Au sujet d'un Nd. Beder Eddin des Flittas demeurant dans la Tripolitaine.

Etat-Major Général.

Affaires Arabes.

Oran, le 21 Janvier 1877

Monsieur le Gouverneur Général,

Par dépêche N° 27 du 18 de ce mois, vous me signalez un indigène des Flittas, le Nd. Beder Eddin, qui résiderait actuellement à Djerboub, auprès du Cheikh Senoussi.

Vous m'invitez, en même temps, à vous donner quelques informations sur la famille et les relations que cet indigène peut avoir conservées en Algérie.

Je ne puis mieux faire que de vous adresser, en copie, ma dépêche N° 71 du 29 Mai 1876, dans laquelle il était déjà question de ce même Beder Eddin.

Veuillez agréer, Monsieur le Gouverneur Général, l'expression de mes sentiments respectueux.

Le Général de Division Commandant la Division.

[signature]

A Monsieur le Gouverneur Général Civil à Alger.

الوثيقة رقم 6- رسالة من الفريق العام لشؤون الأهالي إلى الحاكم العام المدني تتضمن تقريرا عن أحد أتباع الطريقة السنوسية يمكن أن تكون عنده معلومات عن هذه الطريقة .

Préfecture d'Oran

2e Bureau

Affaires indigènes

7h 74

Notice

sur Si Mohammed ès-senouci

de l'ordre des Khadiria.

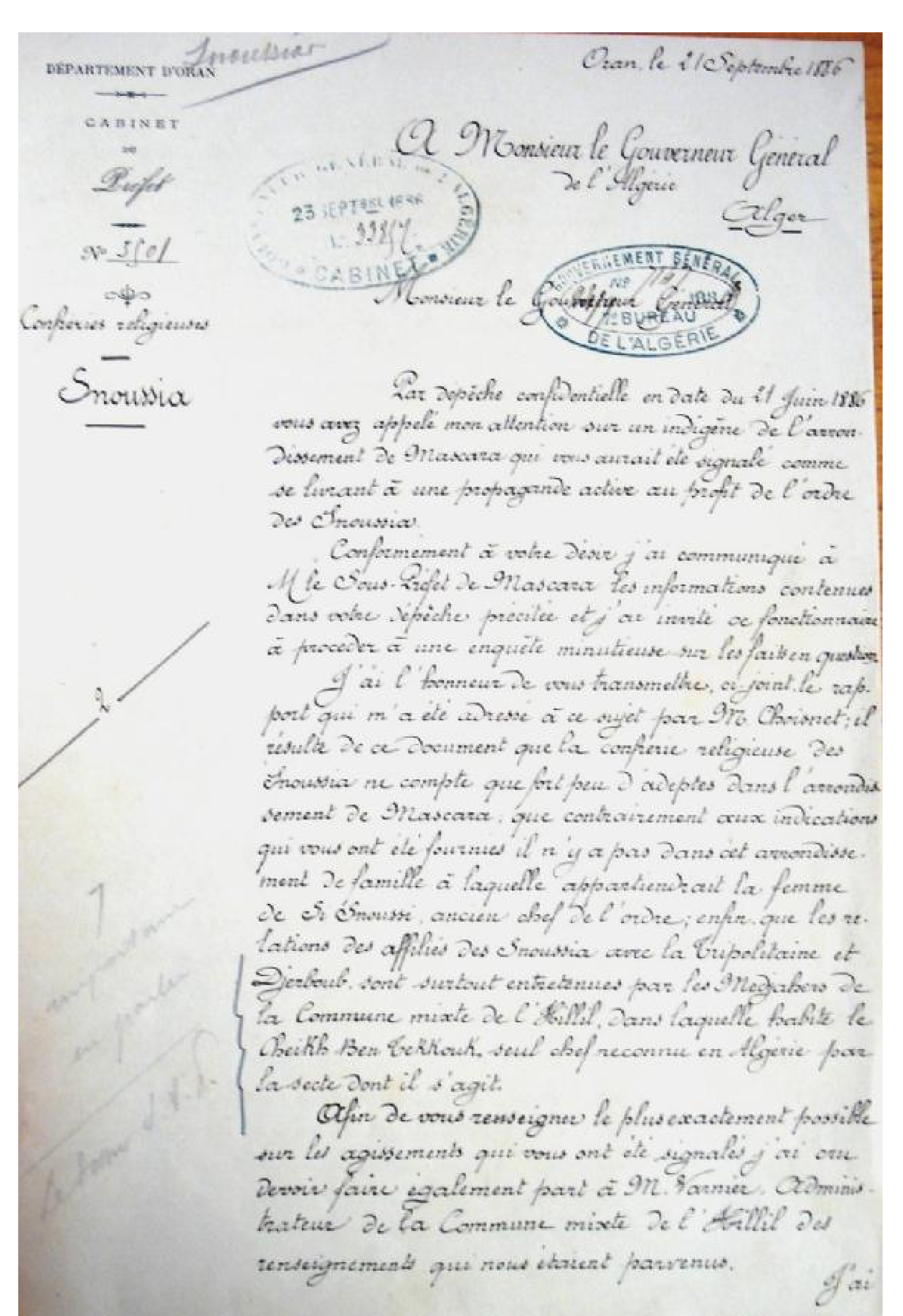
Si Mohammed ès-senouci que quelques personnes croient appartenir aux Beni Snous, est originaire des Oulad Sidi Abdallah ben Khottab, marabouts de l'ancien aghalik des Moudjaher. - Au moment où son père mourut, il étudiait le Koran, et vivait chez son oncle. — Les Mourabithine de Medjadja (Oulad Sid. Mhammed ben Aly) sollicitèrent de son oncle la faveur de l'autoriser à instruire leurs enfants; elle leur fût accordée et il se rendit chez eux.

De là il s'en fût à Fès du temps du Bey Mohammed es-Sghier (1225 (1810)) pour y développer son instruction. - C'est dans cette ville qu'il acquit des connaissances complètes dans toutes les sciences.

Il quitta Fès du temps de Moulaï Ahmed et-tedjini, c'est-à-dire en l'an 1229 (1813), suivi d'un certain nombre de disciples. - Il avait en vue le pélerinage qui s'accomplit par terre. Ses adhérents augmentaient à chaque étape. - Il arriva ainsi aux Oulad Nayl où il se maria avec une femme de cette tribu qui lui fut offerte en présent. Il la quitta peu après la laissant enceinte d'un enfant qui reçut à sa naissance le nom d'El Mohdi; c'est le chef actuel de l'ordre des Khadiria.

Si Mohammed

<u>الوثيقة رقم</u> 7- تقرير و ملاحظات عن حياة سي محمد السنوسي أعده محافظ مكتب شؤون الأهالي بوهران.


Département d'Oran
Cabinet du Préfet
N° 3501
Confréries religieuses
Snoussia

Oran, le 21 Septembre 1886

A Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie
Alger

Monsieur le Gouverneur Général,

Par dépêche confidentielle en date du 21 Juin 1886 vous avez appelé mon attention sur un indigène de l'arrondissement de Mascara qui vous aurait été signalé comme se livrant à une propagande active au profit de l'ordre des Snoussia.

Conformément à votre désir j'ai communiqué à M. le Sous-Préfet de Mascara les informations contenues dans votre dépêche précitée et j'ai invité ce fonctionnaire à procéder à une enquête minutieuse sur les faits en question.

J'ai l'honneur de vous transmettre, ci-joint, le rapport qui m'a été adressé à ce sujet par M. Choisnet; il résulte de ce document que la confrérie religieuse des Snoussia ne compte que fort peu d'adeptes dans l'arrondissement de Mascara, que contrairement aux indications qui vous ont été fournies il n'y a pas dans cet arrondissement de famille à laquelle appartiendrait la femme de Si Snoussi, ancien chef de l'ordre; enfin, que les relations des affiliés des Snoussia avec la Tripolitaine et Djerboub sont surtout entretenues par les Medjahers de la Commune mixte de l'Hillil, dans laquelle habite le Cheikh Ben Tekkouk, seul chef reconnu en Algérie par la secte dont il s'agit.

Afin de vous renseigner le plus exactement possible sur les agissements qui vous ont été signalés j'ai cru devoir faire également part à M. Varnier, Administrateur de la Commune mixte de l'Hillil des renseignements qui nous étaient parvenus.

J'ai

<u>الوثيقة رقم</u> 8- رسالة من محافظ مقاطعة وهران إلى الحاكم العام بالجزائر حول الطريقة الدينية السنوسية بمعسكر.

Ministère des Affaires Etrangères

DIRECTION POLITIQUE

Paris, le 28 Novembre 1878.

Monsieur le Gouverneur Général,

Notre agent à Tripoli vient de m'adresser sur la situation du district de Bengazi et sur les difficultés que le Scheikh Senoussi continue d'y créer aux autorités locales, des renseignements de nature à vous intéresser.

J'ai l'honneur de vous envoyer, ci-joint, copie du rapport de M. Delaporte, à titre d'information personnelle.

Agréez, Monsieur le Gouverneur Général, les assurances de ma haute considération.

Pour le Ministre et par autorisation,
Le Conseiller d'Etat, Directeur.

H. Desprez

Monsieur le Général Chanzy,
Gouverneur Général Civil de l'Algérie.

الوثيقة رقم 9- رسالة من وزارة الخارجية الفرنسية للحاكم العام المدني بالجزائر حول مراسلة من الحاكم العام بطرابلس حول الأحوال الجارية في مقاطعة بنغازي و الصعوبات التي يواجهها الفرنسيون من طرف السنوسيين .

Ministère des Affaires Étrangères

DIRECTION POLITIQUE

R. Consul Tripoli

1. p. f.

Versailles, 27 Juillet 1877.

Monsieur le Gouverneur général, Par votre dépêche en date du 27 Juin N° 102 dernier, vous m'avez fait l'honneur de me signaler les développements inquiétants pris depuis quelques années par la secte des Sénoussi, et la faiblesse dont les autorités Ottomanes, dans la Tripolitaine font preuve à son égard. Je me suis empressé de faire connaître cet état de choses à notre Chargé d'Affaires à

Monsieur le Général Chanzy
Gouverneur général de l'Algérie.

الوثيقة رقم 10- رسالة وزارة الخارجية إلى الحاكم العام بالجزائرالجنرال شانزي (Chanzy) بشأن تطورات الزاوية السنوسية و تعاونها مع السلطات العثمانية .

الملحق الثاني :

1- رسالة المشير أحمد باشا(باي تونس) إلى القنصل الفرنسي العام حول الشريف محمد بن عبد الله الأرشيف الوطني التونسي . صندوق 219 ملف 237 وثيقة رقم4.

2- رسالة المشير أحمد باشا(باي تونس) إلى القنصل الفرنسي العام حول الشريف محمد بن عبد الله الأرشيف الوطني التونسي . صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم5.

الحمد لله وحده

من عبد ربه الله سبحانه المتوكل عليه المفوض
جميع الأمور إليه المشير أحمد باشا باي
صاحب المملكة التونسية إلى [illegible]
المتكلف بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرتنا تونس
أما بعد فإنه بلغنا كتابكم في شأن الرجل الشريف الذي قدم من الغرب
والجواب إننا سمعنا به قبل أن تخبرونا وفي الحين كلفنا [illegible]
أحمد زروق بطرده وعدم قبوله في عمالتنا [illegible] وإذا [illegible]
له [illegible] من فريق عمالتنا كما هو شأن المحبة والموافقة بين
الدولتين وأما محمد بن [illegible] الذي [illegible] عامل الجريد [illegible]
يخاطبه بالرحيل [illegible] وأخذ العامل له [illegible] من شيمة المساعدة والله
[illegible] من عمالتنا [illegible] في أمان الله وكتب في 28 جمادى الثانية عام ١٢٦٠

رسالة أحمد باشا(باي تونس) إلى القنصل الفرنسي العام حول الشريف محمد بن عبد الله
الأرشيف الوطني التونسي . صندوق 219 ملف 237 وثيقة رقم4 .

الحمد لله وحده

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه

المفوض جميع الأمور إليه المشير

أحمد باشا باي صاحب المملكة التونسية إلى [illegible] رئيس كبير

[illegible] المتكلم بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرة

تونس أما بعد فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى

[illegible] من ناحية [illegible] القيروان [illegible] وعدم قبوله

ثم تحرك [illegible] معه [illegible] على [illegible] من رعيتنا ما بين نفطة وتوزر

واجتمع [illegible] ووقعت بينهم القتلى والجرحى [illegible]

عن الحكم [illegible] الجزائر [illegible] عن الشريف [illegible]

وإن لم [illegible]

[illegible] الضرر [illegible]

في أمن الله تعالى وكتب [illegible] في رمضان المعظم من سنة ١٢٧٠

رسالة المشير أحمد باشا(باي تونس) إلى القنصل الفرنسي العام حول الشريف محمد بن عبد الله

الأرشيف الوطني التونسي . صندوق 212 ملف 239 وثيقة رقم5 .

<u>الملحق الثالث</u> :

قصيدة من الشعر الشعبي للشاعر الليبي المجاهد **عمر بوحويش** الذي ينتمي لقبيلة المنفــة. كــان واحدا من الذين اعتقلوا مع نحو ثمانين ألفا من الليبيين ووضعوا في معتقل العقيلة بالصحراء الليبية، وفــي هذا المعتقل نكل الايطاليون بالمعتقلين شر تنكيل ، ولم يرحموا صغيرا ولاكبيــرا ولارجــلا ولا إمــرأة . وكان هذا المعتقل أشبه ما يكون بغوانتنامو اليوم.فكتب **عمر بوحويش** إلى شاعر قبيلة المغاربة **موســى احمودة** هذه الملحمة الشعرية التي يصف فيها حاله وحال المعتقلين،حيث صور المعتقلين على أنهم حفــاة الأقدام وعرة الأجسام وقد ترى المرأة شبه عارية ، والشيخ لا يقوى على الوقوف والأطفال يجرون وهــم عراة الأجسام وراء أمهاتهم في طرقات المعتقل.

لقد مارس الاستعمار الايطالي تعتيما إعلاميا شديدا على هذه المعسكرات والمعتقلات لذا فان كل المعلومات عما عاناه الشعب الليبي وما قدمه من تضحيات كانت تأتي عن طريق الاتصال الشخصي، أي حديث من عاصر ذلك الزمن أو كلام الشعراء الذي يعتبر سلاح الكلمة وهو ما يعادل وسائل الإعلامفي الوقت الحالي .

<u>المرجع</u>: ياسين أبوسيف ياسين ، رجب بوحويش من مشاهير الشعراء الشعبيين في ليبيا،موقع ليبياليوم ، 01 فيفري2009.

مابي مرَضْ غير دار العقيلة ... وحبس القبيلة ... وبعد الجبا من بلاد الوصيله

مابي مرض غير حد المكاد ... وشوية الزاد... وريحة اللي مجبّرة بالسواد

الحمرة اللي وين صار العناد ... عناتها طويلة ... لها وصف ما عاد تاجد مثيله

مابي مرض غير مطري الحرابي ... خيرة اصحابي ... الضرابين والكوغط ينابي

ركابين كل حمره دعابي ... الطايح تشيله... نضيده رفاقاه قبلوا جميله

مابي مرض غير فقد الرجال ... وفنية المال ... وحبسة نساوينا والعيال

والفارس اللي كان يقدع المال ... نهارة جفيله... طايع لهم كيف طوع الحليله

طايع لهم كيف طوع الوليه ... إن كانت خطيه ... نرمي الطاعه صباح وعشيه

نشيل في الوسخ والحطب والمويه ... معيشة ذليله ... مفيت ربنا يفزع يفك الوحيله

طايع لهم كيف طوع الوصيف ... نسيت الوظيف ... بعد بقيتي كنت ظاري عفيف

نصبِّي بلا حيل عندي خفيف ... نشيل التقيلة ... نزازي مزازة من زين حيله

مابي مرض غير فقد الغوالي ... أسياد المتالي ... سما العضادات فوق العوالي

راحو حساب شي تافه قبالي ... ولا لقيت حيله ... نشالشبها نين راحو دقيلة

مابي مرض غير طولة لجالي ... وضيعة دلالي ... وفقدة أجاويد هم رأس مالي

يونس اللي كيف صوت الهلالي ... كرسي القبيلة ... أمحمد وعبد الكريم العزيله

وبوحسين سمح الوجاب الموالي ... والعود ومثيله ... راحو بلا يوم ذايب ثقيله

مابي مرض غير فقد الصغار... أسياد العشار ... اللي لقطوا كيف تمر النهار

الضرابين للعايب صدار ... نواوير عيله ... ماينطروا بقول ناسا ذليله

مابي مرض غير غيبة أفكاري ... وبينة غراري ... وفقدة ضنا السيد خيوة مطاري

موسى وجبريل سمح السهاري ... أسياد الخويله ... ماينطروا بقول داروا عويله

مابي مرض غير طولة ريافي ... ووثقة كتافي ... وصبري بلاكسب ميل الشعافي

وتلايس اللي ع السوايا يكافي ... خيار القبيلة ...عشا للجوارين يحموا كحيله

مابي مرض غير بعد العمالة ... وحبس الرزالة ... وقلة اللي م الخطا ينشكي له

وغيبة اللي يحكموا بالعدالة ... النّصْفَه قليله ... والباطل علي الحق واخذ الميله

مابي مرض غير خدمة بناتي ... وقلة هناتي ... وفقدة اللي من تريسي مواتي

ووخذة غزير النصي بوعتاتي ... العايز مثيله ... يهضوذن علي القلب ساعة جفيله

مابي مرض غير فقدة نواجع ... ونا مانراجع ... واللي لقّهن لاجفا لامواجع

ولا ينظروا غير حكم الفواجع ... وريقة طويله... ولسان مرشّرّ من ضرب الثقيله

مابي مرض غير قل المحامي ... ولينة كلامي ... وهينة اجاويد روس ومسامي

وريحة اللي خايله باللجامي ...غريمة الهميله ... منقودة التناسيب نقدة الرّله

مابي مرض غير سمع السّوايا ... ومنع الغوايا ... وفقدة اللي قبل كانوا سمايا

وبط النساوين طرحي عريا ... بسبله قليله... يديروا لهن جرم مافيه قيله

مابي مرض غير قول اضربوهن ... ولا تصنعوهن ... وبالسيف في شيء خدموهم

ومقعد مع ناس ما نعرفوهم ... حياةً عوشله..الاً مغير ماعاد باليد حيله

مابي مرض غير زمط العلايل ... وديما نخايل ... علي خيلنا والغلم والشوايل

وخدمة بلا قوت والسوط عايل ... معيشة رزيله ... علي اثر الدّباويش جوا للعويله

مابي مرض غير فقد الملاح ... ودولة القباح ... اللي وجوهم نكب وأخري صحاح

وكم طفل عصران م السوط ذاح ... حاير دليله ... يانويرتي صاف من دون جيله

مابي مرض غير كسر الخواطر... ودموعي قواطر ... مادونهن من يساطر

الراعي معقل جمال القناطر ... فحولة كحيله ... وطالق قعادين فوق الخويله

مابي مرض غير حبس المسامي .. .وميحة أيامي ... و"كابو"علي ضرب لجلود دامي

يصبي يناديك بلسان حامي ... ولغوة هزيله ... تخاف يعدمك قبل لاتشتكي له

وشوخة ردي لصل شَوَّت منامي ... حتي وهو عزيله ... يبيعك علي شان حاجة قليله

مابي مرض غير فوت الحدود ... ووقاف سود ... وشبردق ملوي علي رأس عود

لاحيل لاقادرة لاجهود ... لشيل الثقيله ... زاهدين في العمر لوجا وكيله

مابي مرض غير برمة افلاكي ... وهلبة أملاكي ... وضيق دار واشون قاعد متاكي

الفارس اللي كان يوم الدعاكي ... ذرا للعويله ... يساسي ورا قرد مقطوع ذيله

وكل يوم م الظلم نا ننوض شاكلي ... ونفسي ذليله ... وكيف المرا مانفك العقيله

مابي مرض غير ميلة زماني ... وقصرة لساني ... ومانحمل العيب والعيب جاني

وتريسي اللي قبل بيهم نقاني ... جمال العديله ... ثقال روزهم يوم ذايب ثقيله

علي اثر ياسهم روجتي من مكاني ... ليله طويلة ... ظلامها غطا ضي قاز الفتيله

مابي مرض غير فقدة بلادي ... وشي من اريادي...نواجع غرب في خيوط السعادي

طالب الكريم اللي عليه اعتمادي ... يعجل بشيله ... قبل لايفوتن ثلاثين ليله

الدايم الله راح راعي المجمم ... طغي ضي ظَلّم ... العاصي علي طول مايوم سلَّم

لولا الخطر فيه بيش نتكلم ... ونعرف نشيله ...ونعرف نبين ثناه وجميلة.

الملحق الرابع :

- صور للشيخ الشهيد عمر المختار

رقم الصورة	عنـــــــــــوان الصـــــــــــورة
01	الشيخ الشهيد عمر المختار الرجل الأمة
02	كوكبة ضخمة من القوات والجنود أثناء نقل المختار بعد أسره
03	الشيخ عمر المختار في الطريق إلى المحاكمة
04	الايطاليون ينزلون الشيخ عمر المختارمن الطراد بعد وصوله إلى بنغازي
05	الشيخ عمر المختار في سجن بنغازي محاط بحراسة شديدة
06	المحاكمة الصورية : كانت المشنقة علقت قبل صدور الحكم
07	عمرالمختار بعد صدورحكم الإعدام **(إن الحكم إلا لله. لاحكمكم المزيف ..إنا لله وإنا إليه راجعون)**
08	الشيخ الشهيدعمر المختار معلقا في المشنقة

المرجع : الأنترنت ، منتديات شبوة نت ، صور نادوة للشيخ عمر الختار بعد أسره ، السبت 2009/02/07، الساعة الثالثة مساء.

<u>الصورة رقم</u> : 1



الشيخ الشهيد عمر المختار الرجل الأمة

<u>الصورة رقم</u> :2



كوكبة ضخمة من القوات والجنود اثناء نقل المختار بعد أسره

<u>الصورة رقم</u> :3



الشيخ عمر المختار في الطريق إلى المحاكمة

<u>الصورة رقم</u> : 4



الايطاليون ينزلون الشيخ عمر المختارمن الطراد بعد وصوله إلى بنغازي

<u>الصورة رقم</u> :5



الشيخ عمر المختار في سجن بنغازي محاط بحراسة شديدة

<u>الصورة رقم</u> :6



المحاكمة الصورية .. كانت المشنقة قد علقت قبل بدأها

الصورة رقم :7



المختار بعد صدور حكم الإعدام :

(إن الحكم إلا لله .. لا حكمكم المزيف .. إنا لله وانا اليه راجعون)

الصورة رقم : 8



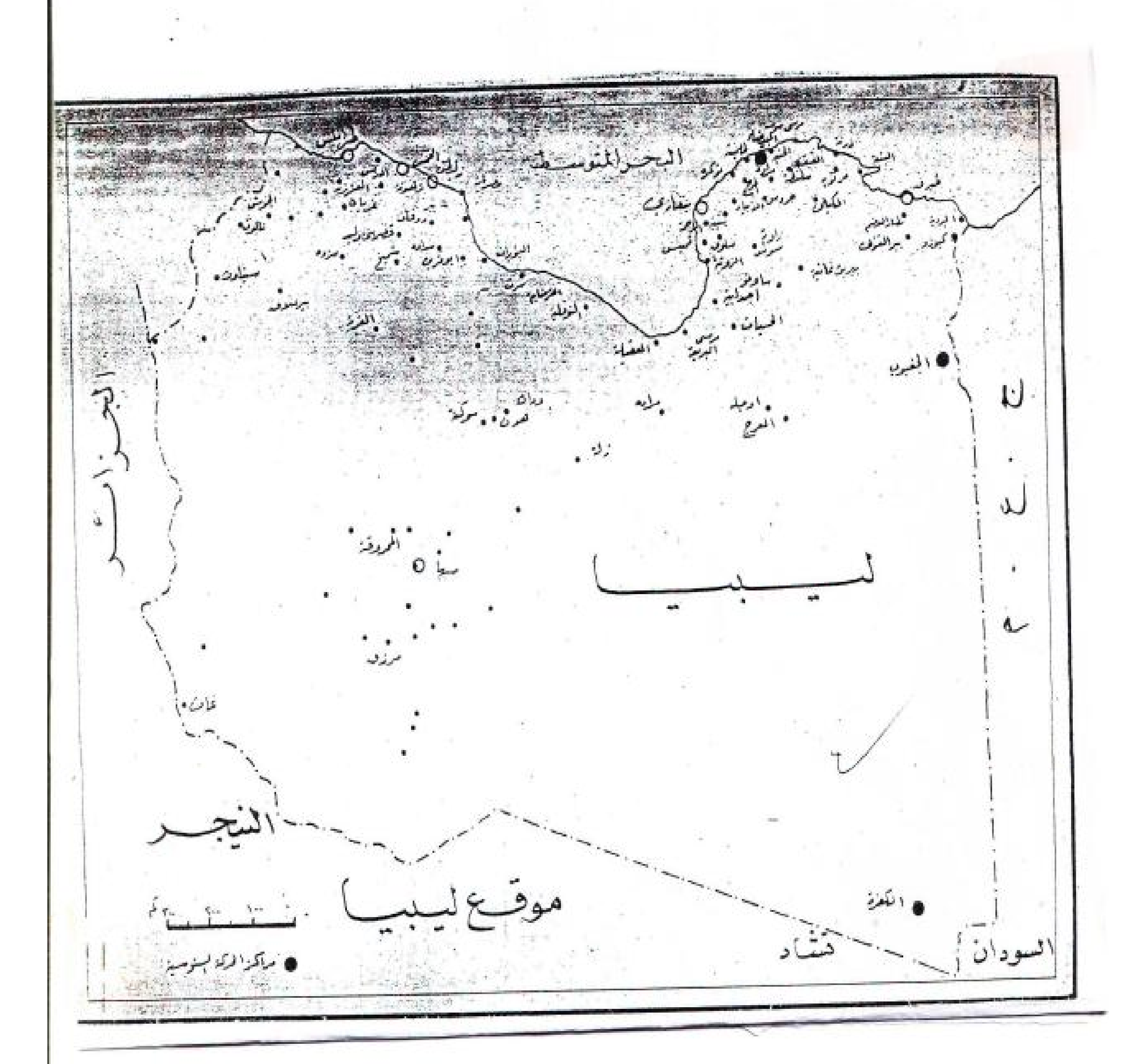
الشيخ الشهيد معلقا في المشنقة

الملحق الخامس :

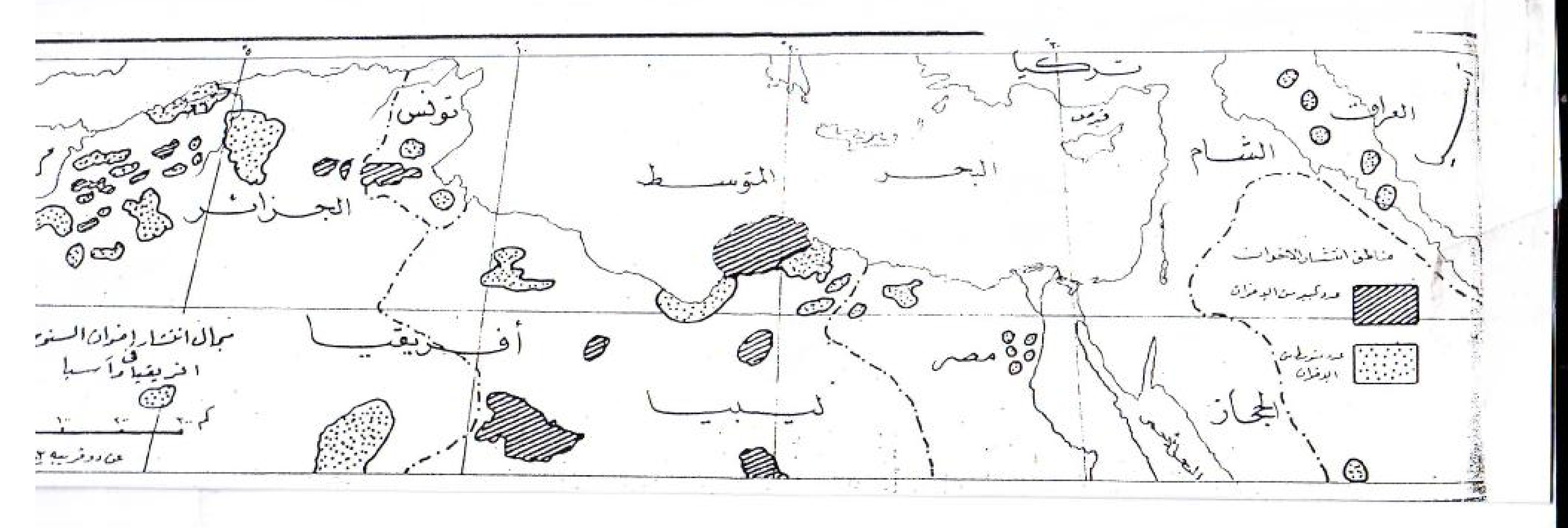
- خريطة توضح أهم مراكز وزوايا الحركة السنوسية في ليبيا
- خريطة توضح مجال انتشار الحركة السنوسية في إفريقيا وآسيا

المرجع : سعاد عبد العزيز علي خليل، الحركة السنوسية قيامها وانتشارها وأثرها في تحرير ليبيا، رسالة دبلوم (غير منشورة) ،معهد البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، 1970.

الخريطة رقم : 1



خريطة توضح أهم مراكز وزوايا الحركة السنوسية في ليبيا



خريطة توضح مجال انتشار الحركة السنوسية في إفريقيا وآسيا

البيبـــــــــــــــــلوغرافـــــــــــــــــيا

المصادر والمراجع باللغة العربية :

1- ابن حليم مصطفى أحمد ، صفحات مطوية من تاريخ ليبيا السياسي ، قليوب،مصر ، وكالة الأهرام للتوزيع والنشر، مطابع الأهرام التجارية ، بدون تاريخ
2- ا بن علي عبد القادر بن عبد المالك ،الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية ، دمشق ، مطبعة دار الجزائر العربية، الجزء الأول ،1966.
3- أسد محمد ، الطريق إلى الإسلام ، ت.عفيف البعلبكي ، بيروت ، الطبعة السادسة، دار العلم للملايين ، 1980.
4- أسد محمد ، الطريق إلى الإسلام ، ترجمة وتحقيق عفيف البعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة التاسعة ، .1997
5- إسماعيل عز الدين وآخرون، الأمير عبد القادر ، بيروت ، دار العودة ، 1975 .
6- ــــــــــــــ ، عمر المختار شيخ الشهداء ، بيروت ، دار العودة ،.1975
7- الأشرف مصطفى ، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة ، حنفي بن عيسى ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1983 .
8- الأشهب محمد الطيب ،إدريس السنوسي ، القاهرة، دار العهد الجديد للطباعة ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ.
9- ــــــــــــــ ، برقة العربية أمس واليوم ، القاهرة ، مطبعة الهواري ، بدون تاريخ.
10- ــــــــــــــ ، السنوسي الكبير، القاهرة ، مطبعة محمد عاطف ، ميدان الخز ندار، بدون تاريخ.
11- ــــــــــــــ ، عمر المختار ، سلسلة أبطال الجهاد والسياسة في ليبيا، طرابلس ، بدون تاريخ
12- الأمير محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، شرح و تعليق د: ممدوح حقي، بيروت، دار اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، 1964 .
13- البر بار عقيل محمد ،عمر المختار نشأته وجهاده ، طرابلس ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، جامعة قار يونس ، كلية الآداب والتربية ، 1981
14- بعيو مصطفى عبد الله ، بعض الملامح التاريخية عن ليبيا ، بني غازي، الطبعة الأهلية 1966 .
15- بورنان سعيد ، شخصيات بارزة في كفاح الجزائر ، تيزي وزو ،الجزء الأول، الطبعة الثانية ، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2004
16- بوعزيز يحي ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الجزء الأول ،الجزائر، الطبعة الثانية ، منشورات المتحف الوطني المجاهد .1996
17- البهي محمد ، محاضرات في الفكر الإسلامي في مرحلته الثانية ، القاهرة ، المطبعة المنبرية ، 1957.
18- البوري عبد المنصف حافظ ، الغزو الايطالي لليبيا ، بيروت ، الدار العربية للكتاب ، 1983.
19- الجابري محمد طه ، دراسات وصور من تاريخ الحياة الأدبية في المغرب العربي ، بيروت ، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ، 1983
20- جمال قنان ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، الجزائر ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1994 ..
21- الجندي أنور ، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، .1979
22- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الرابع ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية
23- الحريري إدريس ، عمر المختار نشأته وجهاده ، طرابلس، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو

الايطالي ، جامعة قار يونس، 1981

24- حسن حسن إبراهيم ،انتشار الإسلام في القرة الإفريقية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة ،1984.

25- حسين محمد محمد ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة ، الجزء الثاني ، 1984.

26- الحشائشي محمد بن عثمان ، رحلة الحشائشي إلى ليبيا ، تقديم وتحقيق: علي مصطفى المصراتي ، بيروت ، دار لبنان ، الطبعة الأولى ، 1965.

27- الدجاني أحمد صدقي ، أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين 18و19 ،طرابلس ، دار المصراتي ، 1968 .

28- ________ ، الحركة السنوسية نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر ، بيروت ، دار لبنان للطباعة والنشر، 1967.

29- درنيقة محمد أحمد ، السيد محمد رشيد رضا ، طرابلس ، لبنان ، مؤسسة الرسالة ، دار الإيمان ، الطبعة الأولى، 1986.

30- الذهبي شمس الدين ، سير أعلام النبلاء ، بيروت، ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الجزء الثامن 1982.

31- رودولفو غراسياني ، برقة الهادئة، ترجمة: إبراهيم سالم بن عامر ، بنغازي ،ليبيا ، دار مكتبة الأندلس ، بدون تاريخ.

32- الزاوي الطاهر أحمد ، عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا ، بيروت ، دار المنار الإسلامي ، الطبعة الثانية ، 2004.

33- ________ ، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ،بيروت، الطبعة الثالثة ،م دار الفتح للطباعة والنشر 1962.

34- الزبيري محمد العربي ، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ، الجزائر، ش و ن ت ، 1972.

35- زوزو عبد الحميد ، محطات في تاريخ الجزائر ، ،الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر، 2004.

36- زيادة نقولا ،برقة الدولة العربية الثامنة ، بيروت ، طبعة 1950.

37- ستودارت لوثروب ، حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عادل نويهض ، تعليق وإضافات شكيب أرسلان ،القاهرة ، دارالطباعة ، عيسى البابي الحلبي ،الجزء الثاني ، 1934.

38- سعاد عبد العزيز علي خليل، الحركة السنوسية قيامها وانتشارها وأثرها في تحرير ليبيا، رسالة دبلوم (غير منشورة) ،معهد البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، 1970.

39- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1، القسم الأول، الطبعة الأولى ، الجزائر 1992.

40- ________ ، الحركة الوطنية الجزائرية ، (1830-1900) الجزء الأول، بيروت ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ،2005.

41- ________ ، تاريخ الجزائر الثقافي ،الجزء الرابع_ بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1998.

42- شكري محمد فؤاد ، السنوسية دين ودولة ، بيروت ، دار الفكر، .1948

43- شلبي محمود ، حياة عمر المختار ، بيروت ، دار الجبل ، الطبعة الرابعة ، 1962 .

44- الشيخ رأفت ، تاريخ العرب الحديث ،القاهرة ، النورس للطباعة ، 2003.

45- الصلابي علي محمد محمد ، الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا ، القاهرة ، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى ، 2005.

46- طالبي عمار ، ابن باديس حياته وآثاره ،الجزائر،الشركة الجزائرية، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة، 1997،

47- الطاهر عبد الجليل ، المجتمع الليبي ، بيروت ، المكتبة العصرية صيدا ، 1969.

48-عامر محمود ، تاريخ ليبيا المعاصر، دمشق، منشورات جامعة دمشق،

49- عباس فرحات ، ليل الاستعمار ، ترجمة أبوبكر رحال ، المغرب ، بدون تاريخ.
50- عبد الماحي عبد الرحمن ، الدعوة الإسلامية في إفريقيا،الواقع والمستقبل ،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية 1992.
51- العربي إسماعيل ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، الجزائر ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1983.
52- العقاد عباس محمود ، الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون تاريخ.
53- العلوي محمد الطيب ، مظاهر المقاومة الجزائرية من 1830إلى 1954 ، قسنطينة، دار البعث ،الطبعة الأولى،1985.
54 - فارس محمد خير ،تاريخ الجزائر الحديث ، بيروت ، مكتبة دار الشروق ، بدون تاريخ.
55 - لطفي محمد إبراهيم ، تاريخ حرب طرابلس ، بنها ، مطبعة مؤسسة الأمير فاروق ، 1964.
56 - مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة ، تحقيق وتقديم د. الزبيري محمد العربي ،الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ،1981.
57 - مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق ، محمد الصغير بناني وآخرون،الجزائر،الطبعة الثالثة، دار الأمة ،1998.
58- مراد سعيد ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا، القاهرة ، الطبعة الثانية ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، 1999 .
59 - المرزوقي محمد ، صراع مع الحماية ، تونس ، دار الكتاب الشرقية ،1973.
60 - مطاطلة أحمد ، نظام الإدارة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر ،الجزائر، مجلة الذاكرة ، السنة الثالثة ، العدد الرابع، المتحف الوطني للمجاهد ، 1996.
61 - معروف حلمي علي ، شوقي وقضايا العصر والحضارة ،بيروت ، دار النهضة العصربة، الطبعة الثانية، 1981.
62 - ممدوح حقي ، بيروت، دار اليقظة العربية ، الطبعة الثانية ، 1964 .
63 - المهدي بن شهرة ، الطرائق الصوفية في الجزائر السنية ،الجزائر ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، 2004.
64 - مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، 1837-1934،الجزائر ، دار هومة ،2005 .
65 - ـــــــــــ ، توسع الاستعمار في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912) ،الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1996.
66- ـــــــــــ ، مقاربات في تاريخ الجزائر(1830-1962) ، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2007 ، ص 190.
67 -ـــــــــــ ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.
68 - المهدي بن شهرة ، الطرائق الصوفية غي الجزائر السنية، الجزائر، دار الأديب للنشر والتوزيع ، 2004.
69 - الناصري أبو العباس ، الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء ، الجزء الثامن ، 1960 .
70 - نجاح عبد الحميد ، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال حتى الاستقلال، منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت، ورقلة ، الآمال للطباعة ، 2003 .
71 - الندوي أبو الحسن علي الحسيني ، ربانية لا رهبانية ، بيروت ، دار الشروق ،1983 .
72- نوشي أندري ، برنيان أ ندري ، لاكوست ايف ، الجزائر بين الماضي الحاضر ، ت،اسطنبولي رابح /منصف عاشور،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984.
73- هويدي مصطفى ، الحركة الوطنية شرق ليبيا ، طرابلس، منشورات مركز دراسات

جهاد الليبيين ، طبعة 1988.
74- يحي جلال ، المغرب الكبير، الجزء الثالث ، الإسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر،1966 .

المجلات والدوريات والملتقيات:

- أحمد عيساوي ، الشيخ محمد بن علي السنوسي الجزائري ، مجلة الثقافة والتراث ، دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعية الساجد للثقافة والتراث العدد 36 ، 2002.
- بن أبي زيد أحمد قصيبة . ((ابن ناصر بن شهرة ، أحد أبطال ثورة 1871))، مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر ، العدد 6 ، 1972.
- بن معمر محمد ، ((علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله)) ، أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة (1842-1895) جمعية الانتفاضة الشعبية 27 فبراير ، ورقلة ، فيفري 1998.
- بن نعمية عبد المجيد ، مواقف شيوخ بني جلاب من الاحتلال الفرنسي ، الملتقى التاريخي الثالث ، حكم بني جلاب لمنطقة وادي ريغ ، جمعية الوفاء للشهيد ،1998.
- تلمساني يوسف ، دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي ،أشغال ملتقى مقاومة الشريف بن عبد الله ، جمعية 27 فبراير، ورقلة 1998 .
- الحسني محمد الهادي ، الإمام المجاهد أحمد الشريف السنوسي ، جريدة الشروق اليومية، الجزائر، العدد2391 ليوم 28 /08/ 2008.

الانترنت :

- الدالاتي عبد المعطي ، هكذا أسلم المفكر محمد أسد (لبوبولد فايس) ،الأنترنت ، موقع صيد الفوائد ، 22 ديسمبر 2008 .
-عاشور مصطفى ،الاستقلال الليبي رابطة إسلامية وجهود شعبية، مقال بمناسبة ذكرى استقلال ليبيا ،10ربيع الثاني 1367هـ . موقع إسلام أون لاين ،بتاريخ 2008/11/01 .
-شبكة الإنترنت ، منتديات التاريخ ، صانعو التاريخ ، أحمد الشريف السنوسي ، بتاريخ 2008/07/02.
-الأنترنت ،موسوعة ويكيبيديا، محمد إدريس السنوسي.2008/11/13

المراجع باللغة الأجنبية :

1- Archives d'outre –mer (A.O.M), à AIX ,16 H 5

2- Charles andré julien-histoire de l'algérie contemporaine(1827-1871). 2éme Edition,Paris .1979.

3- Charles Feraud,((les Ben-djellab , Sultans de Touggourt,Notes historiques sur les Provenc de Constantine)),in Revue Africaine, n° 30 (1886).

4- Commandant Séroka:((Le sud Constantinois de1830 à1955)) Revue Africaine1912 .

5- E.Mangin ((Notes Sur L' histoire De LAghouat)),in Revue Africaine n° 38 (1894).

6-Jeanson Collette et Francis : L'Algérie hors la loi . ENAG Alger,1993.

الفهـــــــــــــــارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

فهرس القبائل والجماعات

(أ)

(ب)

فهرس الأماكن والبلدان

السلوق : 113 ، 114 ، 126

(ي)

فهرس الموضوعات

الفصـــــــــــل الثانـــــي

الفصـــــــــــــل الثالــث